# المعارضة السياسية

## في تجربة أمير المؤمنين (عليه السلام)

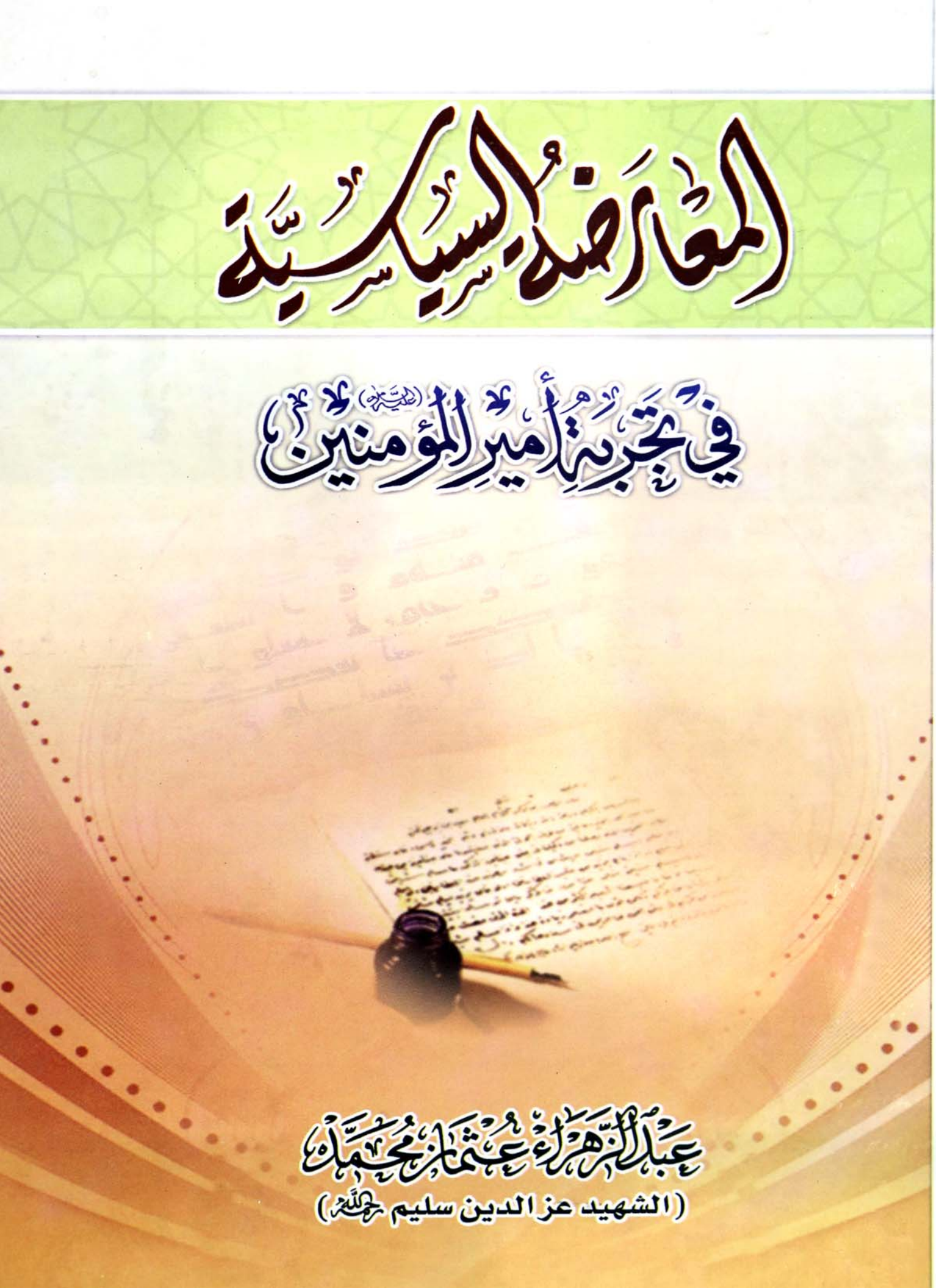

عبد الزهراء عثمان محمد
(الشهيد عز الدين سليم رحمه الله)

# المعارضة السياسية في تجربة أمير المؤمنين

عبد الزهراء عثمان محمد
(الشهيد عز الدين سليم رحمه الله)

## هوية الكتاب


- الكتاب .....المعارضة السياسية فى تجربة امير المومنين عليه السلام
- المؤلّف .....الشهيدعبد الزهراء عثمان محمد(عزالدين سليم رحمه الله)
- الناشر .....مؤسّسة السيدة المعصومة عليها السلام
- اصدار.....مؤسسه الشهيد عزالدين سليم رحمه الله الثقافية
- المطبعة ..... ثامن الحجج عليه السلام
- الطبعة .....الأُولى ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م
- العدد .....٣٠٠٠ نسخة
- الإيداع الدولي.....٧ـ ٠٨٥ ـ ٩٨٤ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

**العراق . بغداد**

**٢٠٠٨م . ١٤٢٩هـ**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**كفّي، وكفُّ عليّ في العدلِ سواء**»[1].

علي بن أبي طالب عليه السلام : «**العامةُ من الأمة، فليكن صغوك لهم، وميلك معهم**»[2].

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٥ : ٣٧ . وأخرجه الخوارزمي في المناقب بإسنادهما عن أبي بكر .

(٢) نهج البلاغة : ٤٢٩ ، نص ٥٣ ، أمير المؤمنين عليه السلام ، باب الكتب .

جماع المسلمين : جماعة الإسلام . الصغو : الميل .

# الإهداء

إلى كل المتعبين من الظلم، والدكتاتورية في العالم..

إلى الرافضين للذل، والهوان، وامتهان الإنسان في كل مكان

إلى المناضلين من أجل الكرامة، وحق الحياة الحرة الكريمة من بني الإنسان...

أقدم هذه التجربة الإنسانية الحضارية الرائدة التي وفرها أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام لكل الناس، ولكل الأجيال...

المؤلف

# المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .. وبعد ..

فإنّ كتابنا هذا يهدف إلى التوفر على دراسة التجربة العملية التي باشرها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بخصوص معارضيه السياسيين سواء أكانوا أفراداً أو مجموعات منظمة، مع استخلاص القيم، والضوابط، والأفكار التي ترشحت من هذه التجربة العتيدة، التي لم يشهد لها تاريخ المسلمين مثيلاً من حيث التسامح، واحترام الرأي الآخر، والتأسيس لأطروحة التعامل الإسلامي مع الاجتهادات السياسية المختلفة في المجتمع، من خلال أعلى موقع في دنيا المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علماً، ومكانة وتجربة وإحاطة بأسرار الرسالة الإسلامية الخاتمة.

إنّ هذه المحاولة لا تشاء أن تقوم بمحاكمة أخلاقية غيابية للمجموعات السياسية التي عارضت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بشتى الأساليب، والوسائل ـ وإن كان بعضها خسيساً جداً ـ حتى عوقت مشروعه الإصلاحي الكبير للدولة، والمجتمع، وختمت معارضتها باغتياله أثناء صلاته في مسجد الكوفة في شهر رمضان عام ٤٠ من الهجرة.

إنّ هذه المحاولة لا تشاء أن تحاكم تلك الأطراف، كما لا تشاء أن تكون هذه الأبحاث ذات طبيعة عقائدية، كالذي أَلِفْناه في دراسة مثل هذه المسائل من تاريخنا، لتوضح بطلان هذه العقائد والأفكار دينياً، وتؤكد صحة تلك

المبادئ والمواقف، ومطابقتها لروح الشريعة الإسلامية المطهرة، وما نزل به الوحي المقدس على رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنما تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تصوّر سياسي عن موقع المعارضة في المجتمع الإسلامي، وما هي حقوقها، وحدود حركتها في الواقع، وما هي الخطوط التي لا يصح تجاوزها.

فهذه الدراسة بناء على ذلك دراسة سياسية تستلهم أحداثاً تاريخية معينة تمخضت عن مشاهد واقعية عاشها المسلمون تحت ظل حكومة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، رغم عمرها القصير.

وهكذا ربّما يكون بمقدورنا أن نتلمس عبر هذه المحاولة العديد من القيم والمفاهيم بهذا الخصوص:

- الحرية السياسية في الإسلام، وحدودها.
- الحدود بين المعارضة السياسية والتمرد العسكري.
- قضية الرأي والرأي الآخر.
- الحوار السياسي.
- الأحزاب السياسية.
- الممنوع والمسموح في المعارضة.
- حقوق المعارضة سياسياً، مالياً، إعلامياً، وثقافياً.
- متى تكون المعارضة خطراً على المصلحة العامة.

على أن هذه الحقائق سنقرؤها شاخصة مجسدة عبر التجربة المذكورة وإن لم نؤشر عليها من خلال العناوين السابقة!

وهكذا فإنّ منهج الدراسة، ومسارها لا يسمح كثيراً بإصدار الأحكام، وتجريم المخطئين بشكل صريح، وإن كانوا قد نكثوا، أو قسطوا أو مرقوا، وإنّما نترك الأرقام تتحدث في هذا السياق، فهمّنا هنا أن ننفض الركام عن تجربة سياسية إنسانية رائدة جهلها الكثيرون.

فالعالم الإسلامي أحوج ما يكون اليوم إلى أن يتلمس طريقه في هذا المجال في ضوء تجربة إسلامية سياسية تاريخية باشر قيادتها وصي رسول الله ﷺ، وباب مدينة العلم الإلهي في هذه الأمة الخاتمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ لم يتسنَّ للرسول القائد ﷺ أن يباشر مثل هذه التجربة، بسبب ظروفه الواقعية المختلفة، فلم يواجه الرسول ﷺ، معارضة سياسية بالمعنى المعروف، وإنّما واجه، تعددية دينية في تجربة الرسالة الأولى، حيث عاشت الأديان السماوية الثلاث وغيرها! ضمن دستور المدينة المنورة (وثيقة المدينة)[1]، الذي حققت المدينة تحت ظلاله أروع صور التسامح، والاحترام، ولولا حوادث التآمر السياسي، والتحالف العسكري اليهودي مع العدو الخارجي (قريش)، يومذاك من أجل إسقاط الدولة الإسلامية في المدينة المنوّرة، لاستمرّ ذلك التعايش ما شاء الله تعالى دون منغصات أو تجاوز.

أما الأحزاب السياسية فلم تظهر في دنيا المسلمين إلاّ بعد رحيل رسول الله ﷺ الأمر الذي يجعل من تجربة أمير المؤمنين عليه السلام تجربة مميزة في هذا المجال، ومنهل استلهام للمسلمين عبر عصورهم المديدة ـ كما ذكرنا ـ.

ومن هنا تحظى هذه التجربة المباركة بالأولوية من حيث أهمية التوفر على دراستها بشكل مناسب دقيق!

وبالله التوفيق.

**المؤلف**

**شهر رمضان ١٤٢١ هـ**

**تشرين الثاني ٢٠٠٠م**

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٤٧ـ١٥٠.

# القسم الأول

- نقطة البداية
- أرضية المعارضة
- تجربة عثمان
- البرنامج التغييري
- رد الفعل اليميني

# نقطة البداية

قبل أن نباشر البحث في أحد جوانب التجربة السياسية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ما يتعلق بتجربته مع المعارضة السياسية في عصره، لابدّ أن نستوضح الحقائق الآتية في إطار التساؤلات الآتية:

ما هي القيمة القانونية لتجربة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لدى المسلمين؟

وما هي القيمة التشريعية لآراء الإمام عليه السلام، ومواقفه في الشريعة الإسلامية وما أسسه من مفاهيم؟

وهل ألزمت الشريعة الإسلامية الخاتمة أتباعها بموقف محدد صريح تجاه قناعات الإمام علي عليه السلام، ومواقفه، حتى وإن خالفت قناعات الآخرين؟

فهذه التساؤلات، وأمثالها، وطريقة الإجابة عليها تحدد بوضوح الموقف العملي للمسلمين من تجربة الإمام علي عليه السلام، سواء فيما تحمل من مبادئ، ومفاهيم، أو ما تنطوي عليه من مواقف عملية، وممارسة مجسدة على صفحة الواقع الذي عاشه الجيل الذي عاصر الإمام عليه السلام، وما يشكله ذلك من تجربة حية يستلهمها المسلمون عبر أجيالهم، بخصوص جملة من الحقائق الحيوية التي تفرض وجودها على حياة الناس:

- كالحرية السياسية وحدودها.

- ومعاملة الخصوم السياسيين.
- وقضية الرأي والرأي الآخر.
- والحدود المسموح بها للمعارضة السياسية، والخطوط الحمراء التي لا يصح تجاوزها، وما هي تلك الخطوط الحمراء.
- وما إلى ذلك من محاور، وأبحاث.

إنّ طريقة الإجابة على هذه التساؤلات الضرورية تحدد الموقف بشكل واضح من تجربة أمير المؤمنين عليه السلام ... ليتضح للمسلم المعاصر ما إذا كانت تجربة الإمام عليه السلام تشكل اجتهاداً شخصياً مارسه الإمام عليه السلام فتحمل مسؤولية ذلك الاجتهاد سلباً أو إيجاباً، تماماً كما يجتهد أي حاكم أو نظام حكم في عصر من عصور المسلمين!

وقد تحظى هذه التجربة ـ بناء على ذلك ـ بالشكر والامتنان والإعجاب كلاً أو جزء، أو تواجه بالنقد، والتنديد في بعض جوانبها، كما فعل بعض المؤرخين، حتى شككوا بالقدرات الإدارية والسياسية لأمير المؤمنين عليه السلام[1].

وقد تكون طريقة الإجابة على تلك التساؤلات المتقدمة في اتجاه آخر، حيث تعبّر الإجابة عن ذلك عن أن طريقة الإمام عليه السلام في التعامل مع المعارضة السياسية كانت ترجمة لروح الإسلام الحنيف، التي تحملها النصوص المقدسة الواردة في الكتاب العزيز والسنّة النبويّة الشريفة، وكان دور أمير المؤمنين عليه السلام دور المنفذ للأطروحة السماوية في هذه الواقعة الحيوية والمسألة الحساسة من حياة المسلمين.

فما هو الموقع المناط بعليّ عليه السلام في حياة المسلمين؟

---

(١) وعاظ السلاطين: ٢٢٠، ط٢، د. علي الوردي، دار كوفان ـ لندن ١٩٩٥م.

وما هي قيم الإسلام التي وفق الإمام عليه السلام لبلورتها في تعامله مع المعارضة السياسية التي واجهها؟

إنّ الإجابة على التساؤل الأول لا يتيسّر لأحد إلاّ بالرجوع للبيانات الرسمية التي تعكس وجهة نظر الرسالة الإلهيّة، كنصوص القرآن الكريم، وكلمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكلاهما وحي إلهي، أولهما بمضمونه، وألفاظه معاً، والآخر، بمضمونه دون لفظه[1]، فماذا تعلنه النصوص الإسلامية المقدسة يا ترى بشأن الموقع الحقيقي لأمير المؤمنين علي عليه السلام؟

## موقع الإمام كما تحدده النصوص

لا يحظى من التراث الإسلامي - في قيمته الدينية - في أن يكون (نصّاً مقدساً) إلاّ ما جاء به القرآن الكريم، والسنّة الشريفة، وماعدا ذلك فلا يدخل تحت هذا الإطار، وإنّما هو دون ذلك بكثير، وإن كان يعبّر عن فهم، واجتهاد في النصوص قد يخطئ، وقد يصيب، فما تقول النصوص الدينية المقدسة لدى المسلمين، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وما هو الموقع الذي يحتله في الرسالة والشريعة، والأمة؟

لقد حظي علي بن أبي طالب عليه السلام دون غيره من رجال الصدر الأوّل من المسلمين بخصائص، ومزايا لم يحظ بها سواه، عبّرت عنها صراحة مجموعة كبيرة من النصوص الشريفة، فهيأت النفوس لإمامته الدينية، والاجتماعية بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، نذكر منها ما يلي:

---

(١) القرآن وروايات المدرستين ٣ : ٨، العلاّمة السيد مرتضى العسكري.

١ـ علي هارون هذه الأمة: احتل هارون بن عمران عليه السلام موقع إمامة التجربة التي قادها موسى الرسول عليه السلام في أمته، وكان الرجل الثاني في تلك الرسالة، وفي تلك الأمة، كما هو معروف في تاريخ الرسالات السماوية.

وقد شاء رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله أن يعبّر بصراحة عن موقعية أمير المؤمنين عليه السلام في الأمة الخاتمة، فاستحضر تجربة موسى النبي عليه السلام أمام المسلمين، ليدركوا مكانة الإمام عليه السلام في بُعدها الواقعي وما يتطلبه ذلك الموقع من تقدير واهتمام، وطاعة! حيث أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الموقعية بهذه الكلمات: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي**»(١).

فمكانة أمير المؤمنين عليه السلام إذا تمّ استلهامها من النصوص المقدسة فإنّه يحتل موقع الرجل الثاني في هذه الرسالة، وفي هذه الأمة، إلاّ أنّ موقع النبوّة لا يختص بها غير محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما سوى ذلك، فلعليّ في أمة محمّد صلى الله عليه وآله، ورسالته، ما كان لهارون عليه السلام في أمة موسى عليه السلام ورسالته تماماً.

٢ـ رسول الله صلى الله عليه وآله مدينة العلم الإلهي ومصدره وبابها علي بن أبي طالب عليه السلام: «**أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم، فليأتِ الباب**»(٢).

وفي هذا النص المقدس يمثل رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه كما لو كان مدينة للمعرفة الربانية، دون سواه وإنّ لهذه المدينة باباً واحداً يرد الطالبون للمعرفة من خلاله، هو علي بن أبي طالب عليه السلام وهو تصوير رائع يشاء رسول الله صلى الله عليه وآله من خلاله أن يحصر الطريق إلى العلم الإلهي المذكور بعلي عليه السلام، مما يكشف عن

---

(١) صحيح مسلم٧: ١٢٠، والنسائي في خصائصه: ٤٨، وابن الأثير في أسد الغابة٤: ٢٦، ويراجع ابن شهر اشوب١: ٣. لمعرفة المزيد من المصادر.

(٢) شرح الأخبار١: ٨٩، مناقب آل أبي طالب١: ٣١٤، العمدة لابن البطريق: ٢٩٢.

المكانة العظيمة التي يحتلها أمير المؤمنين على مستوى الإحاطة بالتشريع الإلهي، وقوانين الإسلام الحنيف في مختلف شؤون الحياة[١].

٣- هو المطهر من الرجس قولاً وعملاً: أجمع المؤرخون وأصحاب السنن، والمفسرون أن علي بن أبي طالب عليه السلام أحد المطهرين الخمسة من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وصرحت آية التطهير بعلو شأنهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢].

وحتى الذين رووا نزول النص الإلهي المقدس المذكور بأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقطعون كذلك بنزوله في رسول الله، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام.

وهكذا يكون أمير المؤمنين عليه السلام أحد الخمسة المطهرين عليهم الصّلاة والسّلام، الذين أجمعت الأمة على نزول آية التطهير بهم وخصتهم بالتكريم، وعلو المنزلة.

وتعني الآية الكريمة فيما تعنيه إنّ المقصودين بهذا التنزيل المقدس مطهرون قولاً، وعملاً، وإن الآية الكريمة بصدد الإخبار عن

الحالة الواقعية التي يبلغونها على مستوى مطابقة أفكارهم، وسلوكهم لمتطلبات إرادة الله تعالى وحدوده المقدسة، وقيم شريعته الغراء.

تقول السيدة الكريمة أم سلمة[٣] زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص هذا التنزيل المبارك وظروف نزوله ما يلي: «في بيتي نزلت: (إنّما يُريد الله...)، وفي

---

(١) أخرج الحديث كل من: أحمد بن حنبل في مسنده، الترمذي في جامعه الصحيح، الحاكم في المستدرك على الصحيحين٣: ١٢٧، السيوطي في الجامع الصغير١: ٣٧٢، وغيرهم. وللاستزادة يراجع كتاب (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي) للمحدث المعاصر أحمد محمد الغماري المصري ط٢، ١٩٦٩م.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) سنن البيهقي٢: ١٥٠، ابن كثير٣: ٤٨٣، السيوطي٥: ١٩٨، الحاكم في تفسير الآية٢: ٤١٦، تاريخ بغداد٩: ١٢٩، مشكل الآثار١: ٣٣٤، الطحاوي.

١ـ علي هارون هذه الأمة: احتل هارون بن عمران عليه السلام موقع إمامة التجربة التي قادها موسى الرسول عليه السلام في أمته، وكان الرجل الثاني في تلك الرسالة، وفي تلك الأمة، كما هو معروف في تاريخ الرسالات السماوية.

وقد شاء رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله أن يعبّر بصراحة عن موقعية أمير المؤمنين عليه السلام في الأمة الخاتمة، فاستحضر تجربة موسى النبي عليه السلام أمام المسلمين، ليدركوا مكانة الإمام عليه السلام في بُعدها الواقعي وما يتطلبه ذلك الموقع من تقدير واهتمام، وطاعة! حيث أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الموقعية بهذه الكلمات: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي**»[1].

فمكانة أمير المؤمنين عليه السلام إذا تمّ استلهامها من النصوص المقدسة فإنّه يحتل موقع الرجل الثاني في هذه الرسالة، وفي هذه الأمة، إلاّ أنّ موقع النبوّة لا يختص بها غير محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما سوى ذلك، فلعليّ في أمة محمّد صلى الله عليه وآله، ورسالته، ما كان لهارون عليه السلام في أمة موسى عليه السلام ورسالته تماماً.

٢ـ رسول الله صلى الله عليه وآله مدينة العلم الإلهي ومصدره وبابها علي بن أبي طالب عليه السلام: «**أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم، فليأتِ الباب**»[2].

وفي هذا النص المقدس يمثل رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه كما لو كان مدينة للمعرفة الربانية، دون سواه وإنّ لهذه المدينة باباً واحداً يرد الطالبون للمعرفة من خلاله، هو علي بن أبي طالب عليه السلام وهو تصوير رائع يشاء رسول الله صلى الله عليه وآله من خلاله أن يحصر الطريق إلى العلم الإلهي المذكور بعلي عليه السلام، مما يكشف عن

---

(١) صحيح مسلم٧: ١٢٠، والنسائي في خصائصه: ٤٨، وابن الأثير في أسد الغابة٤: ٢٦، ويراجع ابن شهر اشوب١: ٣. لمعرفة المزيد من المصادر.

(٢) شرح الأخبار١: ٨٩، مناقب آل أبي طالب١: ٣١٤، العمدة لابن البطريق: ٢٩٢.

المكانة العظيمة التي يحتلها أمير المؤمنين على مستوى الإحاطة بالتشريع الإلهي، وقوانين الإسلام الحنيف في مختلف شؤون الحياة[١].

٣- هو المطهر من الرجس قولاً وعملاً: أجمع المؤرخون وأصحاب السنن، والمفسرون أن علي بن أبي طالب عليه السلام أحد المطهرين الخمسة من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وصرحت آية التطهير بعلو شأنهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢].

وحتى الذين رووا نزول النص الإلهي المقدس المذكور بأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقطعون كذلك بنزوله في رسول الله، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام.

وهكذا يكون أمير المؤمنين عليه السلام أحد الخمسة المطهرين عليهم الصّلاة والسّلام، الذين أجمعت الأمة على نزول آية التطهير بهم وخصتهم بالتكريم، وعلو المنزلة.

وتعني الآية الكريمة فيما تعنيه إنّ المقصودين بهذا التنزيل المقدس مطهرون قولاً، وعملاً، وإن الآية الكريمة بصدد الإخبار عن

الحالة الواقعية التي يبلغونها على مستوى مطابقة أفكارهم، وسلوكهم لمتطلبات إرادة الله تعالى وحدوده المقدسة، وقيم شريعته الغراء.

تقول السيدة الكريمة أم سلمة[٣] زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص هذا التنزيل المبارك وظروف نزوله ما يلي: «في بيتي نزلت: (إنّما يُريد الله...)، وفي

---

(١) أخرج الحديث كل من: أحمد بن حنبل في مسنده، الترمذي في جامعه الصحيح، الحاكم في المستدرك على الصحيحين٣: ١٢٧، السيوطي في الجامع الصغير١: ٣٧٢، وغيرهم. وللاستزادة يراجع كتاب (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي) للمحدث المعاصر أحمد محمد الغماري المصري ط٢، ١٩٦٩م.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) سنن البيهقي٢: ١٥٠، ابن كثير٣: ٤٨٣، السيوطي٥: ١٩٨، الحاكم في تفسير الآية٢: ٤١٦، تاريخ بغداد٩: ١٢٩، مشكل الآثار١: ٣٣٤، الطحاوي.

البيت فاطمة، وعلي، والحسن، والحسين، فجلّلهم رسول الله، بكساء كان عليه، ثمّ قال: «**هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيرا**»[١]، وفي صحيح الترمذي، وتهذيب التهذيب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، أذهب عنهم الرّجس، وطهّرهم تطهيرا**»[٢].

وفي مسند أحمد بن حنبل إنّ أم سلمة رضي الله عنها قالت: فأدخلت رأسي في البيت، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: «**إنّك إلى خير، إنّك إلى خير**»[٣].

وفي رواية الحاكم في المستدرك قالت أم سلمة رضي الله عنها: يا رسول الله! ما أنا من أهل البيت؟ قال: «**إنّك إلى خير، هؤلاء أهل بيتي، اللّهمّ أهل بيتي أحق**».

وفي تفسير السيوطي، ومشكل الآثار واللفظ للسيوطي: قالت أم سلمة[٤]: نزلت هذه الآية في بيتي: (إنّما يُريدُ الله...) وفي البيت سبعة:

جبريل، وميكال، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وأنا على باب البيت، قلت: يا رسول الله، ألست من أهل البيت؟ قال: «**إنّك إلى خير، إنّك إلى خير، إنّك من أزواج النبي**»[٥].

٤ـ مع القرآن لن يفترقا: وفي النصوص المقدسة التي ترويها صحاح المسلمين إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلن للأمة بصور شتى أن القرآن الكريم، وعلي

---

(١) تفسير الميزان١٦: ٣١٨، الدر المنثور٥: ١٩٨، فتح القدير٤: ٢٧٩،

(٢) سعد السعود: ١٠٧، بحار الانوار٣٥: ٢٢٤.

(٣) الكافي١: ٢٨٧. العمدة: ٣٣، الصوارم المهرقة: ١٤٦، مسند أحمد٦: ٢٩٢، مسند أبي يعلى.

(٤) السيوطي في الدرّ المنثور٤: ١٩٨. ومشكل الآثار١: ٢٣٣.

(٥) الخصال: ٤٠٣. شرح الاخبار٣: ١٣.

بن أبي طالب لا ينفك أحدهما عن الآخر أبداً، فيقول ﷺ: «**علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا، حتّى يردا عليَّ الحوض**»[١].

وإذا كان القرآن الكريم هو المقياس الأساس لسلامة مسيرة المسلمين فكراً، وقيماً، وسلوكاً، فإنّ الملازم لهذا القرآن المجيد، الناطق عنه بعد النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام.

إنّ هذه النصوص المقدسة ذات الصفة الرسمية وآلاف البيّنات غيرها، تعكس بوضوح، وقوة، موقع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ومكانته في الرسالة الإسلامية، كما تعكس الدور المناط به بعد رسول الله ﷺ، الأمر الذي يشكل انطباعاً لدى الأجيال المسلمة عبر الزمان عن مدى مسؤوليتها الشرعية، والتاريخية تجاه ما يقول، وما يعمل، وما يبرم، وما ينقض، حيث يتضح الموقف المسؤول من تجربته السياسية في هذا السياق، ومنها تجربته مع المعارضة السياسية التي تعامل معها في إطار رؤية سياسية شرعية محددة.. سنعيش في ظلالها عبر هذه الدراسة إن شاء الله تعالى!

## مكانة الإنسان في الشريعة الإسلامية

من الحقائق التي نحتاجها في هذه الدراسة، هو معرفة مكانة الإنسان في الإسلام الحنيف إذ لم يحظ كائن في هذا الوجود ـ فيما نعلم ـ بما حظي به النوع الإنساني، من رعاية وتكريم، من قبل الله عز وجل، وأنبيائه عليهم السلام، ورسالاته،

---

(١) فتح القدير٤: ٤٧٠، الشوكاني، الجامع الصغير٢: ١٧٧، مجمع الزوائد٩: ١٣٤، خلاصة عبقات الأنوار٢: ١٦٣، الأمالي: ٤٦٠، الاحتجاج١: ٢١٦، المراجعات: ٧٤، كنز العمال١١: ٦٠٣، وغيرهم. مصدر كثيرة مثل مسند الرضا عليه السلام، ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام، وينابيع المودة.

وتشريعه، فالإنسان في مقياس الله عز وجل مناطة به مهمة خلافة الله عز وجل في أرضه ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾[١].

ومن أجل النهوض بمهمة الخلافة بأجلى صورها، فقد وفّر الله عز وجل لهذا الإنسان كل مستلزمات النهوض بهذه المهمة ذاتياً، وموضوعياً.

فقد وفّر كل مستلزمات الهداية، والرشاد، والنمو، وبناء الحياة السعيدة، وصنع المجد، وبناء الحضارة الإنسانية الكريمة..

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ۞ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٢].

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٣].

كما وفّر الله عز وجل لهذا الكائن مختلف الشروط الموضوعية المادية، والمعنوية لانطلاقته على ظهر هذا الكوكب، من أجل أن يثير الحياة من حوله، ويصنع الحضارة، ويبني المجد الإنساني، وهذه بعض النصوص المقدسة التي تستبطن توفير هذه الإمكانات العظيمة للإنسان.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٤].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۞ وَآتَاكُم

---

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) الأعلى: ١-٣.

(٣) الشورى: ١٣.

(٤) الإسراء: ٧.

**مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾**[١].

ومن أجل أن تتوفر كافة شروط الانطلاق للإنسان بغية بناء الحياة الإنسانية الكريمة، اعترفت الأديان الإلهيّة، بكل القوى الروحية، والمادية التي يتمتع بها هذا الكائن الإنساني، لصونه من كل منافذ الانحراف، أو الحرمان.. واختلال التوازن..

**«لم يرسلني الله تعالى بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنيفية السهلة، السمحة: أصوم، وأصلي، وألمس أهلي، فمن أحب فطرتي، فليستنَّ، بسنّتي..»**[٢].

**«إنّ لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا، وأفطروا، وقوموا، وناموا، فإنّي أقوم، وأنام وأصوم، وأفطر، وآكل اللحم، والدسم، وآتي النساء، ومن رغب عن سنّتي، فليس منّي..»**[٣].

**﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**[٤].

وبناء على ذلك، فإنّ الشريعة الإلهيّة الّتي خوطب بها الناس من خلال سفراء الله تعالى، ورسله عليهم السّلام إلى الخلق اهتمت في أحكامها، وقيمها بتناول الإنسان، كما خلقه الله تعالى، دون إلغاء لبعض مقوماته التكوينية لحساب الأخرى..

---

(١) إبراهيم: ٣٢-٣٤.

(٢) الكافي٥: ٤٩٤، باب النكاح.

(٣) كلمة الرسول: ١٢٤، السيد حسن الشيرازي، جواهر الكلام٢٩: ٢٧، بحار الأنوار٢٢: ٢٦٤، مستدرك سفينة البحار١٠: ١٤٤.

(٤) القصص: ٧٧.

فقد تناول الإسلام الحنيف في تشريعاته، وأحكامه: غرائز الإنسان كلّها، وأشواقه العليا، وجوعاته الطبيعية دون تزوير للحقيقة أو تغطية على الواقع، كما اتضح من النصوص السابقة، ويتجلى من غيرها ممّا يحملها الكتاب العزيز، وسنّة المعصوم عليه الصّلاة والسّلام..

ويتضح من خلال قراءة المنهج الإلهي في التشريع أن مصالح الإنسان، وسعادة البشر، وخيرة، هي الأهداف المركزية لمسيرة التشريع، وتكييفه..

## مصلحة الإنسان مقدمة على الأحكام الإلهيّة

ومن مزايا الشرائع الإلهيّة، التي شهدها تاريخ الإنسان الرسالي، إنّها تخضع للتغيير، والتطوير تبعاً للتغيرات في النمو الحضاري للإنسان، وتعدد حاجاته، وتراكم تجاربه في قهر الطبيعة، وفي تطور علاقاته الاجتماعية والسياسية.

صحيح إن الشرائع الإلهية التي شهدها الإنسان عبر تاريخه ظلت متمسكة بروحها، وأهدافها المركزية من العبودية لله عزّ وجلّ، واتّباع رسله، والتوفر على الإيمان باليوم الآخر، إلاّ أن الصيغ القانونية لهذه الرسالات، وتفصيلات تشريعاتها، وتكييفها حسب الظروف، والحاجات الإنسانية عبر الزمان، والمكان، يختلف من عصر لعصر، ومن أمة لأمة..، وهذه التغييرات يصطلح عليها في تاريخ الشرائع، وتطوراتها بظاهرة (النسخ).

يتحدث الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام عن ظاهرة النسخ ومراميها فيقول: «**إنّ الله رفيق يحب الرفق، فمن رفقه، بعباده، تسليله أضغانهم، ومضادتهم لهواهم وقلوبهم، ومن رفقه بهم، إنّهم يدَعَهم على الأمر يريد إزالتهم عنه، رفقاً**

**بهم لكيلا يلقي عليهم عرى الإيمان، ومثاقلته جملة واحدة، فيضعفوا، فإذا أراد نسخ الأمر بالآخر، فصار منسوخاً»**[١].

فالأصل في تغيير الأحكام أو نسخها، وتبديلها بأحكام أخرى، إنّما هو لمراعاة مصالح الناس، وتطور أحوالهم، وهكذا، فإنّ التشريع الإلهي يدور مدار مصلحة الناس، وحاجاتهم الإنسانية، والزمانية، والمكانية، وفي الشريعة الإسلامية الخاتمة العشرات من الأرقام والنماذج على تغيير الأحكام، والتشريعات، رعاية لمصالح الناس، وظروفهم، وانسجاماً مع حاجاتهم الأساسية، ومراعاة لحالات الضعف الإنساني وقوتها:

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ۝الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[٢].

وفي المنظومة التشريعية لدين الله الخاتم نجد العشرات من النماذج التي تؤكد على أن الإنسان، وحياته، مقدم على التشريع الإلهي، مهما كان مقدساً وضرورياً، وهذه نماذج من التشريعات بهذا الخصوص:

١ـ إنّ من أشد المحظورات في التشريع الإسلامي تعاطي أكل الميتة، والدم، وأمثالها من أمور، إلاّ أنّ الشريعة تضحي بحدودها لصالح الإنسان إذا توقفت حياته على تناول هذه المحظورات.

---

(١) الكافي ٢: ١١٨، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، بحار الأنوار ٧٢: ٥٦.

(٢) الأنفال: ٦٥-٦٦.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ..فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

٢ـ تعد فريضة الصلاة في الإسلام الحنيف من أهم العبادات التي يقيمها العباد لله عز وجل، ضمن شروط وضوابط محدودة لا يصلح تجاوزها.

ومنها: أنّ هذه العبادة تخل بها الكلمة الواحدة، الخارجة عن إطارها ومضمونها، ورغم خصوصية هذه العبادة، وتميزها وصرامة قيودها، فإن الشريعة تجيز للمصلي أن يرد (السلام) على من يبتدئه بالتحية، إكراماً له، ورعاية لشأنه... كما يجب أن يقطع المصلي صلاته من أجل إنقاذ غريق أو استرداد مال، أو إنقاذ نفس محترمة من الوقوع في الهلكة.

٣ـ والمصابون بداء العطش يبيح لهم الشرع أن يتناولوا من الماء أثناء الصيام الواجب، ما يدفع عنهم الضرر.

٤ـ والحامل المقرب يباح لها أن تترك الصيام الواجب إذا أضرّ بها الصيام أو بجنينها.

٥ـ والمرأة المرضع يبيح لها الشرع التخلي عن الصيام إذا أضر الصيام بطفلها، إذا قلّ لبنها!

٦ـ ويقطع المؤمن طوافه المندوب في الحج من أجل قضاء حاجة المؤمن..

روى الحر العاملي بإسناده عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ما يلي: «عن صفوان الجمال رحمه الله قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يأتي أخاه، وهو في الطواف. فقال: **يخرج معه في حاجته، ثمّ يرجع، ويبني على طوافه**»[2].

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) الحدائق الناضرة١٦: ٢١٧، جامع المدارك٢: ٥٠٤، وسائل الشيعة١٣: ٣٨٢.

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «**قضاء حاجة المؤمن أفضل من طواف، وطواف، وطواف، حتى عدَّ عشراً**»[١].

إنّ تجاوز الشريعة لحدودها، وتعطيلها لقوانينها في هذه الحالات وسواها، إنّما يتحقق عندما تتعرض مصالح الإنسان، وحياته للخطر أو الضرر أو هتك الحرمة أو غيرها..

إن هذه المكانة التي يحتلها الإنسان في الرسالة الإسلامية تستبطن العديد من الحقائق الرفيعة، ونذكر منها ما يلي:

## الإنسان وضرورة الشعور بالعزة

وبناء على هذه النظرة الإلهيّة للإنسان، ومكانته المتميزة بين الموجودات، فإنّ الإنسان ذاته فرداً كان أو جماعة ليس من حقه هو أن يضحي بكرامته ومكانته التي أحلّه الله تعالى بها، فكما لا يصح أن يعتدي أحد أو جهة أو قانون على الإنسان، وكرامته، كذلك لا يصلح بحال أن يضحي الإنسان بكرامته..، ومن أجل ذلك فإنّ الله عزّ وجلّ، يقول ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...**﴾[٢]، كذلك يؤكد النص الشريف الوارد عن المعصوم عليه الصلاة والسلام ما يلي: «**إنّ الله يفوّض للمؤمن أموره كلّها، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه**»[٣]، فليس للإنسان أن يباشر الأعمال، والنشاطات التي تذله وتطفف من كرامته، وسمعته، ومكانته أبداً، لأنّ تلك المكانة تمثل موقعاً إلهيّاً حدده لعباده، فلا يصح أن يتجاوزه العباد، بأيّة ذريعة مادية أو معنوية أبداً.

---

(١) وسائل الشيعة١٢: ٣٨٣، الكافي٢: ١٩٤، نهج السعادة٨: ١٣٥.

(٢) المنافقون: ٨.

(٣) الطفل بين الوراثة والتربية٢: ٣٤٥، الشيخ محمد تقي فلسفي، التحفة السنية: ٥٩، الكافي٥: ٦٣.

وفي ذلك السياق وضع الإسلام الحنيف قيوداً لا يجوز تجاوزها بالنسبة للناس بعضهم، لبعض، فالإسلام يضع حظراً على إهانة المؤمن أو تحقيره، أو الإقلال من شأنه، حضورياً أو غيابياً، كما أن الإسلام يحول بين الناس وبين تتبع عثرات بعضهم بعضاً، أو التجسس على بعضهم البعض، وهتك حرماتهم، أو حقوقهم، أو التجاوز عليهم بقول أو فعل..

وشخصية الإنسان في الشريعة الإسلامية محترمة الحدود، موفّرة الكرامة، موفورة الحظ في الحرية والأداء ما لم تتجاوز على حقوق الآخرين، وقوانين الشريعة التي وضعت لصالح الإنسان، وخيره، وتحقيق سعادته، ونورد هنا بعضاً من النصوص الشريفة التي توفر هذه الحصانة القانونية للإنسان، رعاية لحرمته، وكرامته وصوناً لشخصيته:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المؤمن حرام كلّه: عرضه، وماله، ودمه**»[1].

وفي حديث مفصل حول الحقوق والواجبات عامة يقول الإمام أبو الحسن علي بن الحسين السجاد عليه السلام حول حقوق سائر أفراد الأمة ما يلي:

«**وحق أهل ملّتك، إضمار السلامة لهم، والرحمة لهم، والرفق بمسيئهم، وتألفهم، واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكفّ الأذى عنهم، وتحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبابهم بمنزلة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أمك، والصغار بمنزلة أولادك...وحق الذمّة أن تقبل منهم، ما قبل الله عز وجل منهم، ولا تظلمهم، ما وفوا لله عز وجل بعهده**»[2].

ومن وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام لولده محمد بن الحنفيّة عليه السلام جاء فيها:

---

(١) تحف العقول: ٥٧ ابن شعبة الحراني، مستدرك الوسائل٩: ١٣٦.

(٢) بحارالأنوار٧١: ٩. الأمالي: ٤٥٦، أهل الملّة: المسلمون عموماً، الذمّة: غير المسلمين ممن دخلوا في ذمة المسلمين بعهد.

**«إلزم نفسك التودد، وصبِّر على مؤنات الناس نفسك، وأبذل لصديقك نفسك، ومالك، ولمعرفتك رفدك، ومحضرك، وللعامة بشرك ومحبتك، ولعدوك عدلك، وإنصافك، واضننْ بدينك، وعرضك عن كل أحد، فإنّه أسلم لدينك، ودنياك»**[1].

هذا وينطوي القرآن الكريم والسنّة الشريفة على مئات النصوص الكريمة التي ترسخ مفاهيم المحبة بين الناس، وحسن المعاشرة، والوحدة، والألفة، ونبذ العدوان بين الناس، ممّا يعكس روح الإسلام الحنيف، وقيمه في تكريم الإنسان، ورعايته، وصيانة وجوده، وكرامته[2].

إنّ هذه النظرة الإنسانيّة السامية للإنسان، التي يتمسك بها الإسلام الحنيف، ويعمق ركائزها، ويدعو إليها، منذ بداية مسيرته المباركة في مكة المكرمة، قد جعلها أمير المؤمنين عليه السلام أساساً لتجربته الثقافية والاجتماعية، والسياسية، منها ينطلق، وعليها يعتمد من أجل خلق تجربة إسلامية ـ إنسانية رائدة على ظهر هذا الكوكب الأرضي..

فما تراه الأجيال المتعاقبة من عدل، وتسامح، ورعاية للإنسان وصيانة لحقوق الناس، واهتمام بخيرهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة وإصرار منقطع النظير على إقامة المعروف، وهدم ركائز الظلم، وإشاعة الخير، والحب، وإلغاء التمييز القومي، أو القبلي أو الديني أو غيره والإطاحة بكل ألوان العدوان على عباد الله... أقول: إنّ ما يراه الناس من هذه المصاديق في تجربة أمير المؤمنين عليه السلام، وسياسته العملية، إنّما هي تطبيق لروح الإسلام الحنيف، وإرادة الله الرحمن الرّحيم لعباده من الخير والرحمة، وإشاعة العدل، وليس ذلك

---

(١) بحارالأنوار٧٤: ٣٩١، الخصال: ١٤٧، نهج السعادة٧: ٢٣٢.

(٢) راجع بحار الأنوار: مجلد ٧٤ و٧٥.

اجتهاداً من علي أمير المؤمنين عليه السلام أو ميلاً أو رغبة، وإنّما هو منهاج الله عزّ وجلّ لعباده الذي صدع به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأقصاه الظالمون عن ميدان العمل، فلمّا أتيحت الظروف، وتوفرت الفرص لأمير المؤمنين عليه السلام، باشر بعملية تنفيذ ذلك المنهاج الإلهي العظيم في خطوات جريئة هزّت أركان الأجهزة النفعية، والكيانات الوصولية في المجتمع، ممن يهمهم استمرار التزييف لرسالة الله تعالى، والافتئات على منهاجه الإنساني المقدّس..

ومن أجل ذلك شهدت تجربة الإمام علي عليه السلام مواجهات قاسية وردود فعل مريرة من أجل إحباط مشروعه الإصلاحي الكبير لإعادة المسيرة إلى خطها الإلهي المرسوم.. فكانت أحداث البصرة، والنهروان، وصفين، وأمثالها من مواجهات دموية كبيرة، إضافة إلى مختلف أشكال التآمر، والتصدي، السياسي، والإعلامي، والاجتماعي ووضع الخطط التآمرية من أجل تعويق مشروع النهضة الإلهيّة الكبرى التي قادها وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام!

# أرضية المعارضة

# في عهد الإمام عليه السلام وعوامل نشوئها!

تختلف المعارضة السياسية التي ظهرت في عهد أمير المؤمنين عليه السلام عن المعارضة التي ظهرت في عهود الخلفاء الذين سبقوه تاريخياً أو المعارضة التي واجهت الحكم الأموي بعد ذلك، من حيث الأهداف والدوافع والرؤية وظروف التأسيس والمصالح ـ كما سيتضح في فصول قادمة ـ.

فالمعارضة السياسية التي قاومت تجربة الإمام علي عليه السلام، وأصرت على تقويضها، قد أنشأتها ظروف، وملابسات تختلف عن ظروف تكوين المعارضة السياسية التي نشأت قبل ذلك، وفيما بعد..

وإذا رصدنا الجذور التاريخية التي ساهمت في تشكيل الأرضية لظهور تلك الأحزاب والمجموعات، والكتل السياسية المعارضة لعليّ عليه السلام، وبرنامجه الإصلاحي الواسع، فإننا نجد ما يلي:

## أولاً: العامل الثقافي

بويع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة الزمنية يوم الجمعة في الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة عام خمسة وثلاثين من الهجرة، وبين هذا التاريخ، ويوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في مطالع عام ١١هـ عقدان ونصف، حيث

تغيّرت كثير من الثوابت والحقائق، والمفاهيم، والأحداث، ونشأ جيل جديد في وعيه وطموحه، وتغيّرت كثير من الوجوه أما بالموت أو الشهادة أو بالمواقف، أو تغيّر الأوطان..

ومن أبرز المتغيرات التي حدثت في تلك السنوات الخمس والعشرين كان التغيير الثقافي الواسع في المجتمع، وفي منابع الثقافة، والتوجيه.

فقد ارتأى الحكم منذ بداية خلافة أبي بكر - بغض النظر عن الدوافع والأهداف - أن يتحكم في الحركة الثقافية للمسلمين ويؤمها والتي كان مصدرها أساساً كتاب الله العزيز، والسنّة النبويّة الشريفة التي تشكل كماً هائلاً من الأحاديث، والتصريحات، والخطب، والنشاطات والمواقف النبوية المختلفة[1]...

ويلاحظ أن حكومة البطون القرشية التي نشأت بعد مؤتمر السقيفة الذي عقد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببضع ساعات كانت قلقة جدا من قطاع واسع من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، خصوصاً تلك الأحاديث التي تعكس مفاهيم سياسية تدين مسيرة الحكم الجديد وبعض رجالاته ومقربيه، بدرجة، وأخرى..

ففي بعض الأحاديث النبوية تجسيد لمضمون الحكومة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتشخيص لمن يلي مهمة قيادة المسلمين فكرياً وسياسياً، كما تعكس ذخيرة من النصوص النبوية الشريفة حقيقة بعض القوى، وبعض العناصر، ومواقفها السلبية، من النبوّة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والدعوة الإلهيّة، وحقيقة قوى أخرى، ودورها المشرف في خدمة الإسلام!

وحيث إنّ رصيداً كبيراً من الأحاديث النبويّة تأخذ هذا المنحى سواء ما كان من الأحاديث التي قيلت في مناسبات معينة أو كانت تلك الأحاديث التي

---

(١) السنّة النبويّة عند المسلمين هي: قول، وفعل، وتقرير المعصوم عليه السلام.

أوضحت مداليل بعض الآيات، والسور، وفصلت في مضامينها المجملة في نصوص القرآن الكريم..، ولذا فان حكومة الخلافة التي نهضت بقيادة المسلمين بعد النبيﷺرأت حرجاً شديداً من شيوع تلك الأحاديث وتلك الثقافة، وانتقالها إلى الأجيال القادمة وإلى شعوب البلاد التي فتحت حديثاً، لأنّ شيوع مثل تلك النصوص سيجرد الحكومة وشخوصها المهمة من شرعيتها، وقيمتها المعنوية التي تحتاجها كل حكومة، وكل حاكم عادة، إضافة إلى أنّ تلك النصوص ترشد المسلمين عبر الأجيال وتأخذ بأعناقهم إلى قوى، وشخوص، عملت السلطات الرسمية على إبعادها عن مواقعها الطبيعية في قيادة التجربة الإسلامية الرشيدة..

ومن أجل ذلك قامت القيادة الرسمية بعد النبيﷺباتخاذ إجراءات (ثقافية) صارمة لمواجهة هذه الحالة التي تهدد وجودها بالخطر حاضراً، وخطها السياسي مستقبلاً.

وقد تركزت تلك الإجراءات عملياً على محاربة السنّة النبويّة بشكل عام، لصعوبة حصر النصوص (السياسية) وما يتعلق منها بتقويم الأشخاص والقوى..

وهكذا اتخذت تلك الإجراءات التاريخية الصارمة مسارين اثنين:

١ـ تبني الحكومة خطة واسعة لمنع تدوين السنة النبويّة، أو نشرها وملاحقة المخالفين لتلك الإجراءات قانونياً.

أ ـ فقد روى الذهبي أن الخليفة أبا بكر جمع الناس بعد وفاة رسول اللهﷺ، فقال: إنّكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول اللهﷺشيئاً، فمن سألكم، فقولوا: «بيننا، وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرموا حرامه»[1].

---

(١) تذكرة الحفاظ١: ٢ـ٣، الخلاف١: ٢٩، مكاتيب الرسول١: ٦٣٣، أضواء على السنة المحمدية: ٤٦.

ب ـ وتحدث الصحابي قرظة بن كعب الأنصاري قال: لمّا سيّرنا عمر إلى العراق، مشى معنا عمر إلى صرار، ثمّ قال: أتدرون لِمَ شيّعتكم؟ قلنا: أردت أن تشيّعنا، وتكرمنا، قال: إنّ مع ذلك لحاجة إنّكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن، كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله، وأنا شريككم! قال قرظة: فما حدثت بعده حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله ...[1]، وفي رواية: فلما قدم قرظة ـ إلى الكوفة ـ أظهر الناس شوقهم لسماع شيء عن رسول الله صلى الله عليه وآله، لاسيّما وإن جلّهم لم ير الرسول صلى الله عليه وآله، ولم يسمع منه، فقال قرظة: نهانا عمر[2].

ج ـ اعتقال الناشطين في نشر حديث الرسول صلى الله عليه وآله: وروى الذهبي: إن عمر بن الخطّاب حبس ثلاثة من الصحابة، بتهمة نشر الحديث النبوي هم: ابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو مسعود الأنصاري، وأعلمهم إنّ سبب فرض الإقامة الجبرية عليهم كان: نشرهم لحديث رسول الله[3].

وفي طبقات ابن سعد إنّ عمر بن الخطّاب قام بأكبر عملية مصادرة لمدونات السنّة النبويّة الشريفة، إذ دعا الناس لاطلاعه على حصيلة ما دوّنوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله من أحاديث «فلمّا أتوه بها أمر بتمزيقها»[4].

إنّ هذه الإجراءات الرسمية الصارمة وغيرها كثير قد زرعت حالة من الإرهاب الفكري الواسع في صفوف الصحابة، والتابعين، وقد فعلت فعلها الخطير في كيان الأمة لعدة عقود حيث استمرّت عملية منع التدوين لحديث رسول

---

(١) وسائل الشيعة١: ١١، أضواء على السنة المحمدية: ٥٥، الطبقات الكبرى٦: ٧، تذكرة الحفاظ١: ٧، كشف اليقين: ١١.

(٢) تذكرة الحفاظ١: ٤ـ٥، وابن عبد البر بثلاثة أسانيد في جامع بيان العلم ـ باب ذكر من ذمّ الإكثار من الحديث دون التفهم له٢: ١٤٧.

(٣) تذكرة الحفاظ١: ٧، مصدر سابق، ترجمة عمر، أضواء على الصحيحين: ٤٩.

(٤) الخلاف١: ٢٩، وسائل الشيعة١: ١٠، الطبقات الكبرى٥: ١٨٨، سير أعلام النبلاء٥: ٥٩.

اللهﷺرسمياً من عام ١١هـ حتى عام ١٤٥هـ، أي إلى خلافة الحاكم العباسي المعروف أبي جعفر المنصور.

وتشير المعلومات التاريخية المؤكدة حول تأثير هذه الخطة الثقافية الصارمة إلى توقف عملية التدوين للسنّة النبويّة بشكل كامل، إضافة إلى توقف عملية نشر الحديث شفاهاً.. قال الشعبي: جالست عبد الله بن عمر سنة، فما سمعته يحدث عن رسول الله[1]!

وقال السائب بن يزيد: «خرجت إلى مكة مع سعد بن أبي وقاص ـ الصحابي المعروف ـ فما سمعته يحدث حديثاً عن رسول الله، حتى رجعنا إلى المدينة»[2].

ويقول أبو هريرة: «ما كنّا نستطيع أن نقول: قال رسول الله، حتى قبض عمر»[3].

هذا وقد رافقت هذه الإجراءات عمليات مخططة لوضع الحديث في مختلف المجالات لاسيّما في الأمور السياسية، كتعظيم الحكّام، وحرمة الثورة عليهم أو محاسبتهم، وفي رفع شأن بعض المعاصرين للنبيﷺممن لا حظّ لهم في جهاد أو دين، أو علم، وفي تشويه سمعة آخرين من الصحابة، والتقليل من شأنهم، وقد تصدى لهذه العمليات: كعب الأحبار (يهودي سابق)، وتميم الداري (نصراني سابق)، وعروة بن الزبير، وأبو هريرة الدوسي، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم، ممن افتعلوا الأحاديث على لسان النبيﷺورووها

---

(١) أضواء على الصحيحين: ٤٩، سنن ابن ماجة١: ١١، المصنف٦: ٣٠١، معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري: ١١.

(٢) سنن الدارمي١: ٨٥٨٤، باب من هاب الفتيا بكتاب العلم، وسنن ابن ماجة١: ١٢، أضواء على السنة المحمدية: ٥٥، الطبقات الكبرى٣: ١٤٤، مكاتيب الرسول١: ٦٥٣.

(٣) البداية والنهاية٨: ١١٥، الإيضاح: ٥٣٧، مكاتيب الرسول١: ٦٣٦، أضواء على السنة المحمدية: ٢٠١، تاريخ مدينة دمشق٦٧: ٣٤٤.

مشوهة، أو اهتموا برواية الإسرائيليات أو غير ذلك، حيث تكوّنت ثقافة خليطة، لا يميز فيها الغث من السمين، والأصيل، من الموضوع، حتى طالت هذه العملية مختلف شؤون الثقافة الإسلامية بمرور الزمان من التفسير إلى العقيدة إلى الأحكام إلى السيرة إلى غير ذلك... خصوصاً وإن تلك الخطة، وما يرافقها من آليات كانت مدعومة رسمياً من قبل الدولة، وإن المعارضين لها يواجهون بالقمع، والتنكيل، والأبعاد، والخوف..

٢ـ ومن الطبيعي أن يطال هذا الانقلاب الثقافي، وأبرز مظاهرها: عملية (المحاصرة للسنّة النبويّة) التفسير النبوي للقرآن الكريم، وشرح مضامينه.

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه القرآن: سورة أو آية أو آيات يباشر بشرح مدا ليلها لصحابته، ليفيدوا منها علماً، أو عملاً، لاسيّما وإن جلّ آيات القرآن الكريم تحتاج إلى شرح، وتفصيل، ممن يدرك أسرار الوحي الإلهي الذي يأتي مجملاً في الأعم الأغلب كما يتضح من آيات الصلاة، والزكاة ـ مثلاً ـ التي لا تتحدث عن عدد ركعات، ولا عن قيام، ولا جلوس، ولا ذكر، ولا قراءة، ولا عن علاج للشكوك أو السهو في الصلاة، وما إلى ذلك. كذلك الحال بالنسبة إلى الزكاة ـ في مثالنا ـ حيث لا يتحدث الكتاب العزيز عن نصاب الزكاة، ولا عن مصادر الزكاة، ولا طرق توزيعها أو جبايتها، وما إلى ذلك من أمور، وكذا في سائر الأحكام، والمفاهيم، والعقائد، والقيم، ومعالجات المشاكل الاجتماعية، والسياسية.

ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفصل هذا الإجمال، ويفك الرموز، ويرشد إلى صور التطبيق لأحكام الله عز وجل، ومراده من العباد، وكان غالبية الكتّاب من الصحابة يدوّنون ذلك التوجيه في مصاحفهم، إلى جانب النص القرآني.

وقد رحل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وترك لدى المسلمين قرآناً مشروحاً بوحي من الله تعالى أيضاً، فكان القرآن الكريم وحياً بلفظه ومعناه، وشرحه وحياً بمعناه لا بلفظه، وهذا هو الفرق بين كلام الله تعالى، وكلام رسول الله ﷺ، فالأول وحي بمعناه ومبناه، والآخر وحي بمضمونه، إلاّ أن لفظه لرسول الله ﷺ..

وكان من التفسير النبوي للقرآن الكريم ما يعطي انطباعاً سيئاً عن بعض وجوه قريش، وبعضه ما يمتدح، ويعلي من شأن قوم آخرين[١]، وكان القرآن بهذه الصيغة المتداولة بين الناس يقلق أطرافاً مهمة في الوضع السياسي الجديد، لاسيّما إذا شاعت تلك المصاحف في الأمصار والقبائل العربية والشعوب التي دخلت الإسلام حديثاً من بلاد فارس، وبلاد الروم، وفي أفريقيا، وغيرها.

ولذا فقد سارعت أعلى الأجهزة في الدولة إلى الحيلولة دون انتشار تلك المصاحف المشروحة، فاتخذت الحكومة قراراً بتجريد القرآن الكريم من شروحه ليوضع بين أيدي المسلمين في العالم مجرداً من شرحه.

وقد باشرت الحكومة بهذه المهمة في عهد الخليفة أبي بكر، مروراً بالخليفة عمر بن الخطّاب الذي كان رائد هذه الثورة الثقافية، فقد كان عمر يصدر التوجيه تلو التوجيه: «جرّدوا القرآن ولا تفسّروه، وأقلوا الرواية عن رسول الله، وأنا شريككم»[٢]، وانتهاء بالخليفة عثمان بن عفّان[٣] الذي أنجزت المهمة في عصره حيث دوّن مصحفاً مجرداً عن شرح النبي ﷺ لآياته، سمي تاريخياً (بالمصحف الإمام)، وقد استنسخت عليه مجموعة من المصاحف، وزعت في

---

(١) ملحق رقم١، من تفسير الميزان١٣: ١٥٧-١٥٨. ومناقب ابن المغازلي الشافعي: ٣٠٢.

(٢) ابن أبي الحديد ١٢: ٩٣، الغدير٦: ٢٩٤، شرح نهج البلاغة١٢: ٩٣.

(٣) للتفاصيل راجع: القرآن وروايات المدرستين١: ٢٧٦ وما بعدها، تدوين القرآن: الشيخ علي الكوراني.

حواضر المسلمين الكبرى، مثل مكة المكرمة، ودمشق، والكوفة، والبصرة، والفسطاط، علاوة على المدينة المنوّرة عاصمة الدولة، وأحرق الخليفة عثمان ماعدا هذه المصاحف الرسمية المتبناة حتى لقب بحرّاق المصاحف!

وقد برِّرت هذه العملية تاريخياً إنّها جرت من أجل جمع الناس على لهجة واحدة!! وهو تبرير مضحك، لأنّ القرآن نزل بلهجة واحدة كما نعلم، هي لغة قريش، ولهجتها!

وقد بقي أهل الكوفة مصرّين على قراءة مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه [١] الذي كان يحمل شروحاً نبوية لآياته، وسوره كلاً، أو جزء، إلاّ أن التاريخ المدوّن لم يعطِ توضيحاً عن كيفية معالجة موقف أهل الكوفة ذلك، وكيف نجحت الحكومة في مصادرة مصحفهم، واستبداله بالمصحف الرسمي! إلاّ أن المستشرق الألماني كارل بروكلمان يقطع أن طريقة عثمان في جمع المصحف الشريف، واستبعاده للمفاهيم التي تذم الأمويين، وتلعنهم اعتبرها الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود تحريفاً [٢] للقرآن الكريم، حيث كان الصحابي المذكور من خبراء التنزيل، وكان مصحفه يشتمل النص الإلهي للقرآن، وشروح الرسول صلى الله عليه وآله لآياته التي كان ابن مسعود أحد المدونين لها.. كما إن المستشرق المذكور يعتبر هذه المسألة أحد الأسباب الرئيسية للثورة على عثمان التي انطلقت من الكوفة. هذا ومن الجدير بالذكر أن عبد الله بن مسعود كان يصر على أن مصحفه الذي علمه للناس في الكوفة هو القرآن الكريم دون سواه، وكان يدعو الناس إلى إخفاء مصاحفهم، وعدم التجاوب مع مشروع الحكومة في تجريد المصاحف من شروحها النبوية[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ ٣ : ١١٢ .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية : ١١٢ ، بروكلمان ترجمة منير البعلبكي.

(٣) مصاحف ابن أبي داود ١ : ١٧ .

## ثانياً: العامل السياسي

من خصائص هذه الأمة الشاهدة على الخلق، إنّ النبوة هي التي صاغت الإطار العام لحياتها، وحركتها الحضارية على ظهر هذا الكوكب، ومن أجل ذلك، فإنّ تعاليم النبوّة، ومنطقها، هي التي صاغت برامجها الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، كذلك صاغت ذوقها، ونظرتها للحياة، وما يدور فيها من ظواهر، وأحداث.

وضمن المنظومة التشريعية التي صدع بها النبي الخاتمﷺتتبلور أطروحة سياسية صدع بها النبيﷺعبر محددات، وصيغ، ومفاهيم لا تلتبس بها الأذواق السليمة إذا تركت على سجيتها وذوقها، نذكر منها، هذه الأبعاد، والملامح:

أ ـ أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن سمرة عن رسول اللهﷺ: «سمعت النبيﷺيقول: يكون إثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: قال: كلهم من قريش»[١]، وفي رواية «لا تضرهم عداوة من عاداهم»[٢].

ب ـ وروى أحمد بن حنبل، والحاكم وغيرهما، واللفظ للأول عن مسروق قال: «كُنّا جلوساً ليلة عند عبد الله (ابن مسعود)، يقرئنا القرآن، فسأله رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول اللهﷺ، كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سألناه، فقال: إثنا عشر عدة نقباء بني إسرائيل»[٣].

---

(١) المهذب١: ١٩، عيون إخبار الرضاعليه السلام٢: ٥٤، مسند أحمد٥: ٨٧، صحيح البخاري٨: ١٢٧، المعجم الكبير٢: ٢١٤، البداية والنهاية١: ١٧٧.

(٢) فتح الباري لابن حجر١٣: ١٨٢، أضواء على السنة المحمدية: ٢٣٤.

(٣) مسند أحمد١: ٣٩٨ و٤٠٦. وقال أحمد شاكر في الهامش: إسناده صحيح، مستدرك الحاكم، فتح الباري١٣: ١٨٣ مختصراً، مجمع الزوائد٥: ١٩٠، الصوارم المهرقة: ٩٣، الجامع الصغير١: ٥٧، ابن كثير في تاريخه عن ابن مسعود٦: ٢٤٨ـ٢٥٠، وغيرها من مصادر.

وقد أورد هذا المضمون كثير من رجال الحديث، بألفاظ متفاوتة مثل ابن كثير في تاريخه، ومسلم في الصحيح، والمتقي الهندي في كنز العمال، والبخاري في الصحيح، والحسكاني في شواهد التنزيل، وغيرهم، فماذا تفيد هذه المضامين النبويّة من فهم سياسي، وماذا تشيع هذه الكلمات من قيم، وما تتركه من ظلال؟

وهذه جملة حقائق سياسية تعكسها هذه التصريحات الصادقة:

١ـ إنّ عدد أئمة الحق الذين يلون أمر الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلفاء وورثة له إثنا عشر إماماً لا يزيدون ولا ينقصون وبعد أن تخلو الأرض من آخرهم تقوم الساعة.

**«لا يزال هذا الأمر قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة»**[1].

٢ـ تشير الأحاديث السابقة إلى أن أمر الدين ماضٍ مادام أحد من هؤلاء الأطهار موجوداً، فإذا مات ماجت الأرض بأهلها.

ج ـ لا خليفة حق للرسول صلى الله عليه وآله وسلم غير هؤلاء الأبرار وما سواهم ليس خليفة ولا وصياً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **«يكون من بعدي من الخلفاء عدة أصحاب موسى»**، فقد حصرت الخلافة بالإثني عشر عليهم السلام دون أحد سواهم.

٣ـ يستفاد من الأحاديث أنه لابدّ من تمتع أحدهم بعمر طويل جداً لكي يستوعب وجودهم المقدس مسيرة الأمة حتى قيام الساعة، وهذه الحقيقة تفسرها النصوص المصرحة بوجود المهدي من آل محمّد صلّى الله عليهم أجمعين وطول عمره الشريف الخارق للعادة.

ح ـ روى مائة وعشرة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو يزيد ـ إنه صلى الله عليه وآله وسلم خطبهم في غدير خم بعد عودته من حجة الوداع، وذلك ظهر اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة

---

(١) المهذب١ : ١٩، الإمامة والتبصرة: ١٥١، الخصال: ٤٧٣، مناقب آل أبي طالب١ : ٢٤٩.

الحرام عام ١٠هـ، ونص في خطابه المذكور على أن إمام المسلمين وزعيم الناس وقائدهم بعده علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا نص حديثه كما رواه الصحابة رضي الله عنهم: **«من كنت مولاه، فعليّ مولاه.. اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»**[1].

د ـ وأخرج الحافظ ابن المغازلي الشافعي تـ٤٨٣ بإسناده عن عبد الله بن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«لكل نبي وصيٌّ، ووارث، وإنّ وصيي، ووارثي علي بن أبي طالب»**[2].

إنّ هذه النصوص المقدسة هي بعض ما ورد بشأن إمامة المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن يليها، وما هي خصائص الحاملين للوائها.

بيد إنّ زعامة قريش لم ترَ بداً من تجاوز هذه النصوص، وأمثالها، حيث حكّمت في حياة المسلمين السياسية منذ ذلك التاريخ مفهوم سيادة قريش على المسلمين، وهو منطق يتجاوز المنطق النبوي في أفضل أحواله، وإن كان قد تلبّس بمعاذير معينة من أجل التبرير السياسي، وأهم تلك التبريرات ما يلي:

١ـ إنّ الأحاديث النبوية التي تتعلق بأمور الحياة، وتنظيم المجتمع ليس من الضروري أن يلتزم بها المسلمون خلافاً لنصوص العبادة، وما إليها وشأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمور الحياة شأن أي إنسان آخر[3].

وهنا نجد بعض النصوص والوثائق التي تعكس الثقافة التي كانت زعامة قريش تشيعها في المجتمع، وتهيئ من خلالها الأرضية المناسبة لتخطي الكثير من نصوص النبوّة الخاصة بشؤون حياة المسلمين..

---

(١) أنظر مصادره وأسانيده في كتاب الغدير: الشيخ عبد الحسين الأميني، وكتاب حديث الغدير (للمؤلف).

(٢) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ١: ٣٨٦، وأخرجه أخطب خوارزم في المناقب بنفس السند واللفظ: ٨٥، وقال: أخرجه أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة، والكنجي الشافعي في كفاية الطالب، ومناقب آل أبي طالب٢: ٣٥، العمدة: ٢٣٤، ذخائر العقبى: ٧١، تاريخ مدينة دمشق٤٢: ٣٩٢.

(٣) ابن أبي الحديد المعتزلي١٢: ٨٢ـ٩٠.

فلنقرأ هذه الوثائق:

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: «كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنهتني قريش وقالوا: تكتب كلّ شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله بشر يتكلّم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال: «**أُكتب فوالّذي نفسي بيده ما خرج منه إلاّ حقّ**»[1].

عن أنس بن مالك: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرّ بقوم يلقّحون، فقال: «**لو لم تفعلوا لصلح**، قال: فخرج شيصاً، فمرّ بهم، فقال: **ما لنخلكم؟** قالوا: قلت: كذا وكذا. قال: **أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[2].

وورد مثله في مختصر صحيح مسلم عن طلحة بن عبيد الله قال: مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوم على رؤوس النخل، فقال: «**ما يصنع هؤلاء؟** فقالوا: يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى، فيلقح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **ما أظن يغني ذلك شيئاً**. قال: فأُخبروا بذلك فتركوه، فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، فقال: **إن كان ينفعهم ذلك، فليضعوه، فإني إنّما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً، فخذوا به فإنّي لن أكذب على الله عزّ وجلّ**»[3].

---

(١) سنن الدارمي١: ١٢٥، باب من رخص في الكتابة من المقدمة. وسنن أبي داود٢: ١٧٦، باب كتابة العلم، ومسند أحمد٢: ١٦٢، ١٩٢، ٢٠٧ و٢١٥. ومستدرك الحاكم١: ١٠٥و١٠٦، وسائل الشيعة١: ٧. الغدير١١: ٩١، تهذيب الكمال٣١: ٣٩.

وعبد الله بن عمرو بن العاص قرشي سهمي وأمه ريطة بنت منبه السهمي كان أصغر من أبيه بإحدى عشرة أو اثنتي عشرة سنة. اختلفوا في وفاته أكان بمصر أو الطائف أو مكة وعام ٦٣ أو ٦٥. راجع ترجمته بأسد الغابة٣: ٢٣. والنبلاء٣: ٥٦. وتهذيب التهذيب٥: ٣٣٧.

(٢) صحيح مسلم٤: ٩٥، ومسند أحمد١: ١٦٢، صحيح مسلم٧: ٩٥، شرح نهج البلاغة٧: ٢٠، أضواء على السنة المحمدية: ٤٣. الاحكام٥: ٧٠٤.

(٣) صحيح مسلم٧: ٩٥ لمسلم النيسابوري، الطرائف: ٣٧٣، مسند أحمد١: ١٦٣.

٢ـ إصرار قريش على الحيلولة دون جمع النبوّة والخلافة في بني هاشم ونقرأ نموذجاً لهذا الإصرار القرشي في هذه الوثيقة الرسمية:

قال عمر بن الخطّاب: «يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم، بعد محمدﷺ؟ قال ابن عبّاس: فكرهتُ أن أُجيبه فقلت: إن لم أكن أدري فإنّ أمير المؤمنين يدريني! فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي في الكلام وتَمُطْ عني الغضب تكلمت، قال: تكلم، قلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أنّ قريشاً اختارت لأنفسها حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوّة والخلافة فإنّ اللهﷻ، وصف قوماً بالكراهة قال: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾[1] فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنتُ أكره أن أقرك عليها فتزيل منزلتك منّي، فقلت: ما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، فقال عمر: بلغني إنّك تقول: إنما صرفوها عنّا حسداً وبغياً وظلماً، فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: ظلماً، فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك: حسداً، فإن آدم حسد ونحن ولده المحسدون، فقال عمر: هيهات، هيهات، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلاّ حسداً لا يزول، فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالحسد والغش، فإنّ قلب رسول اللهﷺ من قلوب بني هاشم، فقال عمر: إليك عنّي يا

---

(١) محمد: ٩، مسند أبي داوود الطيالسي: ٣١، أضواء على السنة المحمدية: ٩٣.

ابن عباس، فقلت: أفعل، فلمّا ذهبت لأقوم استحيى منّي فقال: يا ابن عباس مكانك! فوالله إنّي لراع لحقّك محب لما سرّك، فقلت: يا أمير المؤمنين! إن لي عليك حقاً وعلى كل مسلم، فمن حفظه فحظّه أصاب، ومن أضاعه فحظّه أخطأ ثمّ قام فمضى»[1].

وهكذا نجد أن عمر بن الخطّاب يبرر موقف قريش من نص النبي صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام، ويكشف عن روح التحول السياسي الجديد، الذي حوّل الخلافة إلى مؤسسة قرشية لا غير.

هذا وقد أثيرت مفاهيم سياسية أخرى حول موضوع القيادة السياسية للمسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله من قبيل: كبر السن، والتزام سيرة الشيخين وغير ذلك ولكنها فروع وتوابع لمشروع قريش القبلي.

وبغض النظر عن تجاوز الأطروحة النبوية للحكم، واعتبارها اجتهاداً سياسياً، مثلها مثل اجتهاد أي صحابي أو مسلم، وما يحمل ذلك من تبعات واقعية، وأخلاقية، ودينية، تتعلق بالموقف من النبي صلى الله عليه وآله وفهم النبوّة، إلاّ أننا إذا أخذنا النتائج العملية على المستوى السياسي والثقافي، في حياة المسلمين، لوجدنا تحولات خطيرة على المستوى الحضاري ذاته!

فبينما كان الناس يعتبرون مسألة الحكم، وإدارة شؤون الناس مسألة نبوية تضعها الشريعة الإلهيّة في موضعها المناسب لحسم الصراع بين الناس، وتجسيد أعلى درجات الطاعة في المجتمع، تحولت مسألة الحكم إلى مثار صراع بين قبيلة قريش، والقبائل العربية كلّها، فلم نجد قبيلة من قبائل العرب، بعد تحكيم المنطق القبلي في الحكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، إلاّ ورأت نفسها مؤهلة للقيادة وزعامة المسلمين أو زعامة نفسها سياسياً على الأقل، لاسيّما وإن

---

(١) الإيضاح: ١٦٩، السقيفة: ٨٩، المراجعات: ٣٩٤، مع نقص بسيط.

المسألة قد خرجت عن إطار التصميم النبوي لطريقة الحكم بعد النبيﷺ، وتحوّلت إلى حكم قبلي تقوده قبيلة قريش، وحلفاؤها!

ولذا يتصوّر بعض المحللين للأحداث بعد النبيﷺ: إن اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، ودعوتهم لزعامة سعد بن عبادة الخزرجي كان من أجل تأمين مستقبلهم السياسي[1]، بعدما شعروا إن (الملأ) من قريش صرفوا نظرهم عن أطروحة النبوّة في الحكم بعد الرسولﷺ، المتمثلة في إعلان علي بن أبي طالبعليه السلام إماماً، وزعيماً للمسلمين.

فمادام الحكم قد أخرج عن إطاره النبوي الديني بإبعاد عليعليه السلام، فالأنصار أولى من سواهم في هذا الموقع، لاسيّما، وهم الذين آووا رسول اللهﷺ، ونصروا دعوته في أشد أيامها، وأكثرها ابتلاء، ومحنة، يوم نصبت قريش والعرب قاطبة له العداء، ولدعوته، ورسالته!

ثم إن الناس في أرضهم، وبلادهم، فما بالهم لا يكون لهم نصيب في الملك، والقيادة مادامت الضوابط القبلية قد اتخذت مقياساً في تحديد مصالح الناس؟ وقد رأينا إن نداءهم في السقيفة: «لا نبايع إلاّ عليّاً»[2] ذهب أدراج الرياح، ولم يستمع إليه أحد من مصممي مشروع قريش!

إنّ هذه النظرة التي ولدت لدى الأنصار، خصوصاً لدى قبيلة الخزرج قبل غيرهم، هي التي حركت الرفض السياسي للحكومة التي خلفت النبيﷺلدى الغالبية الساحقة من قبائل العرب، ولم تمسك حكومة الخلافة في تلك الأزمة إلاّ بمناطق نفوذ قريش في مكة، والمدينة، خصوصا بعد انقسام الأنصار في الموقف السياسي عندما بايع الأوس الخليفة أبا بكر حسداً لابن عمهم سعد بن عبادة.

---

(١) أهل البيت: توفيق أبو علم.

(٢) الطبري٣: ٢٠٨، وابن الأثير٢: ١٢٣.

إن ما يطلق عليه من أحداث تاريخية بالردة، في معظم جوانبه إنما هو معارضة سياسية لقبائل العرب لزعامة قريش، التي فرضت نظرية سياسية قبلية في الحكم بعيدة عن منطق النبوّة، وأسلوبها، مما دفع زعامات العرب إلى الشعور بأنها غير ملزمة بالانقياد لأسلوب قبلي في الحكم يصادر سيادتها القبلية، خصوصاً وإن هذا الأسلوب لا يمثل الطرح النبوي لشكل الحكم في مرحلة ما بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ قبائل العرب المنتشرة في الجزيرة العربية قد استجاب أكثرها لدعوة الله عزّ وجلّ طوعاً، وتصديقاً بالنبوة الخاتمة، وهي قد وطنت نفسها على الالتزام بقيم الإسلام الحنيف، وتشريعاته، دون أن تجد حرجاً مما يقضي الله، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي مختلف شؤون الحياة، وهي إنّما سلمت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا لكونه رجلاً من بني هاشم أو من قريش أو من بلاد العرب، وإنّما سلمت له باعتباره نبي الله المرسل بالرسالة الإلهيّة الخاتمة، فإنّ المنطق القبلي يشعر القبائل بخطر المصادرة لوجودها، ويتحدى قيمها!

وهكذا نجد أن القبائل العربية عموماً، قد رفضت نتائج مؤتمر السقيفة الذي أفرز زعامة قبيلة قريش من خلال اختيار الصحابي القرشي أبي بكر.

وهكذا كانت حركة الرفض العربية الواسعة للحكم القرشي تعبيراً عن الرفض للسيادة القرشية المذكورة، على أن الإعلام الرسمي للخلافة رمى تلك الحركة الواسعة بالردة، والمروق، رغم أنها معارضة سياسية مجردة، لم تنكر ضرورة دينية. ولم تتجاوز حكماً شرعياً جاءت به رسالة الله عزّ وجلّ.

ومن المناسب أن نذكر القبائل التي شملها تشويه الإعلام الرسمي بوصفها بالمرتدة وتابعه التاريخ المكتوب على ذلك:

قبيلة طي. وعطفان، وبني أسد الطبري ٢/٤٦٣.

قبيلة هوازن، وسليم، وعامر الطبري ٢/ ٤٩٠.

أهل اليمامة الطبري ٢/ ٥٠٤.

قبيلة بني تميم الطبري ٢/ ٥١٩.

أهل البحرين الطبري ٢/ ٥١٩.

أهل عمان الطبري ٢/ ٥٢٨.

أهل نجد الطبري ٢/ ٥٢٩.

قبائل اليمن الطبري ٢/ ٥٣٢.

أهل تهامة الطبري ٢/ ٥٣٣.

أهل حضرموت الطبري ٢/ ٥٤١.

وللتأكيد على أن الردة المقصودة كانت سياسية محضة نورد هذه الوثائق التاريخية المهمة المتبقية على صفحات التاريخ الرسمي المدون:

☚ «قال هشام عن أبي مخنف، حدثني عبد السلام بن سويد: أن خيل طيء كانت تلقى خيل بني أسد، وفزارة قبل قدوم خالد عليهم، فيتشاتمون ولا يقتتلون، فتقول أسد، وفزارة: والله لا نبايع أبا الفصيل أبداً...»[1].

فهذا الإصرار من بني أسد، وحلفائهم، إنّهم لا يبايعون أبا بكر وكان يكنى أبا الفصيل أيضاً إنّما يشكل موقفاً سياسياً.

فالمسألة إذن مسألة سياسية تتعلق ببيعة الخليفة أبي بكر، وزعامة قريش، وليس ردة بالمعنى الديني المعروف.

☚ قال الطبري في تاريخه متحدثاً عن وصايا أبي بكر بجيوشه التي قاتلت المرتدين!.. «وكان مما أوصى به أبو بكر:... وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام، فسائلوهم، فإن أقرّوا بالزكاة، فاقبلوا منهم، فإن أبوها، فلا شيء إلاّ الغارة، ولا كلمة...»[2].

---

(١) تاريخ الطبري٢: ٤٨٥.

(٢) الغدير٧: ١٥٨، تاريخ الطبري٢: ٥٠٢.

وهنا تشكل عملية دفع الزكاة للحكومة من الأمور التي تعصم دماء المعارضة وإلاّ فإنّهم عصاة يجب قتلهم، كما تشير هذه الكلمات إنّ الناس قد رفضوا الاعتراف بالحكم الجديد، وتسليم أموالهم له.

وقال الطبري: «أقبلت وفود بني أسد، وغطفان، وهوزان، وطيء، وقضاعة، فعرضوا الصلاة، على أن يعفوا من الزكاة... ولكن أبا بكر أبى»[١].

ويقول الطبري: «إنّ الخليفة قد جاءته وفود العرب مرتدين!! يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة، فلم يقبل ذلك منهم[٢].. وهذا هو النص الكامل لهذه الفتنة، وأبعادها السياسية:

«فقدموا المدينة فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم ما خلا عباساً فتحملوا بهم على أبي بكر على أن يقيموا الصلاة وعلى أن لا يؤتوا الزكاة فعزم الله لأبي بكر على الحق وقال: لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه وكان عُقُلُ الصدقة على أهل الصدقة مع الصدقة فردهم، فرجع وفد من يلي المدينة من المرتدة إليهم فأخبروا عشائرهم بقلة من أهل المدينة وأطمعوهم فيها وجعل أبو بكر بعدما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفراً علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد وقال لهم: إنّ الأرض كافرة وقد رأى وفدهم منكم قلة وإنّكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهاراً وأدناهم منكم على بريد وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم نوادعهم وقد أبينا عليهم ونبذنا إليهم عهدهم فاستعدوا وأعدوا»[٣].

---

(١) تاريخ الطبري٢ : ٤٨٧ . تاريخ مدينة دمشق٢٥ : ١٥٧ .

(٢) تاريخ الطبري٢ : ٤٧٦ .

(٣) تاريخ الطبرى٢ : ٤٧٦ ، البداية والنهاية٦ : ٣٤٤ .

وأخرج البخاري عن أبي بكر قوله: والله لأقاتلنّ من فرّق بين الزكاة، والصلاة، وإن الزكاة حق المال. والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه[١].

إنّ هذه الوثائق التاريخية، وما تحيطها من ظروف ووقائع تشكك لنا بأكثر ما قيل عن الردة، وأهدافها، وحقيقتها، لنصل إلى القطع أن مصطلح «الردة» الذي أشيع في عام ١١هـ، وهي السنة التي بويع فيها أبو بكر بالخلافة كان سببه الرفض السياسي لزعامة قريش في الأعم الأغلب، وليس ردة دينية[٢]، كما هو حال من يخرج من الإسلام إلى دين آخر أو ينكر ضرورة من ضرورات الدين، كنكران الصلاة، والزكاة، والحج، وما إلى ذلك وإنّما هي معارضة سياسية تؤدي فرائض الإسلام الحنيف، وتتمسك بحبله إلاّ أنها لا تعترف بالسلطة الحاكمة، وشرعيتها، ولذا فإنّها لا تمنحها الطاعة، والخضوع كإعطاء الزكاة مثلاً، لكونها حكومة قبلية، وقد تنبه بعض الصحابة لذلك كعمر بن الخطّاب، وطلحة، والزبير، وسعد، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وكانوا يشعرون بالقلق مما جرى حتى قالوا: ما أخوفنا على قريش من العرب[٣]، أ لاّ يقرّوا بهذا الأمر!

إن أقدم النصوص التاريخية التي تحدثت عمّا دعى بالردة كانت تتحدث عن تمرد عن دفع الزكاة، وقد جرت مفاوضات بين الحكومة، والأمة العريضة من الناس الذين رفضوا إعطاء الزكاة! وإن كانت هذه المعلومات تبدو بتراء لأن

---

(١) صحيح البخاري٨: ١٤١، سنن الترمذي٤: ١١٨، نيل الاوطار١: ٣٦٦، الصوارم المهرقة: ٨٦، سنن النسائي٥: ١٥، السنن الكبرى٨: ١٧٦، صحيح ابن حبان١: ٤٥١.

(٢) أنظر الملحق رقم (٢) حادثة الهجوم على الصحابي مالك بن نويرة، وعشيرته، وقتلهم وظروف ذلك الحادث المؤلم.. ننقله من النص والاجتهاد: ١٣٧-١٤٠، السيد شرف الدين.

(٣) الطبري٢: ٤٨٨.

الحديث عن عدم دفع الزكاة كان جزء من حديث واسع، يتعلق بطاعة الخلافة، وعدم الانقياد لها، وإعلان عدم الاعتراف بشرعيتها، الأمر الذي انعكس على شكل امتناع عن دفع الزكاة، ثم إن بعض أحاديث الخليفة أبي بكر كانت تعكس رفضه المطلق للتنازل حتى عن جزء يسير من الزكاة، «كعقال بعير في مصطلح الخليفة».

أما ما نسب إلى بعض الأشخاص من ادعاء النبوة أو أمثال ذلك، فدوافعها كانت سياسية كذلك نتيجة للصراع بين بعض القبائل، وقريش على الزعامة، والنفوذ، حيث اتخذت بعض الزعامات من شعار (إدعاء النبوة) وسيلة لمقاومة النفوذ القرشي، وقد ظهرت تلك الحالة لدى بعض القبائل العربية حديثة الدخول في الإسلام... ورغم ذلك، فهذا الموضوع يحتاج إلى دراسة علمية أكثر اتقاناً لمعرفة ظروفها المحيطة بدقة، لاسيّما إن تلك المسائل كادت أن تنفرد بها روايات سيف بي عمر المعروف بالزندقة، والعمالة للسلطات في عصره.

إن قضية الردة تحتاج إلى دراسة مستفيضة ليزاح الظلم على كاهل الآلاف من المسلمين الذين اتهموا بهذه القضية السياسية التي تشبه الاتهام بالعمالة لمعارضة، لا ترتضي سلطة معينة.. وعالمنا الثالث يشهد الكثير من هذه النماذج اليوم!

إنّ هذا التحول السياسي، وما اندرج تحته من شيوع ثقافة سياسية جديدة تكرس سلطة القبائل والبطون هي التي أغرت بأغلب الشخصيات، والرموز، والوجوه الاجتماعية بالتطلع إلى الخلافة طالما تحولت إلى حالة عادية يمكن أن يصيبها أي إنسان يعد لها عدته دون مواصفات أو شروط دينية يحددها الإسلام!

وهذا ما ملأ التاريخ الإسلامي حتى الحافة بألوان الصراعات من أجل الزعامة السياسية في هذه الأمة، حتى تطلع إلى ذلك العبيد، والغلمان، والساقطين أخلاقياً كذلك!

## ثالثاً: الرأسمالية العربية، ومصالحها الكبرى

بعد اتساع الفتوحات للبلاد المجاورة، تفجرت منابع الثروة والمال للمسلمين، وكانت مصادر تلك الثروات الهائلة: بلاد الرافدين التي كانت تعرف لغناها وثرائها بأرض السواد، وبلاد فارس، وبلاد الشام، وأفريقيا، وأواسط آسيا، وما إليها.

وكانت سياسة توزيع الثروة التي اعتمدها الخلفاء الثلاثة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، غير كفوءة في الحيلولة دون نشوء تيارات نفعية، وصولية في المجتمع، إضافة إلى ظهور كارتيلات اقتصادية ضخمة لدى بعض الأسر التي تنفذت أو اقتربت من دوائر النفوذ في السلطة الحاكمة.

إنّ السنوات الخمس والعشرين التي سبقت البيعة لأمير المؤمنين علي بن أبن طالب عليه السلام، قد شهدت نمواً سرطانياً لأسوأ اقتصاد إقطاعي ـ رأسمالي في أقاليم الوطن الإسلامي الحديث النشأة!

لقد تزامنت الخطة الاقتصادية المتبعة في عصر عمر مع تدفق الثروة على جيوب الباحثين عن الثراء، بشراهة بشكل كبير، وذلك ممّا عجل في تغيير البنية التحتية للحياة الاقتصادية والاجتماعية لدى المسلمين، وظهور الطبقية بأسوأ صورها في الحياة.. حتى اكتشف عمر بن الخطّاب إن برنامجه الاقتصادي القائم على التمييز في العطاء قد تسبب في إيجاد مشكلة اقتصادية ـ سياسية ـ اجتماعية حادة في الدولة والمجتمع المسلم، ولذا، فقد أعلن عزمه

على تغيير برنامجه الاقتصادي في آخر حياته، إلاّ أنه تمّ اغتياله، قبل المباشرة بتنفيذ ما تصوره من مشروع.

لقد اعتمد النبي صلى الله عليه وآله خطة اقتصادية تقضي بالتسوية بين المواطنين في العطاء، فلا فضل لأحد على أحد مهما بلغ من موقع أو مكانة، وإذا كان هناك من تفاضل بين الناس، فهو في تقوى الله تعالى والعمل الصالح:

**«إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم»**.

**«لا فضل لعربي على أعجمي، إلاّ بالتقوى...»**[1]، وهو تفضيل يحقق نتائجه في الآخرة، لا في الحياة الدنيا، وليس من خلال العطاء والسياسة المالية للمجتمع.

وهذه السياسة الاقتصادية النبوية كانت تشكل القاعدة المركزية للعدالة بين الناس، كما إنّها قطعت الطريق على تغيير الهيكل العام لسياسة الاقتصاد، وتبادل الثروة في المجتمع المسلم، رغم النمو الواضح في ثروة الأمة بعد الفتح لحصون خيبر، وإجلاء بني النضير، ونحو ذلك من تحولات.

وهذه السياسة النبوية في الاقتصاد لم تتعرض إلى خرق واضح في أيام حكومة الخليفة أبي بكر، الذي يفيد المؤرخون إنّه لم يتجاوز سياسة النبي صلى الله عليه وآله في مسألة التسوية في العطاء! وإن كنّا نرى إنّه قد أقطع بعض الصحابة أراضي زراعية، وأملاكاً كبيرة تقع خارج نطاق سياسة (التسوية) في العطاء بشكل صريح[2]، وتخل بتلك السياسة بشكل كبير!! إلاّ أنّ من الواضح إن حكم أبي بكر كان قصيراً جداً (سنتان ونصف فحسب)، فلم تتضح معالم سياسته لبعض المؤرخين.

---

(١) نيل الأوطار٥: ١٦٤، الغدير٦: ١٨٨، مكاتيب الرسول٢: ٤١٢، مسند أحمد٥: ٤١١، مجمع الزوائد٣: ٢٦٦.

(٢) أنظر كتابنا (الصدّيقة الزهراء بين المحنة والمقاومة) ص٦٤ وما بعدها.

وقد غيّر الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب سياسة التوزيع، والعطاء بشكل كامل، حيث انتهج سياسة جديدة في توزيع المال، والإمكانات، تعتمد طريقة التمييز بين الناس في العطاء، وفق الأسس التالية:

- فضل بعض الناس على بعض.
- فضل السابقين في الإسلام على غيرهم.
- وفضل المهاجرين من قريش على المهاجرين من غير قريش.
- وفضل عموم المهاجرين من المسلمين، على الأنصار كافة.
- وفضل العرب على غيرهم من الأمم.
- وفضل الصريح على المولى[١].
- وفضل مضر على ربيعة[٢].
- كما فضل الأوس على الخزرج[٣].

إنّ سياسة التمييز الاقتصادية هذه قد ساهمت بفاعلية في خلق مجتمع طبقي تحول الامتيازات بين قطاعاته الطبقية بأخطر مظاهرها، وقد شكلت قريش في هذا المجتمع رأس الهرم، واستأثرت بالامتيازات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية الخاصة، فهي حسب التقسيم التفاضلي الجديد تحظى بالأولوية بكونها من العرب، ومن مضر، ومن المهاجرين، فضلاً عن القرشية، وهي خصائص لا تحظى بها غير قريش، وقطاعاتها المتنفذة.

إن هذا التحول الاجتماعي ـ الاقتصادي، قد تلمس فيه حتى مخططه الخليفة عمر بن الخطّاب مخاطر واقعية على وحدة المسلمين، وكيانهم الداخلي، فأعلن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد المعتزلي لنهج البلاغة٨: ١١١ و١٢: ٢١٠، ٢٢٧، ط، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. والإيضاح: ١٣٦ـ١٣٨، الفضل بن شاذان الأزدي.

(٢) تاريخ اليعقوبي٢: ١٠٦.

(٣) فتوح البلدان: ٤٣٧.

عن عزمه على استبداله بنظام مالي جديد يعتمد على سياسة جديدة في التوزيع: «**لئن عشت إلى قابل لألحقن آخر الناس بأولهم...**»[١]، «**لئن بقيت لأسوّين بين الناس...**»[٢].

بيد أن عمراً اغتيل قبل أن يغير سياسته الاقتصادية المذكورة، فلما تولى عثمان أمر الناس تفاقمت مخاطر تلك السياسة في المجتمع، وتحول إلى مجتمع إقطاعي - رأسمالي مرعب، تتصارع فيه المصالح، والطبقات ويسحق المستضعفون من الفلاحين، والعمال، والجنود، والحرفيين، وأمثالهم!

وقبل أن نخوض في غمار ما ظهر في عهد عثمان من تطورات سياسية - اجتماعية واقتصادية، نفضل أن نشير إلى بعض مظاهر الحياة الأرستقراطية التي طرأت على الحياة الإسلامية بسبب سياسة التمييز في العطاء والتوزيع الطبقي للمال.

فماذا تقول وثائق تاريخ المسلمين في تلك المرحلة؟

يتحدث المؤرخ الكبير أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي[٣] الهذلي (تـ٣٤٦) عن ذلك فيذكر أرقاماً مذهلة حول مظاهر الرأسمالية القرشية بين عهد عمر حتى نهاية عهد الخليفة عثمان بن عفان:

فقد خلف الصحابي الزبير بن العوام من الثروة، والعقار: خمسين ألف دينار، وألف فرس، وألف عبد وأمة، وقصراً في البصرة، لا يزال قائماً حتى عام ٣٣٢هـ، ينزله التجار، ورجال الأعمال.

---

(١) شرح نهج البلاغة١٢: ١٣٢، غريب الحديث٣: ٢٦٨.

(٢) معجم البلدان٣: ٢١٨، لسان العرب١٣: ٢٤٧.

(٣) مروج الذهب٢: ٣٣٢-٣٣٤، ط قم، ١٤٠٩هـ. وراجع العقل السياسي العربي: ١٨٤-١٨٦، د. محمد عابد الجابري.

وكانت للزبير فضلاً عن ذلك دور، وضياع، وعقار في الكوفة، والفسطاط، والإسكندرية، وكان له في المدينة أحد عشر داراً.

وخلّف الصحابي طلحة بن عبيد الله قصراً في الكوفة كان معروفاً باسمه، وكانت تسمى بدار الطلحيين في عصر المؤرخ المسعودي وكانت غلته من مزارعه في العراق تبلغ كل يوم ألف دينار.

وكانت له دار مشيدة في المدينة المنوّرة بناها بالآجر، والجص، والساج، وكان له غير ذلك من ثروات.

وخلف الصحابي عبد الرحمن بن عوف الزهري عشرة آلاف شاة، وألف بعير ومائة فرس، وبلغ ربع ثمن ماله يوم وفاته أربعة وثمانين ألف دينار، وكانت له دار واسعة في المدينة.

وذكر سعيد بن المسيب: إن زيد بن ثابت خلّف من الذهب، والفضة يوم وفاته ما كان يكسر بالفؤوس، وخلف من الضياع، والأموال ما قيمته مائة ألف دينار.

وقد كان لدى عثمان بن عفان مائة وخمسون ألف دينار، ومليون درهم، وقيمة ضياعه في وادي القرى، وحنين مائة ألف دينار، وخلف خيلاً كثيراً وإبلاً، كما أقتنى أموالاً، وجناناً، وعيوناً بالمدينة، وقصراً في المدينة شيده بالحجر، والكِلس، وجعل أبوابه من الساج، والعرعر[1].

وقد تفاقمت مخاطر الحياة الرأسمالية، وأضرارها، وبلغت ذروتها أيام خلافة عثمان بن عفان الأموي، وترسخت أقدام الطبقية الاجتماعية، والاقتصادية في المجتمع المسلم، حيث ظهر النمو السرطاني للثروة لدى طبقة من الناس فأثروا على حساب الآخرين حتى نشأت الطبقات المحرومة، التي لا

---

(١) مروج الذهب٢: ٣٣٢. والعقل السياسي العربي: ١٨٤-١٨٦، محمد عابد الجابري من أجل التفاصيل.

تملك مالاً ولا ضياعاً، ولا قصوراً، ولا إبلاً، وشياهاً، وخصوصاً طبقة الجند وأسرهم، ومن يلوذ بهم من الناس، وهذه بالطبع من أوسع الطبقات في المجتمع، وأكثرها عدداً، هذا عدا عن الذين تشم رائحة المعارضة للخليفة أو ولاته منهم بقول، أو فعل.

لقد تحولت ثروة الأمة إلى ملك خاص بيد الخليفة، وولاته الأمويين وخواصهم منذ تسلم الخليفة عثمان بن عفان للخلافة، فقد تبنى الخليفة المذكور برنامجاً اقتصادياً خطيراً يوم تبنى خطة بيع الأراضي الخراجية للباحثين عن الاستثمار من القرشيين، وحلفائهم، خلافاً لمنهاج الإسلام الحنيف القاضي باعتبار الأراضي الخراجية ملكاً عاماً للمسلمين (ملكية عامة).

وهكذا استثمرت الأموال المكدسة للاستقراطية القرشية لشراء الأراضي، والضياع في كل من مصر، والعراق، والشام، وجلبوا لها الرقيق، والمعدمين والفقراء للعمل بأجور زهيدة من أجل استثمارها، حيث نشأت الاستثمارات الإقطاعية الهائلة في البلاد المفتوحة.

ولقد عبر والي عثمان على الكوفة سعيد بن العاص الأموي أصدق تعبير حين عكس واقع السياسة الأموية ـ القرشية على المستوى السياسي، والاقتصادي والاجتماعي، بقوله: «إنّما السواد ـ سواد العراق ـ قطين ـ بستان ـ لقريش»[1].

ولكي يحكم الخليفة الأموي عثمان بن عفان قبضته على أموال الدولة وشؤونها بشكل مطلق، وليتصرف بها، وعشيرته، وخاصته كيف شاؤوا، فقد استبدت عائلته بأهم أقاليم الدولة ثروة، ومالاً، وخصباً، ونفوساً ومواقع:

- فقد ولى البصرة لابن خاله الشاب النزق عبد الله بن عامر بن كريز.

---

(١) مروج الذهب٢: ٣٣٧.

- وولى الكوفة أخاه من الرضاعة الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فلما اشتهر بفسقه، ونزقه، وشربه للخمور حتى صلّى بالناس مخموراً، استبدله، بسعيد بن العاص الأموي.
- ووسع أمارة معاوية بن أبي سفيان الأموي في بلاد الشام لتشمل أوسع مدىً في تلك البلاد الثرية، حيث شملت الأردن، وفلسطين، والجزيرة، وحمص، ودمشق، وما إليها.
- وولى مصر لأخيه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

وكان جميع هؤلاء الولاة من شباب بني أمية، ومن قرابة الخليفة يتمتعون بأخصب أرض الله، وأكثرها ثراء كيفما شاؤوا دون وازع من دين أو خلق أو ضمير.

وقد عمل هؤلاء الولاة، وعمالهم كل ما من شأنه لجمع المال، واحتقار الناس، وظلمهم، ونهب أموالهم، إضافة إلى إشاعة المنكر في المجتمع والتجاهر بالفجور، كشرب الخمر، والزنا، وارتكاب المحرمات، ونهب الأموال[1].

لقد ضج الناس من تلك المظالم، والمنكرات، والاستهتار بقيم الإسلام وحدوده ممّا أعلنها حكام المرحلة، وولاتها، جهاراً، وكثرت الوفود والرسائل من مختلف الأقاليم، والثغور تشكو من تلك التصرفات الظالمة.. إلاّ أن الأمة لم تجن غير الإمعان في الظلم، والاستمرار في إيذاء الناس، والتجبر عليهم، والمضي في محاربة الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر كأبي ذر الغفاري، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وأمثالهم من أبرار صحابة رسول الله ﷺ.

وهكذا تمخضت ردود الفعل الجماهيري الواسع عن الثورة على عثمان بن عفان وقتله في داره، بعد محاصرته أياماً عديدة[2].

---

(١) المصدر السابق٢ : ٣٣٤-٣٤٢.

(٢) أنظر التفاصيل عند المسعودي٢ : ٣٤٣-٣٤٨. وابن الأثير الجزري، والطبري وغيرهم.

هذه هي الأجواء التي شكلت الأرضية السياسية ـ الثقافية ـ الاقتصادية التي عصفت بتجربة النبوّة الخاتمة، وواجهها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لتكون العبء الأكبر الذي يواجه مسيرة التصحيح الكبرى التي باشرها الإمام عليه السلام في تجربة الحكم:

١ـ تغيرات ثقافية عميقة نشأت عليها أجيال جديدة، وربيت في ضوئها أمة واسعة من الناس دخلت الإسلام قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببضع سنوات، فلم يتيسر لها فهم الإسلام وقيمة الإلهية، كان بضمنهم قوى ما بعد الفتح.

وكان من المفردات الثقافية الجديدة التي رسختها حكومة الخلافة في أذهان الناس ما يلي:

أ ـ التمييز بين نصوص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحاديثه ذات الصلة بشؤون الحياة، عن توجيهاته ذات الجنبة العبادية.. فما يقوله عن شؤون الحياة ليس ملزماً للمسلمين! وإن بلغ أعلى المستويات في صياغته القانونية (كالوجوب، والإلزام، وحرمة التخلف عنه، واللعن لمن يتعداه).

بـ ـ التأكيد على سيادة قريش، وإن قيادة الأمة محصورة فيها دون الناس!

جـ ـ التفريق بين العرب وغير العرب، وقريش وغير قريش!

د ـ تهويل دور الخليفة في قيادة الأمة، وضرورة طاعته، والتحذير من مغبة عصيانه، وإن عصى أو خان، أو فرط في شؤون المسلمين ومستقبل الإسلام، وقيمه العليا.

هـ ـ وغير ذلك كثير.

إن هذه التغييرات الثقافية الكبيرة قد عبّر عنها الكثير من الصحابة بالكثير من الأسى. والألم، مما يدل على كونها تغييرات مرعبة في القيم الإلهيّة والشريعة الإسلاميّة يومذاك.

أخرج البخاري والترمذي عن أنس بن مالك أنه قال: «ما أعرف شيئاً ممّا كان على عهد رسول الله ﷺ! قيل: الصلاة. قال: أليس صنعتم ما صنعتم فيها»[١].

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن سالم عن أم الدرداء قالت: «دخل عليَّ أبو الدرداء، وهو مغضب، فقلت: من أغضبك؟ قال: والله لا أعرف فيهم من أمر محمد ﷺ شيئاً إلاّ أنّهم يصلّون جميعاً».[٢] وتحدث صحابة آخرون مثل ذلك كأبي سعيد الخدري، وغيره.

ويتحدث أمير المؤمنين علي عليه السلام عن ذلك بإحساس مرهف، وحرقة قلب، ومشاهدة للواقع المرير، نقتطف من حديثه هذه الفقرات المباركة:

**«... إنّما بدء وقوع الفتن من أهواء تتّبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله يتولّى فيها رجالٌ رجالاً، ألا إنّ الحقّ لو خلص لم يكن اختلاف ولو أنّ الباطل خلص لم يخف على ذي حجى[٣] لكنّه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث[٤] فيمزجان فيجلّلان[٥] معاً، فهنالك يستولى الشيطان على أوليائه، ونجا الّذين سبقت لهم من الله الحسنى، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: كيف أنتم إذا لبستكم فتنةٌ يربو فيها الصغير[٦]، ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتّخذونها سنّة، فإذا غيّر منها شيء قيل: قد غيّرت السنّة، وقد أتى الناس**

---

(١) صحيح البخاري١: ١٣٤، مكاتيب الرسول١: ٦٧١، الدرجات الرفيعة: ٣١.

(٢) مسند أحمد٦: ٤٤٣، وضوء النبي٢: ٣٤٣، الدرجات الرفيعة: ٣١، صحيح البخاري١: ١٥٩، كنز العمال٨: ٢٥٤.

(٣) الحجى ـ بالكسر ـ: العقل.

(٤) الضغث ـ بالكسر ـ: قبضة من حشيش مخالطة الرطب باليابس.

(٥) جللت الشيء: إذا غطيته. وفي بعض النسخ (فيجتمعان) وفي بعضها (يجلبان).

(٦) أي يكبر وهو كناية عن امتدادها.

**منكراً، ثمّ تشتدُّ البليّة، وتسبى الذريّة، وتدقّهم الفتنة، كما تدقّ النار الحطب، وكما تدقّ الرحا بثفالها[1]، ويتفقّهون لغير الله، ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدُّنيا بأعمال الآخرة. ثمّ أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصّته وشيعته، فقال: قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين لخلافه، ناقضين لعهده، مغيّرين لسنته، ولو حملت النّاس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لتفرّق عنّي جندي حتّى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي...»[2].**

٢ـ تغيرات سياسية كبيرة في الفكر والممارسة:

بذل رسول الله صلى الله عليه وآله ـ بأمر الله تعالى ـ وسعه لتكون ولاية أمر المسلمين، قضية تحددها الشريعة شكلاً، ومضموناً، وليس للناس أن يختاروا من شاؤوا، وكانت بياناته الرسمية قد حددت مضمون الإمامة ومن يختص بها دون الناس، كقوله صلى الله عليه وآله في خطاب عام: «**من كنت مولاه، فعلي مولاه...**»، وغيرها.

إلاّ أنّ هذه النصوص المقدسة استبدلت، بمفهوم سيادة قريش، فحلت مفاهيم الشورى، والتعيين، والشورى المحدودة، وحتى الغلبة، والقهر بدلاً للنص الشرعي، حتى انزلقت إلى مفاهيم الملكية القيصرية والكسروية المطلقة، وتوارث الحكم، كما في عهد بني أميّة، وبني العبّاس، والعثمانيّين، وسواهم من حكام المسلمين، في كثير من الفترات.

وقد تبع هذه التحولات السياسية في الفكر، والممارسة، إشاعة ثقافة الخنوع للسلطان، ووجوب طاعته، مهما ظلم أو تجبر، أو طغى، ومهما مارس العصيان،

---

(١) بالمثلثة والفاء في النهاية: في حديث علي عليه السلام: «وتدقّهم الفتن دقّ الرحا بثفالها» الثفال ـ بالكسر ـ: جلدة تبسط تحت رحا اليد ليقع عليها الدقيق، ويسمى الحجر الأسفل: ثفالاً بها والمعنى أنها تدقهم دق الرحا للحب إذا كانت مثفّلة ولا تثفل إلاّ عند الطحن.

(٢) لاستقصاء هذه الحقائق راجع الكافي٨: ٥٨ـ٦٣.

والعدوان على الشريعة، وعباد الله، وهكذا ظهرت الدكتاتورية، بأسوأ مظاهرها، وصارت الثروة العامة ملكاً للسلطان يعطي منها من شاء، ويحرم منها ما شاء.

يقول ملك الشام معاوية بن أبي سفيان معبّراً عن هذا التحول في سياسة الحكم في بلاد المسلمين ما يلي: «.. إنّما المال مالنا، والفيء فيئنا، فمن شئنا أعطيناه، ومن شئنا حرمناه»[١].

ويقول أبو سفيان مخاطباً بني أميّة: «يا بني أميّة، تلقفوها، تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، مازلت أرجوها لكم... ولتصبرنّ إلى صبيانكم وراثة..»[٢].

أجل صارت خلافة المسلمين بأيدي الغلمان، والصبيان، والمراهقين كالوليد بن يزيد الناقص، والوليد بن عثمان بن عفّان[٣]، ويزيد بن معاوية، والمتوكّل العباسي، ومحمد الأمين، وغيرهم من المنحرفين فكراً، وسلوكاً.

٣ـ تغييرات جذرية في سياسة الاقتصاد من صيغة إسلامية عادلة متوازنة في العطاء، والتوزيع إلى سياسة ارستقراطية رأسمالية ظالمة، وقد ذكرنا بعض النماذج للثروات الهائلة التي امتلكها بعض الصحابة والتابعين بسبب سياسة التوزيع الخاطئة التي سادت البرامج الاقتصادية وأضرت بدخل المستضعفين من الناس.

وهذه بعض مظاهرها ـ أيام عثمان ـ كما نص عليها ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى ٦٥٦هـ:

---

(١) النصائح الكافية: ١٣١.

(٢) بحار الأنوار ٣١: ١٩٧، خلاصة عبقات الأنوار ٣: ١٣، الغدير ٨: ٢٧٨.

(٣) الوليد بن عثمان: كان صاحب شراب، وفتوة، ومجون، قتل أبوه، يوم قتل، وكان الوليد سكران، وكان مخلق الوجه، عليه مصبغات واسعة. مروج الذهب ٢: ٣٤١، والمعارف: ٢٠٢ لابن قتيبة.

«فإنه أوطأ بني أميّة رقاب الناس، وولاّهم الولايات وأقطعهم القطائع، وافتتحت إفريقيّة في أيامه، فأخذ الخُمس كلّه فوهبه لمروان.

وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة، فأعطاه أربعمائة ألف درهم.

وأعاد الحكم بن أبي العاص، بعد أن كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد سيّره ثمّ لم يردّه أبو بكر ولا عمر، وأعطاه مائة ألف درهم.

وتصدّق رسول الله صلى الله عليه وآله بوضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم.

وأقطع مروان فدك، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها صلوات الله عليه، تارةً بالميراث، وتارةً بالنِّحلة فدُفِعت عنها.

وحمى المراعي حول المدينة كلّها من مواشي المسلمين كلّهم إلاّ عن بني أميّة.

وأعطى عبد الله بن أبي سَرْح جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقيّة بالمغرب ـ وهي من طرابلس الغرب إلى طَنْجة ـ من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين.

وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، وقد كان زوّجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وَصَلْتُ رحمي! قال: لا، ولكن أبكي لأني أظنّك أنّك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله. والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال: ألقِ المفاتيح يا بن أرقم، فإنّا سنجد غيرك.

وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة، فقسّمها كلّها في بني أميّة. وأنكح الحارث ابن الحكم ابنته عائشة، فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً بعد صَرْفه زيد بن أرقم عن خزنه»[1].

فما ظنك بمواقف المعارضة السياسية التي يواجهها أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يعلن عن عزمه على تغيير هذه المعادلة جملة، وتفصيلاً؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١: ١٩٨-١٩٩.

# تجربة عثمان

# دكتاتورية الأرستقراطية!

لا يتيسّر للدارس لتجربة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن يلُمّ بها إلماماً مناسباً دون أن يتناول تجربة الخليفة عثمان بن عفّان بالدراسة، والاستقراء بشكل مناسب، وذلك للعلاقة الوثيقة بين التجربتين زماناً، ومكاناً، وقيام تجربة الإمام عليه السلام على أنقاض تجربة عثمان، التي جرت فيها أحداث جسيمة امتدّت آثارها في مسيرة هذه الأمة، سياسياً وثقافياً، واجتماعياً، كما كان يؤكد أمير المؤمنين عليه السلام ذلك، ويحذر منه.[1]

ولقد بدأت تجربة الخليفة الثالث بعد وفاة الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب الذي اغتيل في أواخر ذي الحجة، عام ٢٣ هـ، في حادث لم تكشف المعلومات التاريخية الصحيحة عن أبعاده الواقعية حيث بقي محصوراً في حادثة شخصيّة عاديّة، على أني أرجح أن عاملين اثنين غيبا حقيقة الحادث، أحدهما: انتحار القاتل، بعد أن قتل وجرح ثلاثة عشر شخصاً، وثانيهما: حماقة عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ابن الخليفة الذي قتل الهرمزان وابنة القاتل، دون أن يعطي فرصة للقضاء أن يحقق في القضية حيث غيب شهود القضية في القبور فدفنت معهم كثير من الحقائق!

---

(١) نهج البلاغة: ٢٣٥، نص ١٦٤.

لقد كان عمر في شك شديد حول عملية اغتياله حتى انّه جمع الناس وسألهم: أعن ملأ منكم كان هذا الذي أصابني؟ فأبدى الناس إنكاراً لذلك[١].

وفي تصوري إن وفاة عمر بن الخطّاب لو تأخرت أياماً، وجرت تحقيقات جادة، لكشفت خيوط العملية، التي ربما كان وراءها البيت الأموي بواسطة المغيرة بن شعبة نديم معاوية!

هذا ومن الجدير بالذكر إن كعب الأحبار كان قد أخبر عمراً ـ قبل عملية الاغتيال ـ بأنه سيموت بعد ثلاثة أيام[٢] وكان ذلك بعد تهديد أبي لؤلؤة له بيوم واحد .. ولذا فان الأمر لا يزال غامضاً حتى الآن!

وفي بداية محرم الحرام من عام ٢٤هـ تسلّم الخليفة الأموي عثمان بن عفّان مقاليد الأمور في حياة المسلمين، وقد جرت في خلافته أحداث ذات أهمية كبرى لا تزال آثارها قائمة حتى اليوم.

ويكاد عثمان أن يختلف في تجربته عن الخليفة عمر بن الخطّاب جملة وتفصيلاً، وذلك لطبيعة عمر الخاصة، وخلفيته الثقافية وحزمه في الإدارة، وقاطعيته في اتخاذ القرار، وطريقته في الحكم!

فعمر بن الخطّاب لم يكن في بداية حياته، من أصحاب الثروة، ورموز الأرستقراطية العربية في قريش، وإنّما كان انحداره الطبقي يتصل بالطبقة الاقتصادية الدنيا في المجتمع، وتاريخ حياته يشير إلى أنه كان قد مارس الرعي زمناً ثم طفق منذ شبابه يباشر عملية (استئجار) الحمير للتنقل في مكة، حيث تستعمل مثل تلك الدواب للتنقل الداخلي، أما السفر بين المدن، والبلدان، فكان يتطلّب استعمال الإبل بالدرجة الأولى، والخيول.

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٢: ١٨٦، لأبن أبي الحديد.

(٢) ابن الأثير ٣: ٥٠.

وقد ظل عمر يمارس هذه المهنة حتى هجرته، ثم عمل في السوق، حتى كان يروى عنه قوله انّه شغله عن طلب العلم الصفق بالأسواق! ولذا لم يؤثر عنه إنه كان من أصحاب الثراء كأبي بكر وأبي عبيدة بن الجراح، وعثمان مثلاً.

هذا ويمكننا أن نصف عمراً بأنه أحد المثقفين المعروفين في المجتمع المكي، حيث كان من القلائل الذين يحسنون القراءة، والكتابة، وكان على اتصال وثيق بالمثقفين من أهل الكتاب خصوصاً اليهود منهم ممن يتواجدون في الجزيرة العربية، ويترددون على مكة المكرمة.. حتى انّه كان مولعاً بقراءة التوراة، واستمرت علاقته تلك بعد هجرته!

وقد نهاه رسول الله ﷺ بعد إسلامه عن قراءة التوراة مراراً، ولكنه كان معجباً بقراءة ثقافة أهل الكتاب، حتى انّه بعد هجرته إلى المدينة المنوّرة اختار الحياة على مقربة من البيئة اليهودية في أعالي المدينة كما يفيد تأريخ حياته... وحتى بعد خلافته استفاد من مثقفي أهل الكتاب وعلمائهم الذين أسلموا لإدارة الحياة الثقافية في المدينة مثل: كعب الأحبار، وتميم الداري، والأول كان عالماً يهودياً أسلم في عهد رسول الله ﷺ، والثاني كان نصرانياً من فلسطين، فأسلم في عهد عمر، وكان لهما دور مميز في توجيه المسلمين، وإلقاء الأحاديث في مسجد النبي ﷺ في عهد الخليفة الثاني، خصوصاً في يوم الجمعة، ويقال إنهما بذلك قد سربا (الثقافة الإسرائيليّة) من هذا الموقع! إلى تفسير القرآن، والحديث، وسيرة الأنبياء عليهم السلام، والعقائد!

وكان عمر بن الخطّاب حازماً، عنيفاً، عجولاً في كثير من المواقف والأحداث حتى أنه كان يقاطع النبي ﷺ في بعض الحوادث والمواقف ويتردد في طاعته، بطريقة بدوية خشنة... وكان الخليفة متميزاً في صراحته، وعدم أناته في المواقف حتى أنه كثيراً ما كان يفتي ثم يتراجع عن فتواه «كان يفتي كثيراً

بالحكم، ثم ينقضه، ويفتي بضده، وخلافه»[١]، «وكان في أخلاق عمر، وألفاظه جفاء، وعنجهية ظاهرة...»[٢].

ويؤثر عنه أنه كان شديداً مع النساء، ولعل هذه الظاهرة في سلوكه، هي التي دعت اثنتين من أزواجه ترتدان عن الإسلام الحنيف، وترفضان الهجرة معه إلى المدينة المنوّرة دون سواه من الصحابة، وقد وصفته إحدى زوجاته إنه يدخل عابساً، ويخرج عابساً[٣]!

وقد وصف عمر بن الخطّاب بتمسكه بالزهد مع نفسه، وإن وجدت بعض الاختراقات فهي ليست كخروقات الآخرين! فقد نقلت سيرته انّه كانت له من الخيول أربعة آلاف فرس[٤] وقد أصدق زوجة له أربعين ألف درهم[٥]، كما أعطى صهراً له عشرة آلاف[٦]، وكان ثلث تركته أربعين ألفاً [٧].

ولكنها جميعاً لا تعد شيئاً بالنسبة لمن خلفه في القيادة!

وكان عمر بن الخطّاب عنيفاً مع المعارضة، حتى ذكرت السيرة أنه باشر عملية جمع الحطب على دار الصدّيقة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، مهدداً بحرقها على المجتمعين للتداول بشأن الخلافة ممن لم يروا صحة بيعة الخليفة أبي بكر، كما ساهم بدور أكبر في حمل الناس على بيعة أبي بكر، وقد استعمل الإرهاب بالاتفاق مع قبيلة (أسلم).

---

(١) شرح نهج البلاغة١ : ١٨١، ابن أبي الحديد المعتزلي.

(٢) شرح نهج البلاغة١ : ١٨٣.

(٣) البداية والنهاية٧ : ١٥٧، تاريخ الطبري٣ : ٢٧٠.

(٤) الخراج : ٥١، لأبي يوسف الأنصاري، المصنف٧ : ٦٤٤.

(٥) الفتوحات الإسلاميّة٢ : ٥٥، لدحلان.

(٦) طبقات ابن سعد٣ : ٢١٩، وحياة الصحابة٢ : ٢٥٦.

(٧) جامع بيان العلم٢ : ١٧.

وقد اتهم الخليفة بتدبير اغتيالات سياسية لبعض معارضيه كما جرى لسعد بن عبادة أحد المعارضين الأول للخلافة والذي اغتيل في ظروف غامضة، بيد أني لا أرجح أن الخليفة باشر هذا العمل بنفسه، وغالباً ما كان خالد بن الوليد يباشر أمورا من هذا القبيل.

وقد عرف عن عمر انّه لم يمكّن أهل بيته وأولاده من رقاب المسلمين لا في إدارة، ولا قضاء، ولا قيادة عسكرية أبداً، وكان يشكك بكفاءة بعضهم في هذا المجال، كما يصف ولده عبد الله، انّه عاجز عن طلاق زوجته[1] ! فكيف يسلمه منصباً هاماً في إدارة شؤون الدولة!

ورغم إنّ الخليفة عمر قد انتهج سياسية التمييز في العطاء، والتوزيع إلاّ أنه حين أحس بخطأ تلك السياسة بعد قرابة عقد من الزمان قرر أن ينتهج سياسة أخرى، إلاّ أنه قتل قبل الشروع بتغيير سياسته فامتطاها عثمان إلى نهاية الشوط، وتسبب في إحداث نكسة سياسية، واقتصادية، واجتماعية قلّ نظيرها في التاريخ.

وليت الخليفة عثمان بن عفّان اختار طريقة عمر في التمييز الاقتصادي - الاجتماعي، ووقف عندها، رغم خطورتها على العدالة الإسلامية، وقيم المجتمع المسلم الصالح، كما أشرنا، ولكنه انتهج سياسة التمييز لصالح أسرته، وأقاربه وفضلهم على من سواهم من الناس، الأمر الذي لم يتورط فيه عمر، وإن كان قد فضل قريشاً على سواها، وزرع مفاهيم تفضيل قريش والعرب سياسياً، واجتماعياً على البشر، وزرع نظاماً طبقياً خطيراً برزت آثاره السلبية خلال أقل من عقد من الزمان ،وقد شعر عمر بتلك المخاطر، فحاول - نظرياً - أن

---

(١) الكامل في التاريخ٣ : ٦٥ ، مصدر سابق.

يباشر عملية معالجتها، بيد أنه اغتيل قبل أن يخطو خطوة عملية باتجاه تغيير تلك السياسة ـ كما ذكرنا ـ .

ومن الجدير بالذكر إن الخليفة عمر بن الخطّاب كان قومياً عربياً لم يتمثل مشروع الإسلام الأممي في وعيه وكانت سياسته العامة تضع غير العرب، في مواقع متخلفة كثيراً عن الموقع الذي اختاره هو للعرب[١]، حتى إنه منع الموالي! من الاستيطان في المدينة المنوّرة[٢]ـ على سبيل المثال ـ بسبب هذه الروح، ولذا فليس على القوميين العرب من غضاضة إذا اعتبروا الخليفة عمر بن الخطّاب أحد رواد التحرك القومي العربي في التاريخ!

إن هذه السياسات العمرية بالغ الخليفة عثمان في بلورتها حتى اختزلها في أقاربه، وبني عمومته، وأسرته، وعشيرته الأقربين ممن أسلموا بعد الفتح حيث وفّر لهم كل مستلزمات التسلّط على الناس اقتصادياً، سياسياً واجتماعياً.

وكان الخليفة عمر هو الذي صمم خطة دقيقة لوصول عثمان بن عفّان، وعشيرته إلى المواقع المركزية في إدارة شؤون المسلمين من خلال «مخطط الشورى السداسية» التي فرضها الخليفة على المسلمين، وهو في آخر ساعاته، وتبنتها (الزعامة القرشية)، وحلفاؤها في المدينة المنوّرة بقوة!

وهذه خطة الشورى السداسية، كما أوصى بها عمر، ونفذت بعد وفاته بشكل دقيق.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يتحدث عن مسيرة الأحداث السياسية بعد النبي صلى الله عليه وآله وموقعه منها: «.. **حتى إذا مضى الثاني لسبيله، جعلها في جماعة**

---

(١) أنظر برنامج عمر في العطاء عند ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة٨: ١١.

(٢) شرح نهج البلاغة١٢: ١٨٥ـ١٨٧.

**زعم أني أحدهم.. فيا للهِ، وللشورى، متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر..»**[١].

قال المؤرخ الشهير أبو الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، متحدثاً عن مجريات الأمور بعد عملية اغتيال الخليفة عمر بن الخطّاب:

«لما طعن عمر بن الخطاب، قيل له: يا أمير المؤمنين لو استخلفت؟ فقال: من استخلف؟ لو كان أبو عبيدة ـ بن الجرّاح ـ حياً لاستخلفته، وقلت لربي ـ إن سألني ـ سمعت نبيك يقول: إنه أمين هذه الأمة! ولو كان سالم مولى حذيفة حيّاً لاستخلفته، وقلت لربي: ـ إن سألني ـ سمعت نبيك يقول: إن سالماً شديد الحب لله[٢]!

ومن الطبيعي جداً أن يذكر الخليفة هذه الكلمات لرجلين كان أولهما شريكاً أساسياً في مؤتمر السقيفة الذي كيّف الأحداث السياسية بعد رسول اللهﷺ كما كان ثانيهما من المندكين في المشروع السياسي لقريش... ولو قدر أن أبا عبيدة بن الجرّاح كان حياً لكان هو الخليفة بعد عمر، ولكان عثمان بن عفان الخليفة الرابع، ولربما كان تسلسل أمير المؤمنين عليعليه السلام ـ إن سمحت له قريش ـ أن يكون الخليفة الخامس!

ثم إن عمراً (دعا عليّاً، وعثمان، وسعداً، وعبد الرحمن، والزبير) وبعد أن مدحهم، ووصفهم بأنهم سادة الناس، وقادتهم بعده، وإن رسول اللهﷺ توفي، وهو راض عنهم، وإن الخلافة متعينة فيهم، وما عليهم إلاّ أن يختاروا أحداً لها من بينهم، ثمّ قال: «إذا متُّ، فتشاوروا ثلاثة أيام، وليصلِّ بالناس صهيب ـ

---

(١) الإرشاد١: ٢٨٨، الأمالي للطوسي: ٣٧٣، الاحتجاج١: ٢٨٦، شرح نهج البلاغة١: ١٨٤، مناقب آل أبي طالب٢: ٤٩.

(٢) تاريخ الطبري٣: ٢٩٢، الأنوار العلوية: ٣٢٣.

الرومي - ولا يأتينّ اليوم الرابع إلاّ، وعليكم أمير منكم، ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً، ولا شيء له من الأمر، وطلحة شريككم في الأمر، فإن قدم في الأيام الثلاثة، فأحضروه أمركم...[١]، ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف، فاسمعوا منه، وأطيعوا...»[٢].

ثم أمر أبا طلحة الأنصاري: أن يحضر خمسين رجلاً للضغط على المؤتمرين لإنجاز مهمتهم دون تأخير، ثم أمر المقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حجرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً[٣]!

وأمر صهيباً بالصلاة بالناس ثلاثة أيام، ثم أصدر أمراً أن يعقد أعضاء الشورى اجتماعهم بعد وفاته، ودفنه في قبره لاختيار الخليفة الجديد.

فلمّا توفي عمر، ودفن، دعاهم المقداد بن الأسود للاجتماع - في بيت المسوّر بن مخرمة - وكان قد كلف بذلك، فاجتمعوا، وهم تحت الإلحاح الشديد للخروج بالنتيجة المطلوبة، وكان الاجتماع محاطاً بخمسين سيفاً بقيادة أبي طلحة الأنصاري، حيث كلف بتصفية المجتمعين إن هم تأخروا عن اختيار الخليفة[٤]! وهنا ترد ملاحظتان:

١- إن توجيهات الخليفة عمر بن الخطّاب، وأوامره كانت تحظى بقوة إجرائية فائقة، قلما تحظى بها أوامر أي زعيم أو رئيس بعد موته، وحتى الأنبياء عليهم السلام

---

(١) خلاصة عبقات الأنوار٣: ٣٤٢، شرح نهج البلاغة١: ١٩١، ابن أبي الحديد، تاريخ المدينة لابن شبة النميري٣: ٩٢٤.

(٢) الكامل في التاريخ٣: ٦٥-٦٦، وكان طلحة غائباً عن المدينة يومئذ، وفي شرح نهج البلاغة١: ١٨٧-١٩٨. لابن أبي الحديد تفاصيل.

(٣) خلاصة عبقات الانوار٣: ٣٣٩، تاريخ الطبري٣: ٢٩٤.

(٤) ابن أبي الحديد ١: ١٨٧، والطبري٣: ٢٩٤-٢٩٥.

كثيراً ما تتعرض وصاياهم ـ مهما كان موقعها القانوني ـ إلى الخرق، والتجاوز بيد أن توصيات عمر، وأوامره طبقت بشكل حرفي دقيق كما لو كانت قانوناً تدعمه سلطة إجرائية قويّة، تماماً، كما في الحكومات ذات النظام المركزي الحديدي.

وقد جرى ذلك خلافاً لما شهدناه بالنسبة لأوامر الرسولﷺ، وقراراته بشأن موضوع الخلافة أو غيرها من بعده!

فهل يمكن لأحد أن يتصوّر أن أوامر عمر بن الخطّاب لم تكن تملك جهازاً إجرائياً فاعلاً ومنظماً يتبنى تلك الأوامر ويتمسك بتنفيذها بذلك الشكل الذي سارت فيه؟ وإلاّ فما الدوافع التي حملت صهيباً، وأبا طلحة الأنصاري وغيرهما على تنفيذ تلك الأوامر تنفيذاً حرفياً فور دفن عمر، وما هي السلطة التي حملت الناس، وهم ألوف، وفيهم الصحابة والعلماء والفقهاء وزعماء القبائل على عدم تجاوز تلك الأوامر بقول أو فعل، فبقوا ينتظرون نتائج الاجتماع وفق الخطة التي رسمها عمر؟

إن من الطبيعي أن يقطع أي عاقل أن وراء تلك الحالة سلطة فاعلة، ومطاعة تحمل الناس على الطاعة والانقياد، وانتظار النتائج، إنها سلطة الحزب القرشي الذي خطط مسيرة الأحداث السياسية منذ أيام رسول اللهﷺ، حتى تلك الساعة.

إن بصمات سلطة تلك القوة المنظمة، واضحة من خلال خضوع الناس لأوامر الخليفة الراحل وما تملك من قوة تنفيذية، من الأمة والدولة بعد وفاته، ثم إن بصمات تلك السلطة الفاعلة تتضح من خلال ما نقرؤه بين السطور: إن الخليفة عمر بن الخطّاب لم يضع تصوره عن كيفيّة اختيار الخليفة الذي يليه إلاّ بعد أن استشار «.. إن عمر لما طعنه أبو لؤلؤة، وعلم أنه ميّت، استشار فيمن

يولّيه الأمر بعده، فأشير عليه..»[١]، فمن استشارهم عمر، وأشاروا عليه هم الذين يملكون زمام الأمر من بعده، ويتحكمون في مسيرة الأحداث في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ـ إن النظام الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطّاب لاجتماع (الشورى) كان محدد النتائج، بشكل دقيق، تماماً كما يجري في الانتخابات الصورية في الدول الدكتاتورية في العالم اليوم، التي تعتمد طريقة ترشيح شخص واحد للقيادة، فيجري عليه التصويت العام، أو يؤتى بمرشحين مجهولين أو ضعاف، لتمرير عملية فوز المرشح المطلوب، بالأكثرية المطلوبة! فانظر تفاصيل النظام الداخلي الذي وضعه عمر لذلك الاجتماع التاريخي[٢]:

«أنظر ـ يا أبا طلحة ـ إذا عدتم من حفرتي، فكن في خمسين رجلاً من الأنصار، حاملي سيوفكم، فخذ هؤلاء النفر بإمضاء الأمر، وتعجيله، واجمعهم في بيت، وقف بأصحابك... ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم»[٣].

هذه هي الضوابط القانونية التي فرضها الخليفة عمر بن الخطّاب على اجتماع (الشورى) السداسية، التي تحولت إلى خماسية بغياب طلحة بن عبد الله التيمي في خارج المدينة[٤]، ولم يحضر إلاّ بعد بيعة عثمان بالخلافة!

وبعد وفاة الخليفة عمر ودفنه اجتمع الخمسة المذكورون في دار المسوّر بن مخرمة تحت حراسة مشددة من خمسين مسلحاً، يشهرون سيوفهم بقيادة أبي طلحة الأنصاري، الذي كلفه عمر بتلك المهمة.

---

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي١ : ١٨٥ «قصة الشورى».

(٢) ابن أبي الحديد ١ : ١٨٧، الكامل: ٦٧، ابن الأثير الجزري، والطبري٣ : ٢٩٤.

(٣) كتاب الأربعين: ٥٦٨، شرح نهج البلاغة١ : ١٨٧.

(٤) وقد خالف ابن أبي الحديد سائر المؤرخين في ذلك لأنه يؤكد إن طلحة حضر الاجتماع، واختار عثمان للخلافة. شرح نهج البلاغة١ : ١٨٧، ولكن الواقع غير ذلك!

وكانت كافة الشروط متوفرة لتقليد الخلافة إلى عثمان بن عفان.

فعبد الرحمن بن عوف كان صهراً لعثمان بن عفّان، حيث كان زوجاً لأخت عثمان من أمه: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بنت أروى بنت كريز (أم عثمان).

وسعد بن أبي وقاص كان لا يحب عليّاً لأنه كان قد قتل أخواله في حروب المسلمين فوجد عليه، وهو سوى ذلك أقرب إلى رأي ابن عمه عبد الرحمن بن عوف، وكلاهما من بني زهرة.

ثم إن مقياس الفوز بالخلافة هو عبد الرحمن ذاته، فمع من يكون تكون الخلافة فيه، وكان من إصراره أن من مواصفات الخليفة، أن يسير بسيرة أبي بكر، وعمر في الناس! وهذا ما لا يرتضه عليعليه السلام لنفسه، فهو لا يرى ملزماً له غير الكتاب والسنة، كما ليس من أخلاقه أن يعد بالالتزام بها، وينكث!

فلما اجتمع أعضاء (الشورى) تحدث عبد الرحمن بن عوف، وقال: من يخرج نفسه من الخلافة؟ فلم يتكلّم أحد، ثم قال: أشهدكم إني أخرجت نفسي منها[1]!

ثم إن سعداً، وهب حقه لابن عمه عبد الرحمن، وربط رأيه برأيه، فأخرج نفسه هو الآخر منها[2]!

أما الزبير فأعلن دعمه لعليّعليه السلام، ولكن دون جدوى، فإن الأكثرية كانت في كفة عثمان!

ثم تحدث عبد الرحمن بن عوف، وبدأ بعليّعليه السلام، قائلاً: أبايعك على كتاب الله، وسنة رسوله، وسيرة الشيخين: أبي بكر وعمر! فأجاب عليعليه السلام: بل على كتاب الله، وسنة رسوله، واجتهاد رأيي!

---

(١) كتاب الأربعين: ٥٦٩، شرح نهج البلاغة١: ١٨٨.

(٢) كتاب الأربعين: ٥٦٩، شرح نهج البلاغة١: ١٨٨، بحار الأنوار٣١: ١٩٩.

فعدل ابن عوف إلى عثمان؛ وخاطبه: أبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله، وسيرة الشيخين، فقال: نعم، ثم أعاد عبد الرحمن كلامه عليهما ثلاث مرات، وعلي عليه السلام لم يغيّر ما أصر عليه، وعثمان «ينعم له بالإجابة»[١] فصفق عبد الرحمن على يد عثمان قائلاً: السلام عليك يا أمير المؤمنين!

فعلق علي عليه السلام ـ مخاطباً ابن عوف ـ قائلاً: **«والله ما فعلتها إلاّ لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشِم»**[٢]، ثم قال الإمام علي عليه السلام: **«إن الله كل يوم هو في شأن... سيبلغ الكتاب أجله... خدعة، وأيما خدعة..»**. وهكذا تمّ لقريش ما أرادت.

وتسلم عثمان بن عفّان تقاليد الأمور وتحققت التوقعات التي نسبت للخليفة عمر بن الخطّاب حول الطريقة التي يدير بها عثمان شؤون الأمة والدولة، فقد قيل إن عمر ـ وهو على فراش مرضه الأخير ـ التفت إلى عثمان بن عفّان، وقال له: «كأني بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر.. فحملت بني أميّة، وبني أبي مُعيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب، فذبحوك على فراشك ذبحاً...»[٣].

---

(١) أنعم له: يقول نعم، نعم، كتاب الأربعين: ٥٦٩ و٥٧٠ الإمام علي عليه السلام: ٧١٥، شرح نهج البلاغة ١: ١٨٨.

(٢) عطر منشِم: منشِم امرأة تبيع العطر في الجاهليّة وقد تطيب به رجال خزاعة، وجرهم، واقتتلوا بينهم فكثر بينهم القتل، فذهب ذلك مثلاً، حيث يقال: أشأم من عطر منشِم... وقد استجاب الله دعوة علي عليه السلام حيث وقع الخلاف بين عثمان وعبد الرحمن، وكان أحدهما يعلن عداءه للآخر حتى ماتا متقاطعين. أنظر الطبري ٣: قصة الشورى، و كتاب الأربعين: ٥٦٩ و٥٧٠ الإمام علي عليه السلام: ٧١٥، شرح نهج البلاغة ١: ١٨٨.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ١: ١٨٦، عمر بن الخطاب: ٣٠٨، الإيضاح: ١٦٥. وهذه النبوءة إن صحت فليس ببعيد أن تكون من المغيبات التي تحدث بها رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض الصحابة، وكان منهم عمر.

فقد سلك عثمان سياسة تفضيل أهل بيته على الناس، وميزهم عن سواهم بالمناصب، والجاه، والمال، والقطائع، وإدارة البلاد، والعباد، حتى صحت فيه فراسة من سبقه في الخلافة ـ كما رواها ابن أبي الحديد المعتزلي ـ .

افتتحت أفريقية في عهده، فأخذ الخمس كلّه، ووهبه لمروان بن الحكم! حتى قال فيه أحد الحضور، وهو عبد الرحمن بن حنبل الجُمحي[١]:

**وأعطيت مروان خمس البلاد فهيهات سعيُك ممّن سعى!**

وأعاد الحكم بن أبي العاص الأموي إلى المدينة المنوّرة، بعد أن كان نفاه رسول الله ﷺ عنها، والتزم أبو بكر، وعمر بنفيه ذلك، وأكرمه عثمان فوق ذلك بمائة ألف درهم من بيت المال[٢]!

وكان رسول الله ﷺ قد تصدّق بموضع سوق مهزور في المدينة على المسلمين ينتفعون من ريعه ـ وكان أرضاً زراعية، وبساتين ـ غير أن عثمان وهبه للحارث بن الحكم أخي مروان!

ووهب قرية فدك ـ وهي أرض زراعية غنية جداً ـ إلى مروان بن الحكم، وكان أبو بكر قد صادرها من الصدّيقة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فطلبتها منه وحاججته جهاراً بالميراث تارة، وبالنحلة من رسول الله تارة أخرى، ولكنه أصر على منعها منها بذريعة رواية رواها هو عن رسول الله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه، فهو صدقة»[٣]!

ومنع المسلمين من رعي مواشيهم في المراعي التي تقع خارج المدينة، وحماها لمواشي بني أمية دون سواهم!

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ١: ١٩٨، النص والاجتهاد: ٤٠٠.

(٢) الاستغاثة١: ٥١.

(٣) أنظر تفاصيل هذه القضية في كتاب: الصدّيقة الزهراء بين المحنة والمقاومة، للمؤلف.

ووهب عبد الله بن أبي سرح واليه على مصر جميع الفيء في غرب أفريقية ـ وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة ـ دون أن يشرك معه أحداً سواه!

ووهب أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال، في اليوم الذي وهب لمروان مائة ألف، فبكى زيد بن أرقم خازن بيت المال (مدير الخزانة المركزية) وسلم المفاتيح إلى عثمان مستنكراً، فقال له عثمان: أتبكي أن وصلتُ رحمي! ثم قال له: ألقِ المفاتيح فإنّا سنجد غيرك!

أتاه أبو موسى الأشعري بأموال كثيرة من العراق، فوزعها كلها في بني أمية دون سواهم، وأنكح الحارث بن الحكم ـ شقيق مروان ـ ابنته عائشة ووهبه مائة ألف من بيت المال.

نفى أبا ذر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الشام ثم إلى الربذة[1]، وأرهقه بالأذى مع كبر سنه لأنه اعترض على تجاوزاته لسياسة الإسلام في العطاء والوظائف، ومعاملة الناس، واسمعه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2].

ضرب الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود حتى كسرت أضلاعه لاعتراضه على سيرته في الإدارة، وسياسته المالية، وطريقته في جمع القرآن الكريم.

كما عذب عمار بن ياسر حتى أغمي عليه يوماً كاملاً، فأثار غضب الناس.

وكتب إلى واليه على مصر أن يعاقب قوما من المسلمين بالقتل لأنهم نصحوه بتغيير سياسته في المال، والإدارة!

---

(١) كتاب الأربعين: ٣٢٣، الغدير ٨: ٣٠٣، شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٠.

(٢) التوبة: ٣٤.

- اعتمد الفسقة، والظالمين في إدارة أمور الناس، والصلاة من الزناة، والمتجاهرين بشرب الخمر، وأمثال ذلك.
- إطلاقه يد معاوية في بلاد الشام كلّها، يعمل فيها ما يشاء.
- كما أطلق أيدي أقاربه في الكوفة، ومصر، والبصرة، وسواها من بلاد الله الغنية، فساموا الناس سوء العذاب، ونهبوا الأموال العامة، وتصرّفوا كيف يشاؤون، حتى اعتبروا أموال الأمة بستاناً لقريش، وعدّوا ثروة الأمة ملكاً للعائلة المالكة تتصرف كيف تشاء، تعطي من تشاء، وتحرم من تشاء!

وقد رافق هذه السياسة الظالمة إشاعة الفساد، وحرمان الناس من حقوقهم، وقد عبّر أمير المؤمنين علي عليه السلام عن هذه الحالة المؤلمة أجمل تعبير من خلال هذه الكلمات: «.. **إلى أن قام ثالث القوم، نافجاً حِضنيه، بين نَثيلِه، ومُعتَلفِه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه فتلُه، وأجهز عليه عملُه، وكبَتْ به بطنته..**»[1].

هذا وقد كان لطريقة الخليفة عثمان في جمع القرآن الكريم صداها السيئ خلافاً لما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث انتزع الشرح النبوي لنصوص القرآن عن المصاحف المتداولة، وجمع الناس على مصحف واحد مجرد عن شروح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للسور، والآيات الكريمة، مما أثار عليه طبقات واسعة من الناس، خصوصاً أهل الكوفة الذين كانوا قد تعلموا القرآن بواسطة الصحابي

---

(١) نهج البلاغة١ : ٣٥، الارشاد١ : ٢٨٩، مناقب آل أبي طالب٢ : ٤٩، الطرائف: ٤١٨، نافجاً حضنيه: رافعاً لهما، والحضن: ما بين الأبط والكشح، تقال للمتكبر، ولمن امتلأ بطنه طعاماً. والإمام علي عليه السلام أراد المعنى الثاني. النثيل: الروث. والمعتلف: موضع العلف، والمراد همه الأكل والرجيع. الخضم: الأكل بكل الفم. وضده القضم: وهو الأكل بأطراف الأسنان... انتكث فتله: انتقض ما أبرمه. وأجهز عليه عمله: تمّم قتله. وكبت به بطنته: كبا الجواد إذا سقط لوجهه. والبطنة: الإسراف في الشبع.. وهذه الكلمات أشد أنواع الذم لطريقة عثمان بن عفّان في إدارة الأمور.

الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، الذي كان له مصحف مشروح عن لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وتفيد بعض المعلومات التاريخية أن هذه القضية، (قضية جمع القرآن)، التي نفذها الخليفة عثمان بالشكل الذي ذكرنا ، أججت صراعاً عنيفاً بين المسلمين في كثير من المناطق، ومنها : قوى الجيش الذي غزا أرمينية حيث نشب القتال عنيفاً بين الجنود الشاميين، والجنود العراقيين في ذلك الجيش حول قراءة القرآن الكريم[١] .

ومن الطبيعي أن يكون أهل الشام قد اعتمدوا النسخة الرسمية - التي وفرها عثمان - مبكراً لأنها أقرب لمزاج معاوية والي الشام يومذاك، والمعتمد الأساس لدى عثمان، لأنها كانت خلواً من الشروح التي تكشف حقيقة بني أميّة، وأمثالهم لأهل الشام الذين كان بنو أميّة حريصين أن يبقى مغلقاً لنفوذهم، مهما أمكن..

إن هذه السياسة الموغلة في الأرستقراطية والظلم التي سلكها الخليفة عثمان، وأقرباؤه من بني أميّة قد أججت الموقف في عموم بلاد المسلمين، وديارهم.

ورغم أنّ عثمان حاول أن ينزع فتيل الثورة مبكراً، حيث شجع هجرة الصحابة، وأبنائهم إلى خارج المدينة المنوّرة ليتخلص من ضغطهم على إدارته، إلاّ أنّ هذه السياسة لم تحقق أهدافها المتوخاة، يقول الطبري في تاريخه في أحداث عام خمسة وثلاثين ما يلي :

«كان عمر قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلاّ بإذن، وأجل... فلما ولي عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر،

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية : ١١٢ ، كارل بروكلمان ، مصدر سابق.

فانساحوا في البلاد، فلما رأوها، ورأوا الدنيا، ورآهم الناس، انقطع من لم يكن له طول ولا مزية في الإسلام، فكان مغموراً في الناس، وصاروا أوزاعاً إليهم، وأملوهم، وتقدموا في ذلك، فقالوا: يملكون، فنكون قد عرفناهم، وتقدمنا في التقرب، والانقطاع إليهم، فكان ذلك أول وهن دخل على الإسلام، وأول فتنة كانت في العامة ليس إلاّ ذلك»[1].

وبدلاً من أن تؤدي هذه السياسة العثمانية تجاه الصحابة من قريش إلى التخفيف من نقدهم له، وضغطهم على إدارة عثمان استطاعوا أن يوسعوا من نفوذهم الاقتصادي، والسياسي في الأقاليم التي استوطنوا فيها، فضاعفوا الثروات، وكوّنوا الإقطاعيات الكبيرة في البلدان الزراعية، وكوّنوا تياراً من المريدين، والأتباع فيها كما فعل طلحة في الكوفة، والزبير في البصرة، وأمثالهم.

وعندما عانت الأمة من السياسة المالية، والإداريّة التي تبناها عثمان وولاته، وعمّاله أيام خلافته، تفاعل الكثير من الصحابة، وأبنائهم مع الجمهور الذين عاشوا معه، وهكذا اتّسع نطاق الاحتجاج، والرفض لسياسة الخليفة الثالث، حتى تفاعل بمرور الأيام، وتراكم الأحداث، فتمخض عن إراقة دمه في داره ـ كما سنرى ـ.

---

(١) الطبري٣ : ٤٢٦ (باب بعض سير عثمان بن عفّان).

# الثورة الشعبية ونهاية عثمان

لم تكن الحركة التي أطاحت بالخليفة الأموي عثمان بن عفان، معارضة سياسية محدودة المساحة، والفاعلية، والأهداف، وإنما كانت ثورة شعبية عارمة اجتاحت أقاليم الدولة المركزية ـ عدا الشام المضلل بمعاوية وإعلامه ـ وكانت أقاليم الدولة يومذاك دولاً كبرى لها جيوش، وأموال طائلة، وإمكانات عظيمة، لأن النظام الفدرالي كان هو السائد في تلك الدولة العظمى الممتدة من المحيط إلى المحيط، والمتوغلة في أكثر بلدان آسيا، وأفريقيا، وأجزاء من أوروبا.

لقد شملت الثورة الشعبية المسلحة على عثمان كلاً من مصر، والعراقين: الكوفة والبصرة، وانضمت لها العاصمة، وجاء الآلاف من المصريين إلى المدينة المنوّرة، وانضم إليهم العراقيون، وجاء جيش من الشام لحماية الخليفة ـ بناء على طلب الخليفة ـ ولكنه ظل مرابطاً خارج المدينة بأمر معاوية[1] انتظاراً لقتل عثمان لغاية في نفس معاوية!

لقد أرهب ولاة عثمان جماهير المسلمين، وظلموهم، واستهتروا بحقوقهم، وعطلوا الحدود الشرعية، وأشاعوا المنكر حتى بلغ الاستهتار أن واليه على الكوفة الوليد بن عقبة كان يشرب الخمر مع ندمائه، ومغنيه من أول الليل إلى

---

(١) مروج الذهب٢ : ٢٢٥، المسعودي.

الصباح، فلما أذن المؤذن للصلاة، خرج منفصلاً في غلائله، فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح. فصلّى بهم أربعاً، وقال: تريدون أن أزيدكم؟ حتى أنه لشدة ذهوله. وسكره، قال في سجوده: اشرب واسقني، فقال له من كان خلفه من المصلين في الصف الأول: والله لا أعجب إلاّ ممن بعثك إلينا والياً، وعلينا أميراً.. وكان قد تقيأ في المحراب من فرط سكره! وخطب الناس، فحصبه الناس بحصباء المسجد، فدخل قصره يترنح، وهو يتمثل بهذه الأبيات:

**ولست بعيداً عن مدام وقينة ولابصفا صلد عن الخير معزل**

**أروي من الخمر هامتي وأمشي الملا بالساحب المتسلسل**[١]

وقد شكاه أهل الكوفة إلى عثمان، فأخافهم، فاستجاروا بعائشة، فقال عثمان: أما يجد فسّاق العراق، ومرّاقها ملجأ إلاّ بيت عائشة[٢].

وهذا الوالي، هو الذي شهد القرآن الكريم بفسقه جهاراً حيث كانت هذه الآية قد نزلت فيه لحادثة معلومة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[٣]، ولكن الخليفة فرضه على الناس والياً، وإماماً للصلاة!

وأما واليه على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فهو الذي أهدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه يوم فتح مكة، بسبب استهزائه بالإسلام، والقرآن، وردته بعد إسلامه، إلاّ أن عثمان أجاره يوم الفتح، وطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله حقن دمه، فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله طويلاً، ثمّ أمضى طلب عثمان بشأنه، فكان أسوأ الطلقاء[٤]!

---

(١) مروج الذهب٢: ٢٢٥، المسعودي، أحاديث أم المؤمنين عائشة١: ١٢٣.

(٢) شرح نهج البلاغة١٧: ٢٣٢، السقيفة وفدك: ١٢٤.

(٣) الحجرات: ٦.

(٤) ابن الأثير٢: ٢٤٩، أحاديث أم المؤمنين عائشة.

وهكذا كان ولاته من هذا النمط المخجل وغيره... وكان عثمان يتولى عملية الدفاع عن ولاته، ويبرر أعمالهم، ولم يثنه عن ذلك إنكار الصحابة، وأبنائهم، بل كان يعاقب كل من اعترض عليه، ويصب العذاب عليه صباً، كما فعل بعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وأبي ذر الغفاري، وغيرهم.

ولقد بالغ علي أمير المؤمنين عليه السلام في نصح عثمان، وفي الدفاع عنه، وفي محاولة دفع القتل عنه، حتى ذكر أنه لكثرة دفاعه، خشي أن يكون مأثوماً بذلك: «**والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً**»[1]، ولكن عثمان كان يعد بالإصلاح، ثمّ ينقض ما وعد به!.

وقد اشتدت الفتنة عندما عثر ثوار مصر على كتاب يحمله مولىً لعثمان، يدعو فيه عامله على مصر عبد الله بن سعد أن ينكل بأولئك الثوّار، بينما كان عثمان قد وعدهم بعزله عن مصرهم، وهكذا عاد أولئك الثوّار إلى المدينة المنوّرة فاشتد الأمر وحوصر عثمان وذبح على فراشه!

لقد اختلفت طوائف من المسلمين ـ فيما بعد الحادثة ـ في تقويم عملية الإجهاز على الخليفة، وقتله، فكان بعضهم يرى فعل الثوّار مشروعاً صحيحاً، بينما يراه آخرون خاطئاً، آثماً، بيد أن أمير المؤمنين عليه السلام ـ وهو ميزان الحق والعدل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ قد قوَّم هذا الحادث، فقال:

«**.. أنا جامع لكم أمره، استأثر، فأساء الأثرة، وجزعتم، فأسأتم الجزع، ولله حكمٌ واقع في المستأثر، والجازع**»[2].

---

(١) بحار الانوار٣١: ٤٧٣، الغدير٨: ٣٨١، شرح نهج البلاغة١٣: ٢٩٦.

(٢) شرح نهج البلاغة٢: ١٢٦، خطبة رقم٣٠، ابن أبي الحديد، نهج السعادة٥: ٢٢٣، حياة أمير المؤمنين٢: ٢٣٨.

ولقد حدد ابن أبي الحديد المعتزلي مضمون هذه الكلمات في شرحه لها فقال: استبد عثمان بالأمور، فأساء في ذلك، وجزع الناس منه، فبالغوا في جزعهم، وسخطهم عليه في ذلك، فكان الواجب أن يرجع عمّا فعل وكان الواجب على قاتليه أن لا يصلوا به إلى حد القتل، بل يكتفون منه بالخلع والحبس، واختيار غيره للخلافة[1].

(١) شرح نهج البلاغة٢ : ١٢٨-١٢٩.

# كنت كارهاً للحكومة*!!

أجهز الثوّار على الخليفة عثمان بن عفّان، وقتلوه في بيته بعد محاولات عديدة من المخلصين، وصالحي المؤمنين أن يثنوه عن سياساته الخاطئة، ويثنوا الثوّار عن الأقدام على قتله ويحفظوا وحدة الأمة!

لقد قتل عثمان بعد أن فتح القتل، والقتال على المسلمين، بعد موته، وهو ما جهر به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام محذراً عثمان منه مراراً، ومنه قوله: «.. **وإني أنشدك الله ألا تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنّه كان يقال: يُقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمورها عليها، ويبثّ الفتن فيها، فلا يبصرون الحقّ من الباطل؛ يموجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً. فلا تكوننّ لمروان سيّقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السنّ وتقضّي العمر**»[1].

وفي خضم هذه الأحداث العاتية اشرأبت الأعناق لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فدعوه لسد الخلة، وجمع الشمل، والقيام بالأمر.. بيد أن عليّاً عليه السلام كان عازفاً عن الخلافة، زاهداً في الإمرة، لا يراها إلاّ كعفطة عنز، وقد تأمل كثيراً عندما أقبل عليه الناس يلتمسون منه التصدي لقيادتهم، فلعل نقمة الناس على عثمان هي التي أججت العاطفة نحو علي عليه السلام، وشدت إليه الجماهير!

---

* شرح نهج البلاغة١: ٣١٠.

(١) نهج البلاغة٢: ٦٩، الغدير٩: ٧٥، تاريخ الطبري٩: ٣٧٦.

ومن أجل ذلك كان يعرض عن طلب الناس رغم إلحاحهم، حتى ذكرت بعض الوثائق انّه حاول التخفي عنهم كي يجدوا غيره لتولي هذا الأمر الخطير، خصوصاً، وانّه كان يعلم أن مسيرة الأحداث ستجري على غير ما يرام؛ وستتوالى الفتن، ويدلهم الخطب؛ فحين تظاهر الناس أمامه يطلبون تصديه للقيادة خاطبهم: «**دعوني، والتمسوا غيري، فأنّا مستقبلون أمراً له، وجوه، وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكّرت...**»[١]. «**.. ولقد نبئت بهذا المقام، وهذا اليوم..**»[٢].

بيد أن الناس لم يقبلوا اعتذاره، ولم يرضوا بغيره بدلاً، فأخرجوه من داره على غير رضىً منه، وبايعوه مكرهاً. يقول أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك ما يلي: «**... ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي، فبايعتموني على شين منّي لأمركم وفراسة تصدقني ما في قلوب كثير منكم...**»[٣].

ويتحدث المؤرخ ابن الأثير الجزري في تاريخه عن بيعة الإمام علي عليه السلام وظروفها، فيقول: «انّه لمّا قُتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير، فأتوا عليّاً فقالوا له: إنّه لابدّ للناس من إمام. قال: **لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيتُ به.** فقالوا: ما نختار غيرك، وتردّدوا إليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك: إنّا لا نعلم أحداً أحقّ به منك، لا أقدم سابقةً، ولا أقرب قرابةً من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **لا تفعلوا فإنّي**

---

(١) نهج البلاغة١: ١٨١، الكامل٣: ١٩٣، ابن الأثير، مناقب آل أبي طالب١: ٣٨٧. ميزان الحكمة١: ٣٢٠.

(٢) ابن أبي الحديد١: ٢٧٢، خطبته لما بويع، رقم النص ١٦، الكافي١: ٣٦٩، نهج السعادة١: ١٩١. دور الأخبار: ٧٢.

(٣) ابن أبي الحديد١: ٣٠٧، من خطبة له بالمدينة المنوّرة بعد بيعته، وخروج طلحة، والزبير عليه، نهج السعادة١: ٢٤٢. الجمل: ٢٣٤.

**أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً**. فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: **ففي المسجد، فإنّ بيعتي لا تكون خفيةً ولا تكون إلاّ في المسجد**. وكان في بيته، وقيل: في حائط لبني عمرو بن مبذول، فخرج إلى المسجد وعليه إزار وطاق وعمامة خزّ ونعلاه في يده متوكّئاً على قوس، فبايعه الناس؛ وكان أوّل من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله، فنظر إليه حبيب بن ذؤيب فقال: إنّا لله! أوّل من بدأ بالبيعة يد شلاّء، لا يتم هذا الأمر! وبايعه الزبير. وقال لهما عليّ: **إن أحببتما أن تبايعاني وإن أحببتما بايعتكما**. فقالا: بل نبايعك...»[1].

وتتحدث بعض الوثائق إن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكتفِ بتلك البيعة، وإنما جددها في اليوم الثاني من أجل توكيدها على الناس، وليتحملوا المسؤولية الشرعية فيما بعد، إزاء الخطط الإصلاحية التي يباشرها الإمام عليه السلام.

فقد حضر الناس في المسجد النبوي الشريف، وكان يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي الحجة الحرام عام ٣٥هـ، فصعد المنبر، فتحدث، ومما جاء في حديثه.. «**قد افترقنا بالأمس على أمر، وكنت كارهاً لأمركم، فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم.. فقالوا: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس، فقال: اللّهم اشهد..**»[2].

وتفيد الوثائق التاريخية المؤكدة، انّه لم يستجب لإلحاح الناس مع كل ما جرى إلاّ بعد أن شدد عليهم القول إنه، إنّما يستجيب لهم، وفق شروطه هو: «**.. قد أجبتكم واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب..**»[3].

---

(١) ابن الأثير٣: ١٩٠-١٩١، بحار الأنوار٣٢: ٧.

(٢) الفتنة ووقعة الجمل: ٩٤، تاريخ الطبري٣: ٤٥٦.

(٣) نهج البلاغة١: ١٨١، مناقب آل أبي طالب١: ٣٨٧.

وكانت بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام فريدة من نوعها من حيث الإقبال الجماهيري على بيعته، ورضاهم به، وسرورهم بإمرته وخلافته؛ يقول الإمام عليه السلام في ذلك ما يلي: «**أتيتموني لتبايعوني، لا حاجة لي في ذلك، ودخلت منزلي، فاستخرجتموني، فقبضت يدي، فبسطتموها، وتداككتم عليّ، حتى ظننت أنكم قاتليّ، وأن بعضكم قاتل بعض، فبايعتموني، وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل، وقد علم الله سبحانه انّي كنت كارهاً للحكومة..**»[1].

ويتحدث الإمام عليه السلام عن سرور الناس به، وفرحهم الغامر بتوليه الخلافة، خلافاً لبعض أصحاب المنافع، وهم قلّة قليلة.. يقول عليه السلام وهو يصف ذلك السرور الغامر: «**وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها، فقبضتها، ثم تداككتم عليَّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم وِردها، حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيّاي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكَعاب**»[2].

هكذا كانت الظروف التي ألمت ببيعة الإمام علي عليه السلام خليفة للمسلمين، سواء على مستوى موقفه هو، وموقف الناس من حوله، والملابسات التي أحاطت بالبيعة ذاتها وهنا ترد جملة حقائق لابدّ من الإشارة إليها:

١ـ كانت بيعة أمير المؤمنين عليه السلام أول بيعة جماعية بهذا الشمول، والسعة حيث لم يتسنَّ لمن سبقه من الخلفاء أن يحظوا بما حظي به من جماهيرية وإقبال شعبي.

---

(١) تداككتم: تزاحمتم. ابن أبي الحديد ١: ٣٠٩ـ٣١٠، بحار الأنوار ٣٢: ٦٣، نهج السعادة ١: ٢٨٣.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢٢٢، كشف المحجة لثمرة المهجة: ١٨١، نهج السعادة ٥: ٢٢٢، التداكّ: الازدحام الشديد. الهيم: العطاش. هدج: مشى مشية الضعيف في ارتعاش. الكعاب: الكواعب وهي الجواري التي يبدو ثديها للنهود.

٢ـ امتازت بيعة الإمام عليه السلام بالحالة الطوعية والاندفاع الذاتي، فلم يحمل الناس أحد ولا سلطان إلى البيعة له كما جرى بالنسبة لغيره، وكان أول خليفة أكرهه الناس على البيعة، حتى انّه كان يتخفى عنهم، وقد بلغ الحال إن هدد الثوار بقتله إن هو تجاوز حرصهم على بيعته[١]!

٣ـ انحنت المعارضة القرشية للتيار، فبايعت علياً عليه السلام في منطقة نفوذه، خوفاً من الجماهير، أما في خارج هذه المنطقة، فلم يستجب معاوية لذلك، وأعلن رفضه لهذه البيعة الواسعة تحت شعار المطالبة بدم عثمان! والتحق به أبرز ولاة عثمان من بني أمية، وهربوا من ولاياتهم بأموال بيوت المال.

٤ـ لم يبايع الناس أمير المؤمنين عليه السلام لكونه إماماً افترض الله طاعته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّما بويع بيعة سياسية حسب الضوابط التي أشاعها العرف السياسي الذي نشأ منذ اجتماع السقيفة! وتسالم عليه الناس، منذ ذلك التاريخ! فقد بويع الإمام عليه السلام لقناعة عموم الناس بجدارته الإدارية، والسياسية، وتحقيقه لمصالحهم.

٥ـ تخلفت مجموعة قليلة نسبياً عن بيعته، فلم يحمل أحداً منهم على البيعة، ولم يتهم منهم أحداً بالمروق أو الردة أو الخروج عن جماعة المسلمين بسبب ذلك، كما فعل غيره ـ كما سنرى ـ.

فقد تخلف عن بيعته عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وجماعة من الأنصار[٢]، ولكنه تعامل مع كل ذلك بغير انفعال ولم يحاول أن يجبر أحداً على ذلك، لا بعقوبة جنائية أو قطع عطاء أو مطاردة أو حبس، ولا نحو ذلك!

---

(١) الكامل٣ : ١٩٢.

(٢) الكامل٣ : ١٩١ـ١٩٢.

# البرنامج التغييري، وآفاق الإصلاح!

اعتادت الحكومات الحديثة أن تعلن خططها التنموية في أول بيان رسمي تخاطب به شعوبها، وقد أَلِفَت الشعوب أن تتلقى برنامج الحكومة بعد تصديها للعمل مباشرة، سواء أكانت تلك الحكومة تعتمد الأسلوب الديمقراطي في الوصول إلى الحكم، أو تتصدى للمسؤولية من خلال الأساليب الأخرى كالانقلاب العسكري ـ مثلاً ـ .

ويشتمل برنامج الحكومة عادة على الخطط السياسية، والاقتصادية والعلاقات، وشؤون الدفاع ومسائل الثقافة، والتعليم، والمسائل الاجتماعية، وغيرها من شؤون ذات أهمية لحياة الناس.

وعند تولي أمير المؤمنين علي عليه السلام لشؤون الأمة ـ بالشكل الذي ذكرنا ـ شرع بإعلان برنامجه الإصلاحي العام، بيد أننا لا نملك بياناً رسمياً شاملاً لكل خطط الإمام عليه السلام ومشاريعه التي أذاعها للأمة، يشتمل على تفاصيل برامجه كلها، من بين الوثائق التاريخية التي توفر التاريخ على حفظها، بينما نجد جملة من المواقف، والنصوص والحوارات، والنشاطات التي تلت توليه للحكم مباشرة تكشف عن تفاصيل برنامجه الإصلاحي المبارك، كالموقف من الولاة، وجباة الصدقات والعلاقة بالأمة، وطريقة العطاء، وتوزيع الثروة، وما إلى ذلك من أمور، وكان برنامجه لواليه على مصر مالك الأشتر النخعي شاملاً لتفاصيل خطته الإصلاحية لشؤون مصر أو غيرها.

وإذا كنّا لم نوفق التوفيق المناسب للعثور على بيانه الشامل المفصل الذي يحمل توجهات حكومته فور توليه لشؤون الأمة، وضوابط تلك التوجهات، وأبعادها، فإننا ـ والحمد لله ـ نمتلك العديد من البيانات الرسمية المباشرة التي تؤلف بمجموعها مفاصل برنامجه العام، حيث ورد كل بيان في محور أو أكثر من محاور مشروعه التغييري العام.

وليس واضحاً بشكل دقيق لدينا، ما إذا كان الإمام عليه السلام قد التزم طريقة التدرج في الإعلان عن تفاصيل برنامجه الإصلاحي شيئاً، فشيئاً!

ومهما يكن من أمر، فإن ما تبقى من بيانات الإمام عليه السلام الرسمية بين أيدي الناس اليوم تكشف عن برنامج متكامل للمشروع التغييري الذي حمل الإمام عليه السلام مسؤولية تنفيذه في حياة المسلمين ـ مخالفاً فيه سيرة السابقين من الخلفاء ـ، وهذه أهم المحاور المركزية لمشروع أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام:

## ١. إحياء القيم الإسلامية، وتعريف الأمة بها

من أهم المسؤوليات التي ظل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مصرّاً على النهوض بها هو صيانة القيم الإسلامية من التحريف، والتعمية، والعمل كل ما من شأنه على إحيائها وتعريف الأمة والأجيال القادمة بها.

وهذه المهمة من أوليات عمل أوصياء الأنبياء عليهم السلام بعد غياب الرسل عن مسرح الحياة، سواء مكّنتهم الظروف من قيادة حياة الناس بعد الرسل عليهم السلام أم حالت بينهم الظروف، وبين التصدي لذلك الموقع الكريم.

فقد بذل أمير المؤمنين عليه السلام وسعه خلال ربع قرن من الزمان التي قضاها تحت ظل حكومات الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه تاريخياً في إدارة شؤون الناس، من أجل عرض مفاهيم الإسلام الصحيحة، وقيم الرسالة الإلهيّة، كلما سنحت له فرصة في ذلك، ومكنته الظروف من أداء دوره، وتاريخ المسلمين الأول يحمل الكثير، الكثير من مناظرات الإمام عليه السلام، وتوجيهاته، ومعالجاته، وفتاواه، وأقضيته[1]... حفاظاً منه على أصالة الإسلام الحنيف، وقيمه السماوية..

ورغم الجهود التي بذلها أمير المؤمنين عليه السلام خلال تلك السنوات العجاف، فقد وقعت انحرافات خطيرة، وافتئات على الحق من حكام، وقضاة، وولاة وصدرت قوانين، وآراء وأفكار خالفت كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جهاراً كان بعضها في الحقل السياسي، وبعضها في الحقل الاقتصادي، وبعضها في الحقل الاجتماعي[2]، وآخر في شؤون العقيدة بالله ورسله، وحدودها، وقيمها!

وعندما تحمل أعباء الخلافة، والمسؤولية القيادية في الأمة على غير رضىً منه، كما رأينا رأى أمير المؤمنين عليه السلام أن تكليفه الرسالي، يدعوه أن يجاهر بالمفاهيم الإلهيّة الصحيحة، وينفض تراب التعمية عنها والتزييف بعد مرور ربع قرن من الزمان على غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونشوء جيل جديد لا يعلم حقائق الأمور، إضافة إلى دخول أمم جديدة، في إطار الحياة الإسلامية لم تشهد تطورات الدعوة الإلهيّة، وحقائق التنزيل الرباني، ولم تندمج في خطها بعد.

وهكذا اعتبر الإمام عليه السلام - من خلال تصديه للخلافة - أن الفرصة قد أتيحت له بدرجة مناسبة أن يبلور مفاهيم الإسلام، وقيمه أمام الأجيال من معاصريه،

---

(١) أنظر (علي والخلفاء) للشيخ نجم الدين العسكري، و(الإرشاد) للشيخ المفيد.

(٢) أنظر (النص والاجتهاد): السيد عبد الحسين شرف الدين، الكافي: م٨ (الروضة)، الغدير: مجلد ٨ و٩، بحار الأنوار: مجلد ٢٩ و٣٠ و٣١، حيث أطنب في شرح تلك الحالة المأساوية.

ومن يليهم، وليس مهماً لديه أن ينجح كحاكم وإلاّ فانّ الأجيال سوف لن تميز بين علي عليه السلام وغيره من الخلفاء فيما يصدر من أحكام ومفاهيم، وسوف لن تتوفر أية فرصة بعد ذلك للتفريق بين المفاهيم الإسلامية الصحيحة من المفاهيم المزيفة التي نفذها، ونادى بها سواه!

وهذا هو السبب الذي حمل بعض دارسي حياته على الظن انّه لم يوفق أن يكون حاكماً ناجحاً، بينما نجح فيما سوى ذلك من أمور!

وقد وقع أولئك في هذا الخطأ عندما لم يحيطوا علماً بأن أمير المؤمنين عليه السلام كان هدفه الأساس أن تكون هذه الفرصة القصيرة التي أتيحت له، في الحكم - وهي خمس سنوات - كافية لبلورة أهم المفاهيم الإسلامية المعطلة، أو المغيبة أمام الأمة، وان قضية الحكم، والحرص على البقاء على رأس السلطة، يستدعي المزيد من المداراة، وتأخير بعض الخطوات على حساب خطوات أخرى، خصوصاً، وقد ألّبت عليه قريش، وظهرت الأحزاب السياسية المناوئة وأعلن ولاة الخليفة القتيل حرباً عشواء على الإمام عليه السلام من أجل مناصبهم، ومكاسبهم المادية الكبرى، وتمردت الأمصار الرئيسة في الدولة، مثل الشام والكوفة والبصرة وغيرها، ولذا كان الإمام عليه السلام أمام خيارين: أما أن يداري خطوات بناء الحكم، والبقاء على رأس السلطة، وهي مغامرة غير مضمونة النتائج أيضاً وأما أن لا يهتم كثيراً بمسألة الحكم أساساً، وينصب همه على بلورة قوانين الإسلام، وعرض أصالة قيم الدين الإلهي، وإن كلفه فقدان الحكم والسلطان، في تلك الظروف العصيبة، وما تعج به من تسابق على المكاسب مع تسارع الأحداث في البلاد!

وهكذا اختار الإمام عليه السلام المهمة الثانية، وقدمها على كل شيء، ونجح في ذلك أيّ نجاح - رغم قصر الفترة التي عاشها حاكماً -، فلم يدار والياً ظالماً من ولاة

عثمان، فيقره على ولايته، ولم يقر قاضياً مرتشياً على منصبه، ولم يسمح ببقاء أموال مغتصبة في أيدي مغتصبيها، ولم يدار الرأسماليين، في عملهم المتواصل لسرقة أموال الناس، وإفقارهم، ولم يسمح باستمرار سياسة الظلم، والامتهان، والتمييز بين الناس أبداً.

وقد نفذ منهاج الإسلام الحنيف في العدل بين الناس، فلا فرق عند عليعليه السلام بين أبيض وأسود، أو عربي وأعجمي في العطاء، وفرص العمل، بل لا فرق بين المولى، وسيده في ذلك أبداً.

وقد أعاد شروط الوالي، والموظفين إلى نصابها ـ كما حددها الشرع الشريف ـ وأعاد الوفاء بالعهود إلى حيث شرعها الإسلام الحنيف، ولذا لم يلغ التحكيم من جانب واحد رغم ضغوط قطاعات من جنده، وقد نهى عن المكر، والخداع، وجسد احترام الأمة، وحرّم الخنوع للسلطان، والتصاغر أمامه، وحوّل الحاكم إلى أمين تأتمنه الأمة على أموالها، وأعراضها، ودمائها، وليس جباراً عليها، يفعل ما يشاء.. وغير ذلك من أمور، كما سيتضح من خلال الاستعراض الآتي شيئاً، فشيئاً!

وهذه بعض الوثائق بهذا الخصوص، كما حفظها التاريخ والسنة الشريفة:

## الخطوط العريضة لمسيرته في الحكم

**«إنّ الله سبحانه أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشرّ؛ فخذوا نهج الخير تهتدوا، واصدفوا عن سمت الشرّ تقصدوا[1].**

**الفرائض الفرائض! أدّوها إلى الله تؤدّكم إلى الجنّة. إنّ الله حرّم حراماً غير مجهول، وأحلّ حلالاً غير مدخول، وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلّها، وشدّ**

---

(١) ميزان الحكمة٢: ١٤٢٠.

بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها، «فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» إلاّ بالحقّ، ولا يحلُّ أذى المسلم إلاّ بما يجب.

بادروا أمر العامة وخاصّة أحدكم وهو الموت، فإنّ الناس أمامكم، وإنّ الساعة تحدوكم من خلفكم. تخفّفوا تلحقوا، فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم.

اتّقوا الله في عباده وبلاده، فإنّكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم. أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشرّ فاعرضوا عنه»[١].

ما قطعه للناس على نفسه: «.. ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والقيام بحقّه، والنعش لسنّته»[٢].

ومن برامجه لولاته.. فهذه خطته لواليه على مكة المكرمة الصحابي قثم بن العباس بن عبد المطلب عليه السلام كنموذج من برامجه لولاته: «.. أقم للناس الحج، وذكّرهم بأيّام الله، واجلس لهم العصرين، فأفتِ المستفتي، وعلّم الجاهل، وذاكر العالِم، ولا يكن لك إلى الناس سفير إلاّ لسانك، ولا حاجب إلاّ وجهك. ولا تحجبنّ ذا حاجة عن لقائك بها، فإنّها إن ذيدت عن أبوابك في أوّل وِردها لم تحمد فيما بعد على قضائها.

وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة، مصيباً به مواضع الفاقة والخلاّت، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا»[٣].

---

(١) نهج البلاغة٢ : ٧٩، الأنوار العلوية : ٤٧٨.

(٢) نهج البلاغة٢ : ٨٢، بحار الانوار٣٢ : ٨١.

(٣) نهج البلاغة٣ : ١٢٧.

هدفه السامي، وأهداف الناس: يقول الإمام عليه السلام حول هدفه السامي في سياسته، ومنهاجه ما يلي: «.. **ليس أمري، وأمركم واحداً، وانّي أريدكم لله، وأنتم تريدوني لأنفسكم، وأيم الله لأنصحنّ للخصم، ولا نصفنّ المظلوم..**»[1].

وفي سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام المئات من النصوص، والوثائق - غير ما ذكرنا - التي تكرس حالة الالتزام بالحق، والتمسك بحبل الله عز وجل، والعدل بين عباد الله عز وجل[2].

وهكذا كان همّه عليه السلام، وأول أهدافه أن يبلور قوانين الإسلام وقيمه، ومبادئه، المغيبة عن الناس، ويقدمها للأجيال غضة، موّارة بالحياة، والخصب، والعطاء، كما أراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

## ٢. الحاكم أمين الأمة، ووكيلها

من الخصائص المركزية للقيادة العامة للمسلمين، أنها تمثل (عقداً شرعياً) بين الأمة أو ممثليها من جهة، ومن يتصدى للقيادة فيها.

وهذا العقد يشتمل على الإيجاب والقبول معاً: إيجاب من الأمة أو ممثليها، والقبول ممن يتصدى للقيادة العامة فيها!

ويضم هذا العقد شروطاً قانونية لابد من التزامها، بعضها منوط بالحاكم، وبعضها منوط بالأمة ذاتها:

وأهم واجبات الحاكم المسلم: الالتزام بالنظام الإسلامي، وإجراء قوانينه، وإقامة العدل بين الناس، وصيانة حقوقهم، ورعاية مصالح الأمة العامة، والدفاع عنها.

---

(١) الإرشاد ١: ٢٤٣، الشيخ المفيد، نهج السعادة ١: ١٩٧، بحار الأنوار ٣٢: ٣٣.

(٢) راجع (شرح نهج البلاغة): ابن أبي الحديد المعتزلي مثلاً، لملاحظة الكثير من النصوص، والمواقف حول هذا الموضوع.

وأهم واجبات الأمة تجاه الحاكم المسلم: إطاعة الحاكم العادل فيما يأمر به وينهى في إطار القانون، وفي حدود المصلحة العامة، ولا طاعة له فيما سوى ذلك إذ «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**». «**والمؤمنون عند شروطهم**» في العقود، والمواثيق!

لقد حرص أمير المؤمنين علي عليه السلام أن تكون الممارسة عنده سابقة للفكر، والعمل سابق للقول... يقول الإمام عليه السلام حول الشروط القانونية الأساسية المتبادلة بين الحاكم، والمحكومين في المشروع السياسي الإسلامي: «**أيها الناس، إنّ لي عليكم حقاً، ولكم عليَّ حقّ: فأمّا حقّكم عليَّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطّاعة حين آمركم**»[1].

ويصدر الإمام عليه السلام مرسوماً حكومياً حول مهمة الولاة، وحدود عملهم في إطار القانون الإسلامي، يقول فيه: «**فانصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم، فإنكم خزان الرعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة، ولا تحشموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته..**»[2].

«**إنّ عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة..**»[3].

ومادام الحاكم المسلم وكيلاً عن الأمة، أميناً على شؤونها في المنظور الإسلامي، فإنّه في منطق أمير المؤمنين عليه السلام لابدّ أن يتحلى بالخصائص النفسية والسلوكية التالية؛ ليؤدي تلك الأمانة بجدارة، وكفاءة عالية. يقول الإمام عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة١: ٨٤، شرح أصول الكافي٥: ٣٠٢، الغارات٢: ٦٩٢، مكاتيب الرسول٢: ٦٢٤.

(٢) نهج البلاغة٣: ٨٠، تحشموا: تغضبوا.

(٣) نهج السعادة٤: ٨٦، شرح نهج البلاغة١٤: ٣٣، الإمامة والسياسة١: ١١١.

**«انّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج، والدماء، والمغانم، والأحكام، وإمامة المسلمين:**

- **البخيل، فتكون في أموالهم نهمته.**
- **ولا الجاهل، فيضلهم بجهله.**
- **ولا الجافي، فيقطعهم بجفائه.**
- **ولا الحائف للدول، فيتخذ قوماً دون قوم.**
- **ولا المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع.**
- **ولا المعطل للسنة، فيهلك الأمة»**[1].

ويتحدث الإمام عليه السلام في مناسبة أخرى حول أفضل الحكام، وأفضل خصائصهم، فيقول: **«فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هُدي وهدى، فأقام سنّة معلومة، وأمات بدعة مجهولة. وإنّ السنن لنيّرة، لها أعلام، وإنّ البدع لظاهرة، لها أعلام. وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضَلّ وضُلّ به، فأمات سنّة مأخوذة، وأحيى بدعة متروكة. وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصيرٌ ولا عاذرٌ، فيلقى في نار جهنّم، فيدور فيها كما تدور الرّحى، ثمّ يرتبط في قعرها»**[2].

ومادام الحاكم المسلم أميناً للأمة، ووكيلاً عنها، ومسؤولاً أمامها بعد الله عزّ وجلّ، فلا ينبغي أن يغريه منصب، أو موقع أو جاه، كما لا ينبغي أن يخضع لنفوذ ذوي الجاه والمال، والإمكانات في المجتمع، مما يضر بمسؤولية الحاكم،

---

(١) نهج البلاغة١: ٢: ١٤، كتاب الأربعين: ١٩٤، النهمة: الشهوة الشديدة، والحرص المفرط. الحائف: الجائر، الظالم. الدول: المال، والحائف للدول: الذي يظلم في توزيع الأموال، فيفضل جماعة على أخرى. المقاطع: الحدود التي حددها الله تعالى.

(٢) الغدير٢: ٩٠، شرح نهج البلاغة٩: ٢٦١.

ووظيفة وكالته عن الأمة؛ ولنقرأ هذا المرسوم العلوي الخالد الذي يسجله أمير المؤمنين عليه السلام في ضمير الوجود، مخاطباً به أحد ولاته: «**فاخفض لهم جناحك، وألِن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآسِ بينهم في اللحظة والنّظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإنّ الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يعذّب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم**»[١].

ويشدد النكير على موظفي دولته الكبار من أن يحابوا الأثرياء وذوي الجاه في المجتمع، لأن ذلك يهز ميزان العدالة، ويضعف من قيم الحق، وينزل الحيف بالضعفاء: «**أما بعد يا ابن حنيف، فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تُستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفوّ، وغنيّهم مدعوّ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوه فنل منه**»[٢].

ويعمم روح الأمانة التي ينبغي أن يتلبس بها أصحاب المسؤولية في الدولة على جميع مفاصل الدولة، ومسؤوليها في الجيش، والتوزيع للأموال وجباية الأموال والحكم بين الناس، فيخاطب مرسومه التالي جباة الضرائب في البلاد عامة: «**فانصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم، فإنّكم خزّان الرعيّة، ووكلاء الأمّة، وسفراء الأئمة، ولا تحشموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعنّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابّة يعتملون**

---

(١) نهج البلاغة٣: ٢٧، الأنوار العلوية: ٤٥٣.

(٢) نهج البلاغة٣: ٧٠ كتاب الإمام إلى واليه محمد بن أبي بكر. وسائل الشيعة الاسلامية١٨: ١١٦، نهج السعادة٤: ٣٣، حياة الإمام الحسين عليه السلام١: ٤١٩.

**عليها، ولا عبداً، ولا تضربنّ أحداً سوطاً لمكان درهم، ولا تمسُّنّ مال أحد من الناس، مصلٍّ ولا معاهد»**[١].

**«ولا تروعنّ مسلماً ولا تجتازنّ عليه كارهاً، ولا تأخذنّ منه أكثر من حقّ الله في ماله، فإذا قدمت على الحيّ فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثمّ امض إليهم بالسّكينة والوقار؛ حتى تقوم بينهم فتسلّم عليهم، ولا تخدج بالتحيّة لهم، ثمّ تقول: عباد الله، أرسلني إليكم وليّ الله وخليفته، لآخذ منكم حقّ الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حقٍّ فتؤدّوه إلى وليّه. فإن قال قائل: لا، فلا تراجعه، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضّة، فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلاّ بإذنه، فإنّ أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلّط عليه ولا عنيف به، ولا تنفِّرَنَّ بهيمة ولا تفزعنّها، ولا تسوءنَّ صاحبها فيها، واصدع المال صدعين ثمّ خيّره، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره، ثمّ اصدع الباقي صدعين، ثمّ خيّره، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره، فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله؛ فاقبض حقّ الله منه، فإن استقالك فأقله، ثمّ اخلطهما ثمّ اصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله في ماله»**[٢].

## ٣. العدالة في التوزيع وضوابط تنفيذها

كانت سياسة رسول الله ﷺ في التوزيع، والعطاء تعتمد سياسة المساواة التامة، فلا فرق عند رسول الله ﷺ بين أبيض، وأسود، وعربي وأعجمي، وسيد

---

(١) نهج البلاغة٣: ٨٠.

(٢) نهج البلاغة٣: ٢٣، وسائل الشيعة٩: ١٣٣، تخدج بالتحية: تبخل عليهم بها. استقالك: إذا طلب إعفاءه من هذه القسمة.

ومولى، حتى إذا التحق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى، وتسلم أبو بكر، موقع المسؤول الأول في التجربة الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بدأت الاختراقات لبرنامج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التوزيع، تتسلل شيئاً، فشيئاً.

صحيح أن سيرة أبي بكر المكتوبة تحاول أن تعطي انطباعاً انّه تمسك بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مضمار التسوية في العطاء بين المتمتعين بحق المواطنة في الدولة المسلمة، إلاّ أننا نقرأ على صفحات تاريخه الكثير من التجاوزات لهذه السياسة، لكن تلك الاختراقات، والتجاوزات في عهد الخليفة الأول[1]، لم تتجاوز برنامج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العدالة بشكل مطلق كما جرى في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفّان مثلاً، وإن تعرض إلى إضرار بالغة مع الأسف!

وقد انتهج الخليفة عمر بن الخطّاب برنامجاً يعتمد على تقسيم طبقي غير مألوف لدى المسلمين كما ذكرنا فيما سبق، حتى أن الخليفة شعر بخطر تلك السياسة قبل اغتياله بعام واحد، ووعد بتغيير برامجه في التوزيع، بيد انّه لم يفعل، رغم تنبهه لمخاطر أسلوبه الطبقي في العطاء ـ كما ذكرنا ي الصفحات السابقة ـ.

وقد اختزل الخليفة الثالث عثمان بن عفّان البرنامج الطبقي لسلفه عمر، في تقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات متباينة في الحقوق، والواجبات:

أ ـ طبقة بني أمية، وهي تشبه طبقة النبلاء في مجتمع أوروبا في القرون الوسطى، حيث مكنها من كل الإمكانات التي أتيحت للدولة الإسلامية الحديثة ـ وقد مررنا على نماذج من ذلك ـ.

بـ ـ الطبقة القرشية، وتشمل وجوه قريش دون الناس وتحظى بالدرجة الثانية من الحظوة، والإمكانات بعد بني أمية.

---

(١) النص والاجتهاد: السيد شرف الدين، لملاحظة التفاصيل.

جـ ـ ثم الطبقة المستضعفة وهي عموم الناس في الدولة ممن لاقت من الحرمان والعنت ما لاقت، وقد كانت جيوش الدولة، ومليشيات الجهاد، والفتح الإسلامي، أكثر قطاعات الأمة عنتاً، ومحرومية رغم التضحيات الكبيرة التي كانوا يقدمونها للإسلام، ومسيرة الإسلام التاريخية.

وحين تسلّم أمير المؤمنين عليه السلام شؤون الخلافة، كان من مهامه المركزية أن يستأنف العمل بسياسة رسول الله صلى الله عليه وآله في توزيع الثروة، حيث التسوية في العطاء، وسياسة الناس بالعدالة الإلهية التي لا تفضل أحداً على أحد، مهما كانت تقواه أو طبقته أو لونه، أو لغته، أو عشيرته.

ولتكريس هذه السياسة العلوية في الفكر، والممارسة، أصدر أمير المؤمنين عليه السلام مرسومه التالي لتوضيح معالم سياسة التوزيع المالي والبرامج الاقتصادية في حكومته: «**.. أيما رجل من المهاجرين، والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل النيّر غداً عند الله وثوابه وأجره على الله.**

**وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدّق ملّتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً، وما عند الله خير للأبرار..**»[1].

«**ألا انّه من استقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، وشهد أن لا إله إلاّ الله، وانّ محمداً عبده، ورسوله، أجرينا عليه أحكام القرآن، وأقسام الإسلام**»[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة٧: ٣٧، بحار الانوار٣٢: ١٧، الإمام علي عليه السلام: ٦٦٥، ميزان الحكمة٤: ٢٩٩٦.

(٢) نهج السعادة: ٥١٤، تحف العقول: ١٨٤.

**«فأمّا هذا الفيء، فليس لأحد فيه على أحد أثرة، قد فرغ اللهم عزوجل قسمه، فهو مال الله، وأنتم عباد الله..»**[١].

لقد كان علي عليه السلام مدركاً أن برنامجه في التوزيع العادل بين الناس سيواجه حرباً عشواء تشنها عليه الأرستقراطية القرشية، وأصحاب المصالح، والنفعيون، والوصوليون وجهل الناس، لاسيّما وإن الناس قد اعتادوا على الطبقية الجاهلية التي واجهها النبي صلى الله عليه وآله في برنامجه التغييري، بيد أنها عادت إلى الظهور بأشد صورها في العهود التالية لرسول الله صلى الله عليه وآله، كما رأينا في عهد عثمان... ولكن مادام هدف علي عليه السلام أن يفتح قلوب الناس، على جوهر الإسلام وصياغته الربانية ولو بعد حين، فليس المهم لديه كم من الناس سينسجمون مع خططه، وبرنامجه العادل آنياً مادام همّه إحياء القيم الإلهيّة، وعرضها أمام الأجيال، وإن حيل بينها، وبين التطبيق، وإن خسر الحكم، والسلطان اللذين لم يكونا من اهتماماته، ولا من أولوياته في الحياة أبداً!

وهكذا أصرّ على تطبيق المساواة بين الناس، وعرضها واقعاً أمام الناس وقاوم كل فكرة أو مشروع أو عمل للحيلولة دون تنفيذ مهمته الرسالية، فقد عاتبه قوم على إصراره على المساواة في توزيع العطاء، فقال: **«لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف، وإنما المال مال الله..»**[٢].

ودخلت عليه امرأتان واحدة من العرب، والأخرى من الموالي، فسألتاه مالاً فدفع إليهما دراهم، وطعاماً على السواء، فقالت العربية منهما: هذه من العجم، طالبة منه تفضيلها على الأعجمية في العطاء، فقال: **«إنّي والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق»**[٣].

---

(١) تحف العقول: ١٨٥، ميزان الحكمة٤: ٢٩٩٦.

(٢) نهج البلاغة٢: ٧، تحف العقول: ١٨٥، حياة الإمام الحسين عليه السلام ١: ٤٠٨.

(٣) شرح النهج ٢: ٢٠١، وسائل الشيعة١٥: ١٠٧، الإمام علي عليه السلام: ٦٦٨.

ودخل عليه أخوه عقيل يطلب منه مالاً، فوعظه بحديدة أحماها له، وأدناها من يده، مذكراً إياه بعذاب الآخرة، إن هو خالف حكم الله عزّ وجلّ[١] فضج عقيل مذعوراً من حرارة النار إذ كاد يحترق من ميسمها ـ كما قال علي عليه السلام[٢].

ودخل عليه ابن أخيه عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، طالباً منه مالاً: يا أمير المؤمنين لو أمرت لي بمعونة، أو نفقة، فأجابه الإمام عليه السلام: «**لا والله لا أجد لك شيئاً إلاّ أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك..**»[٣].

فلما رأته قريش، وأقطاب الطبقة الأرستقراطية يسلك هذا المسلك يئست أن يطلق أيديها في أموال الأمة كما تشاء، وخاف أصحاب الثراء على ثرائهم ومصالحهم من سياسته العادلة، لما رآه أولئك المتخمون وهو يعمد إلى المال، فيقسمه بالسوية، حتى يقسم رغيف الخبز كسرة كسرة على أهل الكوفة، ويوزع التوابل القليلة الواردة إلى بيت المال، على الناس، ويقسم الرمان على الأيتام.. ولم تثنِ أمير المؤمنين عليه السلام عن خطته مفاوضات ولا تهديد بالخروج! ولا توقع بالتمرد من أصحاب المصالح على برامجه الإصلاحية الكبرى، التي ما شهد التاريخ مثلها!

## ٤. صيانة حق الناس في الحياة

ومن المباديء التي ظل أمير المؤمنين عليه السلام مصرّاً على إشاعتها بين الناس، هو حق الحياة لكل إنسان، ومعناه أن الإنسان يعيش آمناً، مطمئناً على حياته، دون خوف أو وجل أو تهديد أو إرهاب من أحد أو سلطة أو جهة... وفي

---

(١) نهج البلاغة: ٣٤٧، نص٢٢٤.

(٢) رسائل المرتضى٣: ١٣٩، نهج البلاغة٢: ٢١٧، شرح الأخبار٣: ٢٤١.

(٣) شرح النهج٢: ٢٠٠، الغارات١: ٦٧، بحار الانوار٣١: ٥٠.

رسالة الله تعالى التي يتمثلها أمير المؤمنين عليه السلام، ويحرص على قيمها، ومفاهيمها: أن وزر من يقتل نفساً واحدة فكأنما قتل الناس جميعاً[١].

وإن إخافة الناس، وإرهابهم، وإشعارهم بالخطر من أكبر الموبقات سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين، لا فرق في ذلك بين الناس.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في بيان رسمي له: «.. **واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سَبُعاً ضارياً، تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق..**»[٢].

وتبلغ هذه القيمة القانونية المميزة ذروتها في الدلالة على الرحمة، واحترام حق الحياة للإنسان حين يتعامل الإمام علي عليه السلام مع قاتله بنفس الروح، وبنفس المقياس.

فانّه عليه السلام حين أوصى وصيته الأخيرة، لأهله، وذويه وأمته أصرّ على التسلّح، بأعلى درجات العدل حين التعامل مع ذلك القاتل المعتدي، فلا تتحكم العاطفة في أحد، ولا يستبد به الانفعال فيخرج في معاملته عن قانون العدل الإلهي، فلنقرأ هذه الفقرات الكريمة، الموحية، الدالة في هذا المضمار:

«**يا بني عبد المطلب، لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: «قُتل أمير المؤمنين». ألا لا تقتلنّ بي إلاّ قاتلي**[٣].

**انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثّلوا بالرّجُل، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إيّاكم والمُثلة ولو بالكلب العقور»**»[٤].

---

(١) أنظر آية ٣٢ من سورة المائدة.

(٢) من عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر، نهج البلاغة٣: ٨٤، تحف العقول: ١٢٦، مستدرك الوسائل١٣: ١٦١، نهج السعادة٥: ٦٠.

(٣) نهج البلاغة٣: ٧٧، روضة الواعظين: ١٣٧، وسائل الشيعة٢٩: ١٢٨، مجمع الزوائد٩: ١٤٢، المعجم الكبير١: ١٠٠، تاريخ الطبري٤: ١١٤، جواهر المطالب٢: ١٠٣، ينابيع المودة٢: ٣٠.

(٤) نهج البلاغة٣: ٧٨، الكافي٦: ١٥٠، وسائل الشيعة١٩: ١٢٨، روضة الواعظين: ١٣٧، ينابيع المودة٢: ٣٠، المناقب: ٣٨٦، كشف الغمة٢: ٦٠.

ويقول لولديه الحسن والحسين عليهما السلام بهذا الصدد ما يلي: «**احبسوا هذا الأسير - يعني ابن ملجم المرادي - وأطعموه واسقوه، وأحسنوا أساره فان عشتُ فأنا أولى بما صنع فيَّ، إن شئت استقدتُ وإن شئت صالحتُ، وإن متُّ فذلك إليكم، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثلوا به**»[١].

ومن المدهش حقاً إن الإمام عليه السلام كان يتحدث انّه يعرف قاتله، ومطلع على تخطيطه لتنفيذ جريمته الحمقاء، فلما قيل له: مادمت قد عرفته، فلِمَ لا تقتله وتحول بينه، وبين تنفيذ جريمته؟ فأجاب: **ما قتلني بعد!** أو قال: **كيف أقتل قاتلي**[٢]؟

ولرسوخ هذه العقيدة: (حق الحياة) لدى أهل البيت عليهم السلام والمؤمنين من أتباعهم نجد أن الشهيد مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام حين عوتب، لماذا لم تنفذ عملية اغتيال المجرم عبيد الله بن زياد في الكوفة وقد أمكنتك فرصة الخلاص منه، وهو من رؤوس الأجرام لدى الطاغية يزيد بن معاوية، فأجاب: إن الذي منعني من قتله حديث علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن**»[٣].

وهكذا يمثل (حق الحياة)، والحرص على حياة الناس قيمة عليا عند أمير المؤمنين علي عليه السلام وإحدى المبادئ المركزية التي لا يساوم عليها أبداً، مهما كان الثمن ومهما كانت النتائج!

---

(١) المبسوط٧: ٢٦٨، روضة الواعظين: ١٣٧، وسائل الشيعة٢٩: ١٢٧، مناقب آل أبي طالب٣: ٩٥، المسند للإمام الشافعي: ٣١٣، السنن الكبرى٨: ١٨٣، كنز العمال١٣: ١٩٧.

(٢) عيون المعجزات: ٤٣، مدينة المعاجز٣: ٤١، شرح نهج البلاغة٩: ١١٨.

(٣) الكامل٤: ٢٧، ابن الأثير الجزري، وانظر تفاصيل الحادث كذلك جاء مع اختلاف يسير جدا في مقاتل الطالبين: ٦٥، بحار الانوار٤٤: ٣٤٤، الأخبار الطوال: ٢٣٥، تاريخ الطبري٤: ٢٧١.

### ٥. مبدأ التفتيش المالي: «من أين لك هذا؟»

ولم يكتفِ الإمام علي عليه السلام في تنفيذ برامجه الإصلاحية في حياة الناس، منذ بداية خلافته، وإنّما لاحق الظلم، والإسراف، والتجاوز على الحق مما عانى منه الناس قبل خلافته، خصوصاً ما يتعلّق من ذلك بإنصاف الناس، ورد ظلاماتهم، واسترداد حقوقهم التي غصبت دون وجه حق، ودون مبرر شرعي، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

فقد تعقب تلك المظالم، والمفاسد الاقتصادية، والاجتماعية في كل مكان وموقع، وأصدر قوانينه الرسمية القاضية بمتابعة الجور، والأذى والحرمان الذي لحق بالناس، وأعطى بعض قوانينه العادلة آثاراً رجعية لتقصي الحقائق، ومتابعة الجرائم، وإعادة الحقوق إلى أصحابها.

فقد أصدر مرسومه التالي حول المال الذي وهبه الخليفة عثمان لذوي المصالح، والنفعيين دون وجه حق: «**والله لو وجدته قد تُزوِّج به النساء، ومُلِكَ به الإماء، لرددته، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق**»[1].

### ٦. كرامة الإنسان، ورعاية المظلومين

الإنسان في نظر الرسالة الإسلامية، هدف التشريع الإلهي، وغايته، ولولا وجود الإنسان في الأرض، لما أرسل الله سفراءه بالرسالة الإلهيّة، والتشريعات السماوية الكريمة، ولم يحظَ مخلوق في الوجود بالتكريم، والرعاية كما حظي

---

(١) نهج البلاغة١: ٤٦، شرح الاخبار١: ٣٧٣، مناقب آل أبي طالب١: ٣٧٧، الغدير٨: ٢٨٧، تفسير البيان: ٢١٨.

به الإنسان أبداً، وحتى عملية النسخ في التشريعات، وتغيير الأحكام في الشرائع الإلهيّة كانت من أهم عواملها رعاية الإنسان من حيث قدراته على تحمل الأحكام، والفرائض، أو رعاية لتطورات حياته من حيث المكان، والزمان، ونمو الخبرات البشرية، وتراكمها عبر الأيام، فتأتي التشريعات الإلهيّة، منسجمة مع تلك التطورات لكي لا تعوق مسيرة الإنسان باتجاه التكامل، والنمو نحو المجد.

ولقد كان هذا المفهوم الرسالي، قد تعرض للتزييف، والتضليل والتعطيل عبر أكثر من عقدين من الزمان بعد رحيل رسول الله ﷺ، فكم شهد العقدان المذكوران من عمر التجربة الإسلامية من تجاوز لكرامة الإنسان، وامتهان لحقوقه المقررة في شريعة الله تعالى.

فالتمييز بين العرب، وغيرهم صار شعاراً للدولة، حتى منع الموالي (غير العرب) من دخول المدينة المنوّرة، والعيش فيها بقرار من القيادة العليا[1].

ومحاربة أصحاب الرأي الآخر، وقطع أرزاقهم، ونفيهم، وتصفيتهم كما جرى لمن امتنعوا عن دفع الزكاة للخليفة أبي بكر، وكما جرى لسعد بن عبادة، وعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم، إضافة إلى إصدار التشريعات التي تكرس الطبقية، والتمييز بين الناس في العطاء، والقضاء، وإدارة شؤون الأقاليم، وغير ذلك من أمور صارت سياسات ثابتة لسلطان المسلمين!

إن هذه الحقائق التاريخية تكشف بما لا يدعو إلى الشك إن تحولاً كبيراً قد جرى بعد غياب الرسول الخاتم ﷺ، هو ليس لصالح الإنسان ولا كرامته، ولا أهدافه العليا.

---

(١) ابن أبي الحديد ١٢: ١٨٧ (سيرة عمر بن الخطّاب).

وفي ظل هذه الأجواء انقادت الخلافة لعليّ أمير المؤمنين عليه الصّلاة والسّلام وكان من أولويات أهدافه أن يرسي قواعد الكرامة الإنسانية، كما شاء الله عزّ وجلّ، ويبذل وسعه لبلورة مفهوم الرعاية للمستضعفين والمحرومين من بني الإنسان، ويكنس الفوارق الطبقية، والعنصرية بين الناس! كما هو شأنه في بلورة قيم الإسلام الإلهيّة في دنيا البشر.

ومن المناسب أن نذكر بعض النصوص والمواقف الكريمة التي باشرها أمير المؤمنين عليه السلام لإعادة هذا المفهوم المقدس إلى واقع المسلمين، وحياتهم: «**وأيمُ الله لأنصفنَّ المظلوم من ظالمه، ولا قودَنَّ الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق، وإن كان كارهاً**»[١].

❧ «**هيهات أن يغلبني هواي أو يقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى، وأكباد حرّى، أأقنع من نفسي بأن يقال: أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟**»[٢].

❧ خرج أمير المؤمنين عليه السلام يوماً على أصحابه، وهو راكب، فمشوا خلفه فالتفت إليهم، فقال: «**ألكم حاجة؟** قالوا: لا يا أمير المؤمنين! ولكنّا نحب أن نمشي معك، فقال لهم: **انصرفوا، فإن مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب، ومذلة للماشي**»[٣].

---

(١) نهج البلاغة٢ : ١٩، ميزان الحكمة١ : ١٤٧، المعيار والموازنة نقلا عن نهج البلاغة، الخزامة: حلقة من شعر توضع في وترة أنف البعير يشد بها زمامه، ويسهل قياده.

(٢) نهج البلاغة٣ : ٧٢، في كتابه إلى عثمان ابن حنيف، نهج السعادة٤ : ٣٥، ينابيع المودة١ : ٤٤٠، الجشب: الغليظ الخشن.

(٣) المحاسن٢ : ٦٢٩، الكافي٦ : ٥٤٠، منتقى الجمان٣ : ١٠٧.

ومن مبادئه في إقامة الحق، ونصرة المظلومين، وحماية المستضعفين مبدأه الخالد: «**الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، رضينا عن الله قضاءه، وسلمنا لله أمره..**»[١].

## ٧. التعددية، ورعاية الرأي الآخر

لم تتبلور قضية التعددية السياسية والرأي الآخر في التجربة الإسلامية في وضع قانوني محدد إلاّ في تجربة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فلم تظهر تكتلات سياسية في عهد الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم تحمل وجهات نظر سياسية معينة وإنما كانت مرحلة التأسيس لهذه التجربة الحضارية الجديدة تستلهم من المؤسس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتتلقى منه دون سواه.

هذا على المستوى السياسي، أما التعددية الدينية، فقد تعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الأديان الأخرى بقلب واسع مفتوح، حيث كانت (وثيقة المدينة المنورة)[٢] التي كتبها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين المسلمين، والنصارى، واليهود والمشركين بعد الهجرة بفترة وجيزة تشكل أساساً حضارياً رفيعاً للتعامل بين الأديان المختلفة، ربما لم تجد البشرية نظيراً لها حتى اليوم، من ناحية الاعتراف بالحقوق الدينية، والمدنية وفي مجال العمل المشترك بين الناس رغم اختلاف أذواقهم الدينية ومعتقداتهم!

وفي تجربة الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا أمير المؤمنين عليه السلام في قيادة التجربة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لم تجد الأجيال وضعاً مشرفاً للتعامل مع المعارضة

---

(١) نهج البلاغة١: ٨٩.

(٢) أنظر سيرة ابن هشام٢: ١٤٧-١٥٠، البداية والنهاية٣: ٢٢٤-٢٢٦.

السياسية، فلا تقرأ الأجيال المسلمة عبر خمس وعشرين سنة إلاّ فصولاً، وشواهد، وصوراً لحالة طوارئ تشبه الحالات السياسية الطارئة التي يعطل فيها الدستور، وتعلق الحريات، ولا يسمح فيها لأي نشاط معارض حتى إذا كان في إطار الدستور والمصالح العامة وإنما تسود نظرية حكم الحزب الواحد وسنخصص فصلاً لدراسة هذه الحالة المأساوية التي أضرت بالتجربة الإسلامية أيما ضرر، فيما يأتي من حديث!

ولقد كان من المهام المركزية لأمير المؤمنين عليه السلام أسوة بالمهام التي عرضناها، أن يبلور حقوق القوى والجماعات المعارضة في المجتمع المسلم، وواجباتها، وحدود حركتها، ولولا هذه التجربة العلوية الفريدة، لشكل تاريخ المسلمين حلقات متصلة من القمع، والإرهاب، ومصادرة الحريات، والدكتاتورية، يقوم بعضها على بعض، ويورثه، ويكمل ما بدأ به.

ورغم أن المعارضة السياسية التي واجهها أمير المؤمنين عليه السلام كانت من أسوأ النماذج في تاريخ المسلمين، فكراً، وخططاً، وأساليب، وفعالية، إلاّ أن الإمام عليه السلام لم تثنِهِ هذه الحالة السيئة عن بلورة (قانون التجمعات السياسية) المتبنى في التجربة الحضارية الإسلامية للتعامل مع المعارضة السياسية، فلم تحمله الضغوط النفسية، والعدوان السياسي، والعسكري، والحرب النفسية، والإعلامية التي حشدتها تلك القوى المعادية على تجاوز الحق، أو تخطي قواعد العدل في بلورة منهاج الإسلام الحنيف بخصوص المعارضين للحكم.

فقد كانت تلك المعارضة التي شكلت (جبهة مصالح عريضة) ترفض الإمامة الدينية، والسياسية لأمير المؤمنين عليه السلام، رغم البيعة الشعبية العامة له في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما لم يتوفر لأحد من الخلفاء، قبله، ولا بعده، إلاّ أن المعارضة أصرت على حربه، وإسقاط حكمه.

ولكنه مع كل ما جرى تقيد بالضوابط التالية في تعامله مع المعارضة، كما لو كانت معارضة شرعية!

أ ـ الإقناع أساس الطاعة للحاكم: رغم أن معارضي أمير المؤمنين عليه السلام لجّوا في العناد، وبالغوا في العدوان، إلاّ أنّ الإمام عليه السلام كان يبذل قصارى جهده لتثبيت مبدأ سياسي ـ قانوني لمسيرة الإنسانية يقوم على أساس أن الطاعة للحاكم لا يصح أن تقوم على القسر، والإرغام، وإنما لابدّ أن تعتمد طريقة الإقناع، والرضا.

فأصحاب الجمل ـ وهم الناكثون لبيعته بعد توكيدها ـ كان الإمام عليه السلام يحرص على إقناعهم بمختلف أساليب الحكمة، والحوار الهادئ، والحجة القاطعة، فكان يقول: «.. **إخواننا أهل البصرة فان يرجعوا فذاك الذي نريد، وإن لجّوا، داويناهم بالرفق..**»[1].

**ومن أساليب حواره مع الخوارج نذكر هذا النموذج:**

«لما أراد عليّ أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج: زُرْعة بن البُرْج الطائي وحُرْقوص بن زُهير السعدي فقالا له: لا حُكم إلاّ لله! فقال عليّ: **لا حُكم إلاّ لله**. وقال حُرْقوص بن زهير: تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتى نلقى ربّنا. فقال عليّ: **قد أردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهوداً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾**[2]. فقال حُرْقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه. فقال عليّ: **ما هو**

---

(١) ابن الأثير٣: ٢٣٢، مصدر سابق.

(٢) النحل: ٩١.

**ذنب ولكنّه عجز عن الرأي وقد نهيتكم**. فقال زُرعة: يا عليّ لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنّك، اطلب وجه الله تعالى. فقال عليّ: **بؤساً لك ما أشقاك! كأنّي بك قتيلاً تسفي عليك الرياح**»[١].

وهكذا كان منهج الإمام عليه السلام مع كل من أظهر له الخلاف، وعارضه ـ كما سنرى من تفاصيل إن شاء الله تعالى ـ.

بـ ـ التمييز بين معارضيه: وكان الإمام عليه السلام يميز بين نوعين من المعارضة، ويرشد أصحابه إلى التقويم الصحيح، لكي لا يختلط الحق بالباطل، ولقد وضع قاعدة مطردة للتمييز بين المعارضين في هذه الكلمات الخالدة: «**لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق، فأخطأه، كمن طلب الباطل، فأدركه**»[٢]. فالمعارضة عند الإمام عليه السلام رغم أن قواها المختلفة قد سببت له الأذى وعوقت مشاريعه الإصلاحية الكبرى، وشنّت عليه الحروب، إلاّ أن ذلك لم يمنعه من التمييز بين تلك القوى من ناحية التورط المتعمد في الباطل، أو الارتكاب للباطل عن شبهة، وسوء فهم وبلادة في إدراك الحقيقة.. إذ لكل حالة حكم خاص، وموقف محدد في الشريعة الإسلامية المقدسة، وإيضاح تلك الحقيقة من مبادئ الإمام عليه السلام الإصلاحية كذلك!

جـ ـ إن المعارضة جزء من كيان الأمة لهم ما لها، وعليهم ما عليها، حتى يقع السيف، وتسيل الدماء، فحقوق المعارضة السياسية، والدينية والفكرية، والحقوق الاقتصادية، وسواها مصونة عند أمير المؤمنين عليه السلام، ما لم يبادر المعارضون إلى إشعال نار الحرب ضد السلطان الشرعي للمسلمين ـ وهذا ما سنبحثه في فصل قادم ـ[٣].

---

(١) تاريخ الطبري٤ : ٥٣.

(٢) نهج البلاغة١ : ١٠٨، جواهر الكلام٢١ : ٣٣٣، وسائل الشيعة١٥ : ٨٣، وكلها نقلا عن نهج البلاغة.

(٣) فصل لائحة حقوق المعارضة عند أمير المؤمنين عليه السلام.

## وخلاصة القول

ومن خلال استعراضنا لمبادىء أمير المؤمنين عليه السلام التي حملها معه إلى الحكم، وأصرّ على تنفيذها دون مساومة أو تراجع تتضح الحقائق التالية:

١ـ إن الإمام عليه السلام كان مصرّاً على إيجاد تجربة قانونية، يحتكم فيها المسلمون إلى قوانين الإسلام، الواضحة والجلية، دون إخضاع التجربة للأمزجة الشخصية، والعواطف، وتأثيرات المصالح الحزبية أو الشخصية أو العائلية.

فحول هدفه الأعلى في إقامة دولة القانون الإسلامي يتحدث، فيقول:

**«لكم علينا العمل بكتاب الله تعالى، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والقيام بحقه، والنّعشُ لسنته»**[1].

٢ـ إن الهم الأساس لدى علي عليه السلام هو بلورة قيم الإسلام، كما أنزلها الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وليس من همّه السلطان، ولا الحكم، ولذا فإنّه لم يبدِ أية مداراة سياسية مما تتطلبه عملية الحفاظ على السلطة، فلم يرضَ بعرض الزبير، وطلحة على تسليمهما ولاية البصرة، وولاية الكوفة، ولم يستجب لعرض المغيرة بن شعبة في إقرار ولاة عثمان على ولاياتهم، كمعاوية على الشام ـ مثلاً ـ وهم، هم في انحرافهم، وشدة بعدهم عن الهدى!

٣ـ لو عمل علي عليه السلام بالمداهنة، والمداراة للوصوليين، وأصحاب المصالح، كما عمل غيره لاختفى على الناس فهم قيم الإسلام الحنيف، إذ لم تفرق الأجيال ـ حينذاك ـ بين علي عليه السلام، وسواه من الحكام، ولأصبح الإمام عليه الصّلاة والسّلام كغيره من الخلفاء، ورأيه كرأي سواه، ولاختفى جوهر الإسلام وحقائقه تحت ركام المصالح، والأهداف السلطوية!

---

(١) نهج البلاغة٢: ٨٢، بحار الأنوار٣٢: ٨١.

٤ـ لقد كانت تجربة أمير المؤمنين عليه السلام ـ رغم قصرها ـ جديرة ببلورة مفاهيم الإسلام، وقوانين الشريعة فيما يتعلق بصفات الحاكم الإسلامي، وعلاقته بالأمة، وسياسة الإسلام المالية، وسلطة القضاء، وحقوق الإنسان، وعلاقة الناس ببعضهم، وحدود الحريات الشخصية، والسياسية وقوانين الحروب بين المسلمين وما إلى ذلك من شؤون..

وهكذا نجح علي أمير المؤمنين عليه السلام في مهمته الحضارية، وإن بدا دون ذلك في حساب ذوي النظر القصير!

## رد الفعل اليميني والتداعيات السياسية

وإزاء هذا الموقف الحازم الصريح الذي اتخذه أمير المؤمنين عليه السلام من أجل تطبيق خططه الإصلاحية الكبرى توالت التداعيات السياسية، وتتابعت مواقف أصحاب المصالح، والنفعيين الذين خدمتهم سياسات عهود ما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مدى ربع قرن من الزمان.

وقد تحركت ردود الفعل المضاد على النحو التالي:

### ١. الاعتراض السلمي الصريح على سياسة الإمام عليه السلام

لقد اعترض أصحاب المصالح والنفعيون على سياسة أمير المؤمنين عليه السلام، وكبر عليهم أن يروا عليّا عليه السلام يحمل معول الهدم للمظالم، والاستئثار، والمصالح الرأسمالية الجائرة، بينما كانوا قد اعتادوا على الاستئثار، والتمييز لهم والتفضيل على سائر طبقات الأمة من المستضعفين.

فقد جاء بعض المتضررين من سياسة العدل العلوي، وأعلنوا اعتراضهم ـ سلمياً ـ على سياسته المالية العادلة، كما جاءه بعض أصحابه يشرحون له مخاطر سياسته تلك، فقالوا: «يا أمير المؤمنين! أعطِ فضل هذه الأموال، وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب!! وقريش على الموالي، والعجم، واستمل من تخاف خلافه من الناس، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: **أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟ لا والله، لا أفعل ما طلعت شمس، وما لاح في السماء نجم، والله لو كان المال لي لواسيت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم..**»[1]، فهي أموال الناس، وعلي عليه السلام أمين في إيصالها لهم، بأمانة وحرص!!

وجاءه كبار الملاّك، والرأسماليين من قريش، يشرحون له خطر سياسته العادلة على مصالحهم ويطالبونه بتغييرها لصالحهم: «فبينما الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة، فجلسا ناحية عن عليّ عليه السّلام، ثمّ طلع مروان وسعيد وعبد الله بن الزبير؛ فجلسوا إليهما، ثمّ جاء قوم من قريش فانضمّوا إليهم، فتحدّثوا نجيّاً ساعة؛ ثمّ قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فجاء إلى عليّ عليه السلام؛ فقال: يا أبا الحسن؛ إنك قد وتَرْتَنا جميعاً؛ أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً، وخذلت أخي يوم الدار بالأمس؛ وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب ـ وكان ثور قريش ـ وأما مروان فسخّفت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه؛ ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال في أيام عثمان، وأن تقتل قتلتَه؛ وإنّا إن خفناك تركناك؛ فالتحقنا بالشام».

---

(١) شرح نهج البلاغة٢: ٢٠٣، ابن أبي الحديد، جواهر الكلام٢١: ٢١٧، وسائل السيعة١٥: ١٠٧، الغارات١: ٧٥، الأمالي للشيخ المفيد: ١٧٥، الإمامة والسياسة١: ١٣٢.

فلمّا استمع الإمام عليه السلام إلى حديثهم بروية، التفت إليهم قائلاً: «**أمّا ما ذكرتم من وِتري إياكم فالحقّ وترَكم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزِمَني قتلُهم اليوم لقتلتُهم أمس؛ ولكن لكم عليَّ إن خفتموني أن أؤمِّنَكم وإن خفتُكم أن أسيِّركم**»[1].

وتصاعد الموقف رويداً، رويداً بسبب الموقف الرافض لسياسة العدل العلوي من قبل النفعيين، من الملاّك، والرأسماليين والإقطاعيين القرشيين، فجاء نفر من أصحاب علي عليه السلام، وعقدوا اجتماعاً خاصاً معه ليعكسوا له ما وصلت إليه تحركات الطبقة الرأسمالية الظالمة، فقام أبو الهيثم وعمّار وأبو أيوب وسهل بن حنيف وجماعة معهم، فدخلوا على عليّ عليه السلام فقالوا: «يا أمير المؤمنين، أنظر في أمرِك، وعاتِب قومك، هذا الحيّ من قريش فإنهم قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدَك، وقد دعونا في السرّ إلى رفضك، هداك الله لرشدك! وذاك لأنّهم كرِهوا الأسوة، وفقدوا الأثرة، ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا واستشاروا عدوك وعظّموه، وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقّة للجماعة، وتألّفاً لأهل الضلالة. فرأيك!

فخرج عليّ عليه السلام، فدخل المسجد، وصعد المنبر مرتدياً بطاق، مؤزّراً ببُرد قطريّ، متقلّداً سيفاً، متوكئاً على قوس، فقال:

«**أما بعد، فإنّا نحمد الله ربّنا وإلهنا ووليّنا، ووليّ النعم علينا الذي أصبحت نعمه علينا ظاهرة وباطنة، امتناناً منه بغير حول منّا ولا قوّة، ليبلونا أنشكر أم نكفر؛ فمن شكر زاده ومن كفر عذّبه؛ فأفضل الناس عند الله منزلة، وأقربهم من الله وسيلة، أطوعهم لأمره، وأعملهم بطاعته؛ وأتبعهم لسنّة رسوله، وأحياهم لكتابه؛ ليس لأحد عندنا فضل إلاّ بطاعة الله وطاعة الرسول. هذا**

---

(١) الجمل: ٦٧. شرح نهج البلاغة٧: ٣٨، تاريخ اليعقوبي٢: ١٧٨.

**كتاب الله بين أظهرنا، وعهد رسول الله وسيرته فينا، لا يجهل ذلك إلاّ جاهل عاند عن الحقّ منكر، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١]».**

ثم صاح بأعلى صوته: **أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول، فإن تولّيتم فإنّ الله لا يحبّ الكافرين.**

ثم قال: **يا معشر المهاجرين والأنصار، أتمنّون على الله ورسوله بإسلامكم، بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين**[٢].

ثمّ قال: أنا أبو الحسن ـ وكان يقولها إذا غضب ـ ثمّ قال: **ألا إنّ هذه الدنيا التي أصبحتم تمنّونها وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم، ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له؛ فلا تغرّنّكم فقد حذرتكموها، واستتموا نعم الله عليكم بالصبر لأنفسكم على طاعة الله، والذّلّ لحكمه جل ثناؤه، فأمّا هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه أثره، وقد فرغ الله من قسمته، فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا، وعهد نبينا بين أظهرنا، فمن لم يرض به فليتولّ كيف شاء، فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه»**[٣].

## ٢. الاعتراض المسلح والرد المضاد

وبعد شعور حزب المحافظين على الأوضاع الرأسمالية باستحالة تغيير أمير المؤمنين عليه السلام لخططه في إقامة العدالة ونشر المساواة بين الناس، مهما اشتدّ

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) الجمل: ٦٨، المعيار والموازنة: ١٠٩.

(٣) الجمل: ٦٨، شرح نهج البلاغة٧: ٤٠.

الضغط الاجتماعي عليه، وتصاعدت أصوات المعارضين من أصحاب المصالح، فقضية العدالة عند علي عليه السلام قضية مركزية، مصيرية، ومبدئية لا تنفصل عن إيمانه بأسس الرسالة الإلهيّة الكبرى عامة وضرورة المحافظة عليها.

وهكذا انتقلت المعارضة إلى أسلوب العصيان العسكري، هنا وهناك. لقد فرّ ولاة عثمان إلى إمارة الشام الأموية، بعد أن سرقوا أموال بيوت المسلمين، والتحق غيرهم بمعاوية فراراً من الحق، والعدل، وخرج الصحابيان الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله إلى مكة، وساقوا أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر لتكون غطاء (شرعياً) لتمردهم الباغي! لكونها زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والحاملة لبعض آثاره! وذات القدرة الخطابية الكبيرة، والرصيد الاجتماعي الواسع!

وهكذا توالت عمليات العصيان في وجه أمير المؤمنين عليه السلام لصده عن الحركة التغييرية الكبرى التي قادها في رحلة العودة بالمسلمين إلى صفاء الرسالة، وينابيع الحق، والعدل الإلهي، كما صدع بها الرسول الخاتم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.. وسوف تتضح ملابسات تلك الحركات الرجعية الرأسمالية في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى.

## القسم الثاني

- حركة المعارضة في الصدر الأول
- المعارضة في عهد الخليفة أبي بكر
- المعارضة السياسية أيام الخليفة عمر
- المعارضة في عهد الخليفة عثمان
- المعارضة السياسية في عهد أمير المؤمنين

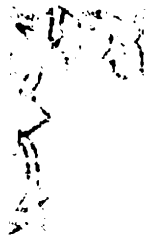

# حركة المعارضة في الصدر الأوّل

## عوامل نشوئها ـ أهدافها ـ الموقف الرسمي منها

تمهيد: أشرنا ـ قبل قليل ـ إشارة سريعة إلى أن تجربة رسول الله ﷺ في الحكم وقيادة الدولة ـ وقد استغرقت عشر سنين ـ لم تشهد معارضة سياسية بالمعنى المعروف، في العرف السياسي، والتجارب السياسية، وإنما شهدت (معارضة) دينية، ترتبت على بعضها مواقف سياسية فيما بعد، كمواقف اليهود في المدينة المنوّرة، وخارجها، بعد نقضهم للعهود، والاتفاقات التي أبرمها رسول الله ﷺ معهم[1]، وما نجم عن ذلك من صراع سياسي، وعسكري بعد ذلك، أما النصارى حول المدينة، فقد اكتفوا بالمعارضة السلمية والجدل الديني مع الدين الإلهي الجديد. وأقام بعضهم علاقات سياسية مع الرسول ﷺ ودخلوا في ذمة الدولة، كنصارى نجران مثلاً.

وقد اعتبر البعض أن موقف عبد الله بن أُبي بن سلول من الرسول ﷺ، ورسالته كان موقفاً ذا دوافع سياسية، لأن هجرة رسول الله ﷺ قد تزامنت مع إعلانه من قبل الخزرج والأوس ملكاً على يثرب[2]! فلمّا وصل النبي

---

(١) دولة الرسول في المدينة: ٨٦ وما بعدها، د. أحمد إبراهيم الشريف، ط ١٩٧٢، الكويت.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب، تفسير سورة (المنافقون).

الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنوّرة، فشل ذلك المشروع السياسي وتعرض (الملك المرشح) إلى خسران عرشه.

وبسبب هذه الخسارة الشخصية تحول ذلك الرجل الحاسد إلى رأس للنفاق في المدينة يجد على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والرسالة، حتى يوم وفاته!

بيد أن النفاق كان ذا دوافع دينية أو مصلحية في الغالب - وإن كان بعضها سياسية - لذا فليس من الصحيح اعتبار حركة النفاق التي ظهرت في المدينة المنوّرة ذات أبعاد سياسية كلها وإن كانت دوافع بعض عناصرها سياسية[1].

وهكذا بقيت حركة النفاق في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ذات صبغة دينية، تظهر الولاء للإسلام، وتبطن الكفر، والحقد، ولكنها تعبر عن مواقف سياسية أحياناً في بعض الظروف الحرجة، كاتفاقهم مع اليهود في معركة أُحد، وانفصالهم عن الجبهة الإسلامية، عائدين إلى المدينة المنوّرة، وكانوا ثلث جيش المسلمين!

ويبدو أن تلك الحركة قد انسجمت مع السلطة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتعايشت مع الخلافة حيث اختفت أنباء تآمرها على الإسلام، والمجتمع المسلم كما هو واضح في التاريخ الإسلامي.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن١٩ : تفسير سورة (المنافقون).

# المعارضة في عهد الخليفة أبي بكر

تحولت قضية الخلافة بعد رسول الله ﷺ إلى قضية سياسية، ومحور للخلاف بين المسلمين، بعد أن أرادها الرسول الخاتم ﷺ - بأمر الله تعالى - خلافة دينية، وسلطة نبوية، على منهاج رسل الله السابقين عليهم السلام.

وكانت النصوص المقدسة التي تبلور المشروع النبوي بخصوص (الوصية) و(الولاية) و(الإمامة) و(الخلافة)، وأمثالها من مصطلحات، تشكل مفردات الهيكل العام، لاستمرار المضمون الإلهي للحكومة الإسلامية بعد رحيل رسول الله ﷺ.

وكل هذه المصطلحات الدينية - السياسية كان محورها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[1] عليه الصّلاة والسّلام.

بيد أن الخط العام للذهنية القرشية التي تحملها عقول (الملأ) من قريش كان ينظر إلى وصايا النبي الخاتم ﷺ وتوجيهاته من خلال معيارين:

١- فما كان من توجيهات رسول الله ﷺ، وقراراته متعلقاً بشؤون العبادة، والآخرة والموت يحظى من قبل تلك الذهنية بالقبول، والانسجام في الغالب.

٢- وما كان من توجيهات الرسول ﷺ، وأوامره متعلقاً بشؤون حياة

---

(١) الوصية: أنظر أحاديث الوصية مناقب ابن المغازلي: ٢١٠.

الولاية: أنظر أحاديث الولاية، مناقب ابن المغازلي: ١٤٦-٢٦.

الإمامة: أنظر مناقب ابن المغازلي: ٦٥.

الخلافة: أنظر ص٤٥ من نفس المصدر، وأسانيده.

الناس، وتنظيمها، فإن الغالبية العظمى من الصحابة لا يرون من الضروري أن يتمسكوا بها، ويلتزموا[١].

وقد عمقوا هذه الفكرة في المجتمع تارة من خلال التنظير لها، وتارة من خلال نسبة بعض النصوص، والروايات إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بشأنها.

فقد رووا من أجل دعم هذه القناعات المشبوهة الحديث التالي: عن أنس بن مالك قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله، مرَّ بقوم يلقّحون، فقال: **لو لم تفعلوا، لصَلُحَ!** قال: فخرج شيصاً، فمرَّ بهم، فقال: **ما لِنَخْلِكم؟** قالوا: قُلْتَ: كذا، وكذا. قال: **أنتم أعلم بأمرِ دنياكم**[٢]!

وفي رواية أخرى عن طلحة بن عبيد الله، بنفس المضمون إلاّ أنّه أضاف: **«فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فقال: إن كان ينفعهم ذلك، فليصنعوه، فإنّي، إنّما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً، فخذوا به، فإنّي لن أكذب على الله عزّ وجلّ»**[٣].

وحيث إن قضية الحكم، وإدارة شؤون المسلمين من أمور الدنيا العامة، فالمسلمون غير ملزمين بأخذ توجيهات الرسول صلى الله عليه وآله بعين الاعتبار، لأنه في ذلك كسائر الناس، يظن ظناً، ويجتهد اجتهاداً! كما هو مضمون الروايات السالفة بهذا الشأن.

وهكذا فإن تخطي أوامر النبي صلى الله عليه وآله بشأن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام على الناس لقيادة التجربة الإسلامية بعد غياب رسول الله صلى الله عليه وآله، يمكن أن يمر على المسلمين دون إثارة كبيرة طالما وجدت تلك الثقافة إعلاماً مناسباً وشاعت في

---

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة ١٢: ٨٢ ـ ٨٥.

(٢) صحيح مسلم ٧: ٩٥، أضواء على السنة المحمدية: ٩٣، الاحكام ٥: ٧٠٤، مسند أحمد ٣: ١٥٢.

(٣) المجموع ١١: ٣٥٣، الطرائف: ٣٧٢، مسند أحمد ١: ١٦٢، صحيح مسلم ٧: ٩٥، كنز العمال ١١: ٤٦٤، أضواء على السنة المحمدية: ٩٣.

واقع المسلمين!وهكذا كان...!

فقد عقد عدد كبير من الصحابة اجتماعاً في سقيفة بني ساعدة ليختاروا (الخليفة) الذي تناط به مهمة قيادة المسلمين بعد رسول اللهﷺ، بعد ساعات قليلة من وفاة رسول اللهﷺ، وقد أعلن الخليفة رسمياً عصر ذلك اليوم الحزين، وتمت البيعة العامة لأبي بكر في المسجد النبوي، ولا يزال رسول اللهﷺ مسجى لم يدفن بعد!

وإذا تصفحنا أدبيات ذلك اليوم ـ وكانت تتفاوت بين العنف، والمغالطة السياسية والشدة واللين ـ نجد المضامين التالية:

- المهاجرون: «نحن الأمراء، وأنتم الوزراء»[١].
- الأنصار: «منّا أمير، ومنكم أمير»[٢].
- قريش: «من ذا ينازعنا سلطان محمد وأمارته، ونحن أولياؤه، وعشيرته»[٣].

فهو صراع سياسي بحت ومناورات سياسية ومفردات حول الأمارة، والحكم، والسلطان، والوزارة تستخدم فيها المناورات السياسية، والتهديد، والإرهاب، والتآمر، والمغالطات!

فكانت تسمع هذه الكلمات النابية ـ على سبيل المثال ـ التي يتطاير منها الشرر:

- الحباب بن المنذر الأنصاري: «يا معشر الأنصار، املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا، وأصحابه ـ عمر ومن معه ـ فيذهبوا بنصيبكم من هذا

---

(١) الطرائف: ٣٩٨، الغدير٧: ٧٨، فدك في التاريخ: ٧٤، صحيح البخاري٤: ١٩٤، السنن الكبرى٨: ١٤٣.

(٢) تاريخ الطبري٢: ٤٥٦، حوادث سنة ١١ هـ، الإيضاح: ٢٣٦، شرح الاخبار١: ٣٦٣، السنن الكبرى٨: ١٤٢، مجمع الزوائد٥: ١٨٢، وغيره من المصادر.

(٣) الاحتجاج١: ٩٢، فدك في التاريخ: ٧٤، شرح نهج البلاغة٢: ٣٨، تاريخ الطبري٢: ٤٥٧.

الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم، فأجْلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور... أما والله لو شئتم لنعيدنّها جَذعَة»[١].

قال عمر: «اقتلوا سعداً قتله الله، ثمّ قال لسعد: لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك، فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر، فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت، وفيك واضحة..»[٢].

وقال سعد بن عبادة الأنصاري لعمر: أما واللهِ لو أنّ بي قوة ما، أقوى على النهوض لسمعتَ منّي في أقطارها، وسككها زئيراً يجحرك، وأصحابك، أما واللهِ إذاً لألحقتك بقوم كنت فيهم تابعاً، غير متبوع[٣]!!

وبعد إعلان خلافة أبي بكر، تجلى الموقف عن عدة ظواهر:

١ـ إنشقاق الأنصار إلى أوس، وخزرج، وخروج سعد بن عبادة زعيم الخزرج غاضباً، ثمّ تحوله إلى معارض سياسي، وخروجه إلى الشام، بعد ذلك، بعيداً عن سلطة الخلافة، حيث قتل بطريقة غامضة!

٢ـ اللجوء إلى العنف في فرض البيعة للخليفة، ومن ظواهر ذلك العنف ما يلي:

أ ـ إن قبيلة أسلم ـ وهم من الأعراب ـ قد أقبلت بجماعتها، حتى تضايقت بهم السكك... فبايعوا أبا بكر... يقول عمر بن الخطّاب عن هذا التطور ما يلي: «ما هو إلاّ أن رأيت (أسلم) فأيقنت بالنصر»[٤].

لقد نفذت قبيلة أسلم التي دخلت المدينة المنوّرة بأسلحتها خطة انقلاب عسكري واسع النطاق، وصفه المؤرخون بما يلي: «كان جماعة من الأعراب

---

(١) جذعة: إذا أطفئت الحرب، يقال: لو شئنا نعيدها جذعة، أي كما بدأت، شرح نهج البلاغة٢: ٣٩، تاريخ الطبري٢: ٤٥٨، الإمامة والسياسة١: ٢٥.

(٢) الغدير٧: ٧٦، الاحتجاج١: ٩٣.

(٣) المعيار والموازنة: ٤٥، تاريخ الطبري٢: ٤٥٩، الإمامة والسياسة١: ٢٧، عمر بن الخطاب: ٨٤.

(٤) تاريخ الطبري٢: ٤٥٩، بحار الانوار٢٨: ٣٣٥، معالم المدرستين١: ١٢١.

دخلوا المدينة ليمتاروا منها، فشغل الناس بموت رسول الله ﷺ، فشهدوا البيعة، وخضروا الأمر، فأنفذ إليهم عمر، واستدعاهم، وقال لهم: خذوا بالحظ والمعونة على بيعة خليفة رسول الله واخرجوا إلى الناس، واحشروهم ليبايعوا، فمن امتنع فاضربوا رأسه وجبينه، قال: فوالله لقد رأيت الأعراب قد تحزّموا، واتّشحوا بالأزر الصنعانية، وأخذوا بأيديهم الخشب، وخرجوا حتى خبطوا الناس خبطاً، وجاؤوا بهم مكرهين إلى البيعة»[١].

وهكذا حسمت قضية الخلافة بالعنف، والشدة في مراحلها الأولى.. وضربت الأصوات المعارضة بالصميم، تحت ضغط العنف، والإرهاب، والمفاجأة التي حدثت بشكل مثير.

بـ ـ رغم الانقلاب (العسكري)، واحتلال (سكك) المدينة المنوّرة من قبل قبيلة (أسلم)، التي فاوضها الصحابي عمر بن الخطّاب، فدخلت المعركة لصالح (الملأ) من قريش بعد الاتفاق معها على أخذ (الحظ والمعونة) كما أشرنا حيث خبطوا الناس خبطاً، وأكرهوهم على البيعة تحت (وابل) العصي ـ كما رأينا ـ رغم كل ذلك، فإن عدداً من علية القوم بقيت تنازع هذه المفاجأة! وتصر على رفض كل ما حصل، فقد اعترضت بنو هاشم ـ عشيرة النبي ﷺ ـ كلها، وعلى رأسهم عميدهم علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، ومعهم، سلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وسعد بن أبي وقاص، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وأُبي بن كعب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وجمع آخر من الأنصار، والمهاجرين[٢]...

وبعد دفن رسول الله ﷺ في بقعته التي أعدها الله تعالى له، اجتمع هؤلاء المعترضون في دار الزهراء فاطمة بنت رسول الله ﷺ للتداول في شأن الخلافة،

---

(١) أنظر الشيخ المفيد، كتاب الجمل: ٥٩، كتاب سليم بن قيس: ١٣٩.

(٢) تاريخ الخميس١: ١٨٨، العقد الفريد٣: ٦٣، الرياض النضرة١: ١٦٧، تلخيص الشافي٢: ١٢١ و٣: ٤٦.

التي يرويها الطبري وغيره من المؤرخين لا تطمئن النفس إلى أن العرب يومذاك ينطقون بها، خصوصاً، وإنها لا تحمل مضموناً ذا قيمة علمية ولا شكلاً أدبياً يناسب تلك الفترة من تاريخ العرب حيث جزالة الألفاظ، وقوة البيان ودلالة المضامين التي امتاز بها العربي في شعره، ونثره...

فأين الأدب العربي في تلك المرحلة من تاريخ العرب عن هذه الترهات التي تنسب لأبي مسيلمة مثلاً[١]، وهذه فقرات منها:

«والشاء وألوآنها وأعجبها السود وألبانها والشاة السوداء واللبن الأبيض إنه لعجب محض وقد حرم المذق فما لكم لا تمجعون... يا ضفدع ابنة ضفدع نقى ما تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين (وكان يقول) والمبذرات زرعاً والحاصدات حصداً والذاريات قمحاً والطاحنات طحناً والخابزات خبزاً والثاردات ثرداً واللاقمات لقماً إهالة وسمناً لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والمعتر فآووه والباغي فناوؤه»[٢].

على أن بعض المؤرخين المعاصرين يذهب إلى القول: إن ظهور أدعياء النبوة يمثل نموذجاً للصراع القبلي بين قريش، وغيرها من قبائل العرب، فإن ادعاء النبوّة كان يهدف إلى الحصول على مكاسب مادية، وسياسية، على طريق المنافسة لقريش، وسلطانها[٣]، ولكن من خلال شعارات دينية!!

وهكذا فإن تلك الفترة من تاريخ المسلمين تبقى من أكثر فترات التاريخ مجهولية في حوادثها، وشخوصها، وملابساتها، لاسيّما وقد كان لسيف بن عمر الراوي الزنديق دور سيئ في افتعال الكثير من الروايات والحوادث في هذه المرحلة الحساسة[٤] من تاريخنا وتلاحظ من خلال سياسة الخليفة أبي بكر، وحكومته

---

(١) الطبري٢: ٥٠٦. حوادث عام ١١.

(٢) الطبري٢: ٥٠٦. حوادث عام ١١.

(٣) أنظر التفاصيل في كتاب نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام: ٦٢- ٦٥، د. محمد جلال شرف.

(٤) لاحظ كتاب عبد الله بن سبأ: العلاّمة السيد مرتضى العسكري.

التي سلكها مع المعارضة في عهده، عدة من الظواهر، هذه بعضها:

١ـ التشويه الإعلامي للمعارضة: وإذا كان هذا الأسلوب، لم يكن فعالاً في داخل المدينة المنوّرة، بشكل ما، وذلك بسبب وضوح المعارضة للمسلمين خصوصاً رموزها البارزة كعليّ بن أبي طالب، والعباس، وعبد الله بن العباس، والزبير، وسلمان وعمار وسعد بن عبادة وغيرهم، لذا فإن الإعلام المضاد ليس بمقدوره أن يشوه سمعة هؤلاء الصحابة المعروفين، ومن هنا فإن الحكومة لم تولِ اهتماماً للإعلام المضاد في المدينة ضد هذه القوى بقدر ما اعتمدته في المدينة المنوّرة ضد القبائل العربية في خارج المدينة، حيث وصفها إعلام الخلافة بالمرتدّين، ليهيئ الأجواء النفسية لشن الحروب عليها باعتبارها (مرتدّة)، وما يفرضه الارتداد من موقف عملي حازم تماماً كما تتخذ الحكومات في العصور الأخيرة من أعمال حازمة ضد القوى التي تعمل لصالح حكومات أجنبية في داخل بلدانها!

٢ـ انتهاج طريقة التصفية الجسدية للمعارضين أو القتل الجماعي العام، وقد جرت تصفية جسدية، لسعد بن عبادة، وأشاع إعلام السلطة إن الجن قتلته، حيث قتل في بستان له في بلاد الشام..

وأشيعت في الملأ أبيات شعرية نسجت على ألسنة الجن! تفتخر بعملية اغتيال سعد بن عبادة[١]:

نحن قتلنا سيدَ الخزرج سعدَ بن عبادهْ
ورميناه بسهمين فلم تخطِ فؤادهْ[٢]

ومن أمثلة القتل الجماعي ما جرى لبني يربوع، وكان والياً على زكاتهم زعيمهم الصحابي مالك بن نويرة اليربوعي، ولاّه رسول الله ﷺ عليها، فلما

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٧: ٢٢٣، لابن أبي الحديد.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٧: ٢٢٣، تاريخ مدينة دمشق ٢٠: ٢٨٦.

- أرضه من أموال يهود بني النضير.
- أرضه التي وهبها الأنصار له.
- ممتلكاته من قرية خيبر.
- وحوائط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم السبعة في المدينة المنوّرة، التي وهبها له (مخيريق) وهو أحد علماء اليهود كان قد أسلم بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأوصى أن يرث حوائطه بعد موته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ هذه الممتلكات منع الخليفة، أبو بكر ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الانتفاع بها..

وتحدثنا السنّة الشريفة، وروايات المؤرخين عمّا جرى بين الحكومة والصدّيقة الزهراء عليها السلام بهذا الخصوص.

وفي مسند أحمد والترمذي وطبقات ابن سعد وتاريخ ابن كثير واللفظ لأحمد عن أبي هريرة قال: إن فاطمة قالت لأبي بكر: **من يرثك إذا متّ؟**

قال: ولدي وأهلي.

قالت: **فما لنا لا نرث النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟**

قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنّ النبي لا يورث»، ولكني أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعول، وأنفق على من كان رسول الله ينفق عليه[1].

ومن المناسب هنا أن نذكر الفقرات المتعلقة بميراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الخطبة العظيمة التي ألقتها الصدّيقة الزهراء عليها السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نهاية الأحداث المريرة التي مرّت على البيت النبوي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد جاء في تلك الخطبة الخالدة، في هذا المضمار ما يلي:

**«أعلى عمد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ**

---

(١) مسند أحمد ١: ١٠، الترمذي ٧: ١٠٩، طبقات الكبرى ٥: ٣٧٢، البداية والنهاية ٥: ٣٠٩، نيل الاوطار ٦: ١٩٦، كنز العمال ٥: ٦٣٧، وغيرهم.

سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[١]، وقال فيما اقتص من خبر زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[٢]، وقال: ﴿وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[٣]، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾[٤]، وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[٥]، ثم قالت: أخصكم الله بآية أخرج بها أبي؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن، وعمومه من أبي وابن عمي؟ أم تقولون: أهل ملتين لا يتوارثان؟» .. الخطبة[٦].

فقد احتجت الصدّيقة الطاهرة عليها الصّلاة والسّلام على توريث الأنبياء عليهم السلام بآيتي داود وزكريا الصريحتين بتوريثهما، وبسبب قوة هذه الحجة، ووضوحها لاذ أبو بكر بالصمت، فلم يجبها حول استدلالها أبداً وإنما استعمل طريقة المراوغة بدلاً من مواجهة الحجة، فقد قال: «إنّ هذا المال لم يكن للنبي! وإنما كان مالاً من أموال المسلمين! يحمل به النبي الرجال وينفقه في سبيل الله، فلما توفي وليته، كما كان يليه..»[٧].

أو قال: ما تركه الرسول لا يورث فهو صدقة ـ كما رووا عنه ـ إلى غير ذلك

---

(١) النمل: ١٦.

(٢) مريم: ٥-٦.

(٣) الأحزاب: ٦، الأنفال: ٧٥.

(٤) النساء: ١١.

(٥) البقرة: ١٨٠.

(٦) ورد نص الخطبة في كثير من مصادر المسلمين مثل: بلاغات ابن طيفور والاحتجاج للطبرسي١: ١٣٨، النص والاجتهاد: ٦٢، أبو هريرة: ١٤٠، مناقب أهل البيت: ٤٢٠، فدك في التاريخ: ١٦٣، بلاغات النساء: ١٧، وغيرها من المصادر الأخرى.

(٧) السقيفة وفدك: ١٠٤، النص والاجتهاد: ٦٣، فدك في التاريخ: ١٦٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد١٦: ٢١٤، أبو هريرة: ١٤١، بيت الأحزان: ١٥٤، وغيرها.

الله صلى الله عليه وآله[١]، كذلك طالب الصحابي عمر بالاقتصاص من خالد بن الوليد عندما قتل الصحابي مالك نويرة اليربوعي، ونزا على زوجته وهي في عدتها وكان شديداً في ذلك إلاّ أن الخليفة ردّ على إلحاح عمر بقوله: هيه يا عمر، تأول فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد.. ما كنت لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين[٢]...

ويبدو أن عمراً تراجع كذلك عن موقفه في مسألة مصادرة قرية فدك من الصدّيقة الزهراء عليها السلام التي جرت في بداية خلافة أبي بكر، حيث صادر الشيخان تلك الملكية الخاصة للصدّيقة عليها السلام، وهي نحلة من أبيها الرسول صلى الله عليه وآله، وأجريا عليها حكم التأميم في واقعة مشهورة تاريخياً[٣]، إلاّ أن عمراً بعد استخلافه، تراجع عن ذلك الموقف السياسي تجاه أهل البيت عليهم السلام[٤]، ولكن بعد وفاة الصدّيقة الزهراء عليها السلام، التي كانت قد قضت، وهي غاضبة على الشيخين، كما تقطع روايات التاريخ، والسنة الشريفة بسبب هذه القضية، وغيرها... وإن كان الخليفة عمر ـ كما استفدت من الروايات ـ أعاد قرية فدك إلى أمير المؤمنين عليه السلام لا باعتبارها ملكية خاصة، اغتصبت ثم أعيدت إلى أصحابها، وإنما بقي عمر متمسكاً بكونها ملكية عامة (صدقة) ولكنه أباح لأهل البيت عليهم السلام الاستفادة من غلتها لشؤونهم الخاصة، وتوزيع الفائض على المسلمين[٥]. وذلك بعد خلافته بسنتين، وأرجح أن يكون موقف عمر مرتبطاً

---

(١) النص والاجتهاد: ١٢٤، نقلاً عن الأستاذ محمد حسين هيكل في كتابه (الصديق أبو بكر)، الغدير٧: ١٥٨، تاريخ الطبري٢: ٥٠٣.

(٢) النص والاجتهاد: ١٤١. أشيم: أغمد.

(٣) راجع الصدّيقة الزهراء بين المحنة والمقاومة: ٥٤ـ١٠٠، للمؤلف.

(٤) الاحتجاج: هامش ٩٠، الشيخ الطبرسي.

(٥) أنظر ابن أبي الحديد المعتزلي١٦: ٢٢٥ـ٢٣٠، مصدر سابق.

بطبيعة معارضة أمير المؤمنين عليه السلام للسلطة التي اختلفت في عهد عمر عنها في الأشهر الأولى لخلافة أبي بكر، فقد تعايش الإمام عليه السلام مع الخلافة بسبب ضعف إمكاناته على تصعيد المعارضة، وتغير أوضاع المسلمين العامة، وطبيعة موقف الأمة غير المشجع من معارضته، وقد دعت روايات المؤرخين تلك الحالة التي أبداها أمير المؤمنين عليه السلام بحالة الصلح أو البيعة، وإن كانت في حقيقة الأمر تعايشاً مع السلطة مع التمسك بحقه الشرعي في ولاية أمر الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي ظل يذكّر به كلما سنحت له فرصة في ذلك!

ورغم أن عهد الخليفة عمر لم يشهد ظهور معارضة سياسية يخشى منها على حكومة الخلافة، كالتي ظهرت في عهد أبي بكر، إلاّ أن تحركاً سياسياً هنا، وتحركاً هناك، كان قد جرى في أيام عمر، ولكنها، ووجهت بالعنف الشديد، الأمر الذي امتاز به الخليفة في عموم مواقفه، وسياساته العامة، والخاصة، ونذكر من مواقف الخليفة هذه الحوادث:

أ ـ محنة صبيغ التميمي: لم تشأ المصادر الرسمية التاريخية أن تعتبر قضية صبيغ التميمي، قضية سياسية، وإنما حاولت أن تصوغها بطريقة توحي بكونها قضية عقائدية تتعلق بإصرار صبيغ على معرفة متشابهات القرآن الكريم، والإلحاح على معرفة تفسير بعض الآيات دون مبرر!!

وقد بالغت بعض الروايات التاريخية حتى عدته أحد المتكلمين، أو الخوارج أو ما إلى ذلك..

ولكن طريقة عمر بن الخطّاب في التعامل مع الرجل، وغلظته، وطريقة معاقبته غير المبررة ـ التي سنشير إليها ـ تنم عن أن القضية كانت سياسية تقدح بشرعية الحكومة التي يقودها الخليفة عمر...

وكان الخليفة عمر حساساً جداً من عمل المعارضة، ونشاطها حتى وإن كان سلمياً، كما جرى لصبيغ التميمي مثلاً...

وكان أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله تحت المراقبة الدائمة من قبل الخليفة عمر خصوصاً عميدهم وصي رسول الله علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنّه رغم تعايشه مع السلطة، واهتمامه الواضح بدعم مسيرة الدعوة الإلهيّة، ومسيرة المسلمين الحضارية، كما يتضح من توجيهاته للخلافة، وتقديمه المقترحات تلو المقترحات لتقليل نسبة الانحراف عن الإسلام الحنيف وقيمه، وأهدافه، وما إلى ذلك[1]...

إلاّ أن الخلافة كانت تراقبه، وتتحسس من نشاطاته العامة، وتبحث عمّا يقوم به، وتحاول قراءة ما يدور في ذهنه من أفكار سياسية، وما يخطط له، ولنقرأ هذه الوثيقة:

عمر: يا ابن عباس كيف خلّفت ابن عمك؟

قال ابن عباس: فظننته يعني عبد الله بن جعفر، فقال: فقلت: خلّفته مع أترابه.

قال عمر: لم أعن ذلك إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت.

قال ابن عباس: فقلت: خلفته يمتح بالغرب وهو يقرأ القرآن.

قال عمر: يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟

قال ابن عباس: قلت: نعم.

قال عمر: أيزعم أن رسول الله نصّ عليه؟

قال ابن عباس: قلت: وأزيدك سألت أبي عمّا يدعي ـ من نصّ رسول الله عليه بالخلافة ـ فقال: صدق.

---

(١) لاحظ كتاب علي والخلفاء: الشيخ نجم الدين العسكري.

فقال عمر: كان من رسول الله في أمره ذرو[١] من قول لا يثبت حجة، ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع[٢] في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعته من ذلك..»[٣] الحديث.

هكذا كان موقع المعارضة السياسية في المجتمع الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب..

---

(١) الذرو ـ بالكسر والضم ـ: المكان المرتفع والعلو مطلقاً، والمعنى انّه كان من رسول الله في أمر علي علو من القول في الثناء عليه، وهذا اعتراف من عمر كما لا يخفى.

(٢) هذا مأخوذ من قولهم ربع الرجل في هذا الحجر إذا رفعه بيده امتحاناً لقوته، يريد أن النبي كان في ثنائه على علي بتلك الكلمات البليغة، يمتحن الأمة في أنها هل تقبله خليفة أم لا.

(٣) أخرجه أحمد بن أبي طاهر في تاريخ بغداد بسنده المعتبر إلى ابن عباس، وأورده علاّمة المعتزلة في أحوال عمر من شرح نهج البلاغة١٢: ٢٠، وقد ذكره الإمام شرف الدين في كتابه المراجعات: ٣٩٥، الدرجات الرفيعة: ١٠٦، حلية البرار٢: ٣٢١.

# المعارضة في عهد الخليفة الثالث
# عثمان بن عفّان

تعرضت التجربة الإسلامية إلى انتكاسة هائلة منذ أن تسلّم عثمان بن عفّان زعامة المسلمين، كما لاحظنا تفاصيل من ذلك قبل قليل!

فقد فسّر الخليفة عثمان النظام الإسلامي في المال، والاقتصاد، وفي الإدارة، والسياسة، تفسيراً ينسجم مع مصالح ذويه، وعشيرته ويتطابق مع المصالح الأرستقراطية، وتحول الإسلام الحنيف بناء على ذلك إلى منظومة تشريعية إقطاعية صارمة تسوق الجماهير بعصا الإرهاب، والكبرياء، والتجبر...

وقد اتضح أنّ الليونة و(الرقة) التي اتصف بها عثمان أو وصف بها كانت أقرب إلى الرعونة منهما إلى الرقة، فقد حوّل الخلافة الإسلامية إلى مشيخة قبلية تدار بذهنية مجلس العشيرة الذي كان من أعضائه الناشطين: مروان، ومعاوية، وعبد الله بن عامر، وأمثالهم إضافة إلى عثمان...

وحتى ولايات الدولة تحولت إلى إقطاعيات وهبت إدارتها إلى قطاعيين من شباب بني أمية، وأصدقائهم، كما تحولت ثروة الأمة إلى ملكية لتلك العشيرة تتصرف بها كيفما تشاء، «فالسواد بستان قريش ما شاء بنو أمية أخذوا منه، وما شاؤوا تركوا»، وبيوت الأموال صارت حقاً خاصاً للولاة وأتباعهم، وجواريهم..

وانطلق أصحاب الثروة يؤسسون الإقطاعيات الكبيرة في البلاد المفتوحة بشره كبير في إطار نظام (الأقنان) الذي ساعد على إنشائه كثرة الرقيق، والعبيد الذين وفرتهم الفتوحات التي تحولت هي الأخرى إلى هدف اقتصادي استراتيجي، لجمع المال من بعض الوجوه، والوصول إلى منابع الثراء في بلاد الله الواسعة كبلاد فارس، وبلاد ما وراء النهر، وأفريقيا وسواها، إضافة إلى العراق، وبلاد الشام!

وكانت محاور سياسة عثمان، وأعمدتها قد تشكلت، مما يلي ـ كما أشرنا إلى بعضها ـ:

١ـ أطلق يد الصحابة من قريش لمغادرة المدينة المنوّرة باتجاه البلاد الغنية المفتوحة، خلافاً لسياسة عمر الذي منع الصحابة من مغادرة المدينة، ماعدا مسؤولي الولايات، والقضاة، والمبلغين... وحين رأى الصحابة الدنيا وبريقها اتجهوا لتكديس الأموال، واتخاذ العبيد وإقامة القصور، والاتجاه للبذخ، ومتع الحياة، إضافة لجمع الأنصار حولهم، وكان عمر، وفي حدود وعيه للحالة العامة التي يعيشها العرب في جزيرتهم يخشى من انسياح الصحابة في البلاد المفتوحة، وهي، هي في خصوبتها وثرائها، فقد ذكر الطبري في تاريخه حول هذه المسألة ما يلي:

«كان عمر بن الخطّاب قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج إلى البلدان إلاّ بإذن وأجل. فشكوه، فبلغه، فقام، فقال: ألا إني قد سننت الإسلام سن البعير.. ألا وأن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده. ألا فأما وابن الخطّاب حي فلا. إني قائم دون شعب الحرة آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا في النار. فلما ولى عثمان الخلافة لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر، فانساحوا في البلاد. فلما رأوها ورأوا الدنيا ورآهم

الناس، انقطع من لم يكن له طول ولا مزية في الإسلام، فكان مغموماً في الناس وصاروا أوزاعاً إليهم وأملوهم وتقدموا في ذلك. فقالوا يملكون فنكون قد عرفناهم وتقدّمنا في التقريب والانقطاع إليهم، فكان ذلك أول وهن على الإسلام وأول فتنة كانت في العامة»[١].

٢ـ ابتدع الخليفة، نظام الإقطاع، خصوصاً في البلاد التي فتحها المسلمون بجهودهم فتحولت تلك البلاد من ملكية عامة للأمة إلى ملكيات لإقطاعيين من بني أميّة، وأمثالهم، كما كان يغدق الأموال الوفيرة على أقربائه، وحاشيته مثل مروان، والوليد، وعبد الله بن عامر، ومعاوية، وغيرهم.

٣ـ إطلاق عثمان أيدي ولاته ـ كما أشرنا فيما سبق ـ يعملون في ولاياتهم ما يشاؤون، فطغوا، وبغوا على عباد الله، لاسيّما المستضعفون منهم، وكانت صلاحيات الولاة في عهد عثمان أقرب للصلاحيات المطلقة، فكانوا ينفقون الأموال كيف شاؤوا، ويسيؤون للناس، ويذلونهم، ويرتكبون المحرمات جهاراً، كشرب الخمر، والزنا، كما فعل الوليد والي الكوفة، حيث كان من أكثر المدمنين على شرب الخمر كما أشرنا، حتى كان يصلي بالناس وهو ثمل، وكان أكثر ولاته من هذا النمط، انحرافاً، وسوء أدب، وسوء إدارة.

وكان الخليفة يدافع عن ولاته بحماسة منقطعة النظير، ويحرضهم على إذلال الناس، وإيذائهم، واستعمال الشدة معهم، إلى حد القتل والنفي، وقطع الأرزاق، وتقييد الحريات، وهذه السياسة لا تشبه سياسة عمر الذي كان يحاسب ولاته، ويراقب تصرفاتهم، ويصادر أموالهم أحياناً، رغم وقوع بعض الأخطاء في هذا المجال أيضاً...

---

(١) نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام: ٦٧، الدكتور محمد جلال شرف عن الطبري، الفتنة ووقعة الجمل: ٧٥، تاريخ الطبري٣: ٤٢٦،

٤ـ ومن سياسة عثمان إعادة المبعدين، والمغضوب عليهم من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبب ضلالهم وكفرهم كالحكم بن أبي العاص وأولاده، ممن آذوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وبالغوا في الإساءة له، فأخرجهم من المدينة المنوّرة، وتابعه في ذلك أبو بكر، وعمر، إلاّ أن عثمان خالف السنة في ذلك، وتجاوز قرار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأعاد الحكم، وأولاده المنحرفين إلى المدينة، ولمّا مات الحكم أقام على قبره فسطاطاً إكراماً له، وأهدى للحارث ابنه سوق مهزور في المدينة، وكانت ملكية عامة أوقفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعموم المسلمين، واتخذ من مروان الحكم، وزيراً له، ومشيراً، وأقطعه الأموال الطائلة، ومكنه من رقاب المسلمين!

٥ـ إحداثه في قوانين الشريعة ما ليس منها كزكاة الخيل، وإتمام الصلاة في منى، وعطل حكم القصاص بعبيد الله بن عمر بسبب قتله لجفينة والهرمزان اللذين قتلهما بعد اغتيال عمر، ورغم احتجاج الصحابة على تعطيل القصاص بابن عمر، أصر الخليفة على تعطيل حكم القصاص، وأرسل عبيد الله المذكور إلى الكوفة، ووهبه داراً، وأرضاً زراعية شاسعة في الكوفة عرفت بكويفة ابن عمر لاتساعها، كما أنّ الخليفة عثمان حمى المراعى حول المدينة كلها عن مواشي المسلمين إلاّ عن مواشي بني أميّة، رغم أن تلك المراعي لعموم المسلمين ـ كما ذكرنا ـ .

كما أبدع عثمان في أذان الجمعة، وفي خطبة العيد، وصلاتها، علاوة على تعطيله الكثير من أحكام الشريعة، ومبادئها في السياسة المالية، والإدارة، والقضاء، وغير ذلك من شؤون[1].

٦ـ اعتماد سياسة مالية أرستقراطية يقدم فيها بني أميّة على غيرهم، ثم قريش من بعدهم، وإهمال سائر الناس.

---

(١) بحار الأنوار ٣١ : ١٤٩ـ٢٩٥ ، عن مصادره، وفي الغدير : المجلد الثامن والتاسع.

وقد نتج عن هذه السياسة الرأسمالية الرجعية أن انقسم الناس إلى ثلاث طبقات:

طبقة بني أمية، على رأس الهرم الاجتماعي في الثروة، والجاه، والسلطان.

وطبقة قريش، ومن إليهم حيث تلي بني أمية في الوجاهة، والثروة.

ثم الطبقة المسحوقة، وتشكل عموم الأمة بطبقاتها المختلفة من الفلاحين، والعشائر، والرعاة، والجنود المقاتلين الذين يحمون الثغور، وليس لهم من نصيب إلاّ ملء بطونهم من فتات مائدة الظالمين..

٧ـ مطاردة المعارضين لتلك السياسات الخاطئة وصب الحقد عليهم، وحرمانهم من حقوقهم، ونفيهم، وضربهم، وحبسهم، ومصادرة حقوقهم، وإيذائهم، مهما علا شأنهم في الدين، والتقوى، والعمل الصالح، والجهاد، ومهما كان تأثيرهم في جماعة المسلمين كأبي ذر الغفاري، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وأمثالهم من خيرة الصحابة الصالحين، وأركان الأمة بعد الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ...

لقد اعترض الكثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سياسات عثمان ومناهجه وتصرفاته في الحكم، والسياسة، والإدارة، وغيرها، فلم يجدوا أذناً منه صاغية...

فقد ضرب أبا ذر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقطع عطاءه، ثمّ نفاه إلى معاوية في الشام إمعاناً في إيذائه، لا لشيء إلاّ لأنه ينكر عليه سياسته الخاطئة، ثمّ نفاه من الشام إلى الربذة فمات وحيداً في غربته[1].

---

(١) في رواية مشابهة جاء في وضوء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١: ٥٥، ومناقب أهل البيت عليهم السلام: ٢٦١، شرح نهج البلاغة ١: ١٩٩.

وقد فعل بالصحابي عمار بن ياسر ما فعل من التعذيب، والضرب، حتى أصابه الفتق وأغمي[١] عليه، كما فعل مثل ذلك بعبد الله بن مسعود، حيث كسر أضلاعه[٢]، وقطع رزقه، وفرض عليه الإقامة الجبرية حتى مات!

علماً بأن هؤلاء الصحابة الثلاثة كانوا قد تركهم رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أمير المؤمنين علي عليه السلام ميزاناً للأمة، تقيس بهم الأمة مدى استقامة المسيرة على الحق، والعدل، والمعروف... فأبو ذر الغفاري «**ما أظلت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر**»[٣]، كما وصفه الصادق الأمين رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمار بن ياسر كان في توجيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ملئ إيماناً إلى أخمص قدميه**»[٤]، «**والحق يدور معه حيث دار**»[٥]، «**وإذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق**»[٦]، «**وإنّه تقتله الفئة الباغية**»[٧]..

وأما عبد الله بن مسعود، فإنّه في تعليمات رسول الله صلى الله عليه وآله لأمته جاء فيه ما يلي: «من سرّه أن يقرأ القرآن غضاً، كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد (عبد الله بن مسعود)»[٨]، «تمسكوا بعهد عمّار، وما حدّثكم ابن مسعود، فصدّقوه»[٩] وكان صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(٢) وضوء النبي صلى الله عليه وآله ١: ٥٥.

(٢) مناقب أهل البيت عليهم السلام: ٢٦١، النص والاجتهاد: ٤٠٣، شرح نهج البلاغة١: ١٩٩.

(٣) معاني الأخبار: ١٧٩، والترمذي في سننه٥: ٣٣٤، وابن سعد والحاكم في المستدرك٣: ٣٤٢، وسنن ابن ماجة١: ٥٥، ومسند أحمد٢: ١٦٢، مواقف الشيعة٣: ١٤، شرح أصول الكافي١٢: ٢٧٥، مناقب أهل البيت عليهم السلام ٢: ١٤٨، وغيرهم، لاحظ مصادرة عند الشيخ الأميني في كتاب الغدير٨: ٣١٢-٣١٤.

(٤) مناقب أهل البيت: ٣٧٩، شرح نهج البلاغة١٠: ١٠٤.

(٥) الغدير١٠: ١٨.

(٦) مناقب أمير المؤمنين٢: ٣٥٣، المعجم الكبير١٠: ٩٦، شرح نهج البلاغة٣: ٩٨، كنز العمال١١: ٧٢١.

(٧) راجع أسانيد هذه الأحاديث في الغدير٩: ٢١، كمال الدين وتمام النعمة: ٥٣١، مسند أحمد ٣: ٢٢.

(٨) الإيضاح: ٢٢٣، نيل الأوطار٢: ٢٦١، مسند أحمد١: ٧ و٣٨، سنن ابن ماجة١: ٤٩.

(٩) الغدير٩: ٨.

إن هذه السياسات الجائرة التي سلكها عثمان بن عفّان قد عجلت بظهور حالتين في الأمة:

١ـ حالة المعارضة الجماهيرية الواسعة التي شملت المدينة المنوّرة ـ عاصمة الدولة الإسلامية ـ والعراق، ومصر، وتشكل هذه الأقاليم يومذاك قوام الدولة مالياً. وعسكرياً. وبشرياً. حيث تحركت الجماهير هنا، وهناك رويداً، رويداً، فتحولت الحركة المعارضة من البعد السلمي الهادئ من حيث المطالب، والاحتجاج، والحوارات، حتى بلغت ذروتها حين انتقلت إلى العصيان المدني، والتظاهر ثمّ إلى استعمال العنف، واللجوء إلى القوة، حيث قتل الخليفة في داره، دون أن يستمع الثائرون إلى نهي الناهين!

ومن قراءة واعية للحركة الجماهيرية التي حملت لواء المعارضة لسياسة الخليفة عثمان، يتجلى بوضوح أنّ الجماهير قد تسلحت بدرجة عاليه من الحكمة، والفطنة والتحمل، وكانت تفاوض الخليفة بروح إسلامية مدركة من خلالها للحقوق، التي فرضها الله تعالى للأمة عبر دستوره الخالد، غير إنها لم تخرج عن إطار تلك المنهجية في التعامل مع السياسة الجائرة للخليفة، إلاّ بعد أن أيقنت بإصرار الخليفة وحاشيته الأموية على التمادي في مجانبة الحق، والعدل، والأنصاف، وحدود الإسلام، وسياساته التي رسمها اللهﷻ، وما تبع ذلك من إصرارهم على إسكات كل صوت يعلو مطالباً بالحق، حيث صدرت أوامر الخليفة بقتل المتصدين لقيادة المعارضة في مصر، وغيرها... مما هيأ الأسباب لتصاعد الأزمة إلى مستوى قتل الخليفة، وما تبع ذلك من أزمات، وتداعيات.

٢ـ حالة المعارضة الفردية، والجهر بكشف أخطاء الخليفة، وولاته المنحرفين وما يجره ذلك من تغيير لسياسة الإسلام الحنيف، ومناهجه الإنسانية الرفيعة

في التنمية، وإشاعة العدل، وإعطاء الحقوق، وإنصاف الناس، وإشاعة الخير، والمعروف بين الأمم..

وقد لمعت أسماء طائفة من الصحابة الناشطين، الذين أنكروا المنكر، ودعوا إلى المعروف، وجهروا بالدعوة إلى مفاهيم الإسلام الحنيف من إجراء سياسة العدل، والإنصاف في الإدارة، والسياسة، وتوزيع المال، وغيرها.

وكان في طليعة أولئك الصحابة: عمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري وعبد الله بن مسعود. وحذيفة بن اليمان، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن أبي بكر، وغيرهم كثير، إضافة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله بن العباس، وغيرهما..

إلاّ أن عثمان قد التزم سياسة قمعية تتسم بالعنف والمغالطة واللاّمبالاة فقد نفى جماعة إلى الشام، والربذة، وفرض الإقامة الجبرية على آخرين، كما ضرب، وجلد، وسجن، وقطع العطاء عن أعداد أخرى، وهدد بالقتل صحابة، وتابعين، ومضى في سياساته الخاطئة لا يلوى على شيء مدعوماً بذلك من المنتفعين من حاشيته الأموية، وحلفائهم..

ورغم كل المحاولات التي بذلها أمير المؤمنين علي عليه السلام من أجل حل الأزمة، ومعالجتها - كما أشرنا فيما سبق - إلاّ أن تصرفات الخليفة، وإصراره، وانفعاله الدائم، فوت فرصاً كثيرة لمعالجة تلك الأزمة السياسية العنيفة التي عصفت بوحدة المسلمين بعد ذلك بقيادة رؤوس الفتنة من المنافقين، والوصوليين وأصحاب الثروات الكبرى، وطلاّب الحكم وأعداء الإسلام، كمروان، ومعاوية، والوليد، والمغيرة بن شعبة، وإضرابهم..

وهكذا قضى الخليفة عثمان على أيدي جماهير المعارضة الغاضبة التي شملت مستضعفي الأمة، وفقراءها على وجه الخصوص، رغم وجود بعض أصحاب المصالح السياسية بينها!

# المعارضة السياسية في عهد أمير المؤمنين

## مفرداتها . توجهاتها . وموقف الإمام منها

نستطيع أن نعبّر عن أحزاب المعارضة السياسية التي واجهت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بضراوة بكونها جبهة سياسية موحدة الأهداف، والوسائل، وأن قوامها من (قريش) الذي تصر على معاداة علي عليه السلام منذ بداية صراعها العسكري مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وانهزامها في عموم معاركها الظالمة، أمام راية علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي تسبب في تحطيم كبرياء قريش الوثنية وحلفائها اليهود في بدر، والأحزاب، وخيبر، وسواها من معارك الإسلام الكبرى...

إنّ من الواضح تاريخياً أن (الملأ) من قريش ظلوا ناقمين على علي عليه السلام منذ تصديه لتصفية رؤوسهم، ابتداء من أول صراع عسكري نشب في معركة بدر حتى فتح مكة المكرمة في شهر رمضان عام ٨هـ.

وكان علي يدرك عمق ذلك الموقف القرشي الحاقد، ويتوجع منه، وكان يعلم أن ذلك الموقف القبلي البغيض، هو الذي صرف الخلافة عنه طوال ربع قرن من الزمان، وهو الذي عوّق مسيرة الإصلاح التي كان الإمام عليه السلام عازماً على تنفيذها حين امتلاكه ناصية الأمور بعد مقتل عثمان..

وكانت مواقف عائشة، والزبير، وطلحة، ومعاوية، وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، وسعد بن أبي وقاص، وأمثالهم، هي التي تسببت في شق صفوف المسلمين، وإبعادهم عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهي التي تسببت في إراقة الدماء، وتحطيم الكثير من آمال الإمام عليه السلام والمسلمين في استئناف المسيرة الإسلامية الصالحة التي دشنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد كان علي عليه السلام يشكو إلى الله تعالى ما فرّطت قريش في حقه ويظهر توجعه لذلك. فيقول ـ مثلاً ـ: «**اللّهمّ إني أستعديك على قريش، ومن أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي**»[1]، وفي هذا المعنى نصوص أخرى تكشف عن شكوى الإمام عليه السلام من المواقف القرشية الحاقدة عليه[2]...

إن هذا النفس القرشي المشحون بالحقد على آل البيت عليهم السلام ظل مواكباً للأحداث التي مرت بها المسيرة التاريخية للمسلمين منذ غياب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى سقوط الحكم الأموي عام ١٣٢هـ.

ومنذ أن أجمعت الصحابة والجماهير في المدينة المنوّرة، وما حولها على استخلاف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لقيادة التجربة الإسلامية، سرى الارتباك في جسم قريش، وقد انحنت للعاصفة في بداية الأمر، حتى تلتقط أنفاسها، وعندما أعلن الإمام عليه السلام عن خططه الإصلاحية التاريخية في السياسة المالية، والإدارة، والسياسة، والعلاقات الاجتماعية وما سواها، تجمعت خيوط «التحرك المضاد» وتحركت سراعاً... وجرت المفاوضات الأولى بين الإمام عليه السلام،

---

(١) نهج البلاغة: خطبة٢: ٨٥، الامامةوالسياسة١: ١٧٦، الغارات١: ٣٠٨، المسترشد: ٤١٦.

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة٣ و٤: ١٠٤.

ووجوه من قريش حول (عدول) الإمام عليه السلام عن سياساته الإصلاحية عموماً وإلاّ كان لقريش موقف آخر! وهذه بعض المحاولات القرشية الأولى :

لمّا بدت ردة الفعل القرشي تتضح هنا ، وهناك قال أمير المؤمنين عليه السلام للزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله : «**نشدتكما الله ، هل جئتماني طائعين للبيعة ، ودعوتماني إليها ، وأنا كارهٌ لها!** قالا : نعم ، فقال : **غير مجبرين ولا مقسورين ، فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما!** قالا : نعم ، قال : **فما دعاكما بعد إلى ما أرى؟** قالا : أعطيناك بيعتنا على أ لاّ تقضي الأمور ولا تقطعها دوننا ؛ وأن تستشيرنا في كلّ أمر ولا تستبدّ بذلك علينا ، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت ؛ فأنت تقسم القسم وتقطع الأمر ، وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا .

فقال : **لقد نقمتما يسيراً ؛ وأرجأتما كثيراً ؛ فاستغفرا الله يغفر لكما . ألا تخبراني ، أدَفعتُكما عن حقّ وجب لكما فظلمتكما إياه؟**

قالا : معاذ الله!

قال : **فهل استأثرتُ من هذا المال لنفسي بشيء؟**

قالا : معاذ الله!

قال : **أفوقع حكم أو حقّ لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟**

قالا : معاذ الله!

قال : **فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟**

قالا : خلافك عمر بن الخطّاب في القسم ؛ أنك جعلت حقّنا في القسم كحقّ غيرنا ، وسوّيت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى علينا بأسيافنا ورماحنا ، وأوَجَفْنا[1] عليه بخيلنا ورجلنا ، وظهرت عليه دعوتنا ، وأخذناه قسراً قهراً ، ممن لا يرى الإسلام إلاّ كرهاً .

---

(١) ما أوجفنا : ما أعملنا .

فقال: **فأمّا ما ذكرتماه من الاستشارة لكما، فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة؛ ولكنكم دعوتموني إليها، وجعلتموني عليها، فخفت أن أردّكم فتختلف الأمة، فلما أفضت إليّ نظرت في كتاب الله وسنّة رسوله فأمضيت ما دلاّني عليه وأتبعته، ولم أحتج إلى آرائكما فيه؛ ولا رأى غيركما، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنة برهانه، واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه؛ وأما القسم والأسوة؛ فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء! قد وجدت أنا وأنتما رسول صلى الله عليه وآله يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وأما قولكما: جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا، سواء بيننا وبين غيرنا، فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم، فلم يفضّلهم رسول الله صلى الله عليه وآله في القسم، ولا آثرهم بالسبق، والله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم، وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلاّ هذا. أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر.** ثم قال: **رحم الله امرئً رأى حقاً فأعان عليه، ورأى جوراً فردّه، وكان عوناً للحق على من خالفه»**[1].

هذا وقد أوفدت قريش له الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فعبّر له بصراحة عمّا تجد عليه قريش في أنفسها من أمور ماضية، وأمور لاحقة، وهذا نص حديث الوليد: «يا أبا الحسن! إنك قد وترتنا جميعاً؛ أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً. وخذلت أخي يوم الدار بالأمس؛ وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب - وكان ثور قريش - وأما مروان فسخّفت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه؛ ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا

---

(١) شرح نهج البلاغة٧: ٤٠-٤٢، لابن أبي الحديد.، الجمل: ٧١.

ما أصبناه من المال في أيام عثمان، وأن تقتل قتلته؛ وإنّا إن خفناك تركناك؛ فالتحقنا بالشام.

فقال: **أمّا ما ذكرتم من وتري إياكم فالحقّ وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس؛ ولكن لكم عليّ إن خفتموني أن أؤمِّنكم وإن خفتكم أن أسيِّركم»**[1].

ثمّ خرج الوليد من عنده خالي الوفاض، فحدث قريشاً عمّا أبلغه به أمير المؤمنين عليه السلام فقرروا مفارقة الإمام عليه السلام، وإعلان الحرب عليه، وإظهار الضغينة..

وعلى المستوى الإداري عزم الإمام عليه السلام على إقصاء ولاة عثمان من مناصبهم وأغلبهم كانوا من قريش - خصوصاً من الفرع الأموي فيها - وممن امتازوا بسوء الإدارة، وسيء الأخلاق، والانحراف عن الحق، والخيانة لأمانة الأمة لديهم، فجاءت إليه قريش تدعوه إلى إقرارهم في مناصبهم، فقد جاء المغيرة بن شعبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «أنت بقية الناس، وأنا لك ناصح، وأنا أشير عليك أن لا ترد عمال عثمان عامك هذا، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم فإذا بايعوا لك واطمأن أمرك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت، فقال له: **والله لا أداهن في ديني، ولا أعطي الرياء في أمري**، قال: فان كنت قد أبيت فانزع من شئت واترك معاوية فإن له جرأة وهو في أهل الشام مسموع منه، ولك حجة في إثباته فقد كان عمر ولاّه الشام كلها، فقال له: **لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً**»[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧: ٣٨-٣٩. لابن أبي الحديد، الجمل: ٦٧.

(٢) الدرجات الرفيعة: ١٠٧.

وكانت مجموعة من أصحاب الإمام عليه السلام، وشيعته قد شعرت بخطر ما تنطوي عليه نفوس الأرستقراطية القرشية، ونواياها الدفينة، فاختلوا بأمير المؤمنين عليه السلام مدفوعين بدافع الحرص، والحب، والإخلاص، وكان فيهم عمار بن ياسر، وأبو الهيثم بن التّيهان، وأبو أيوب الأنصاري، وسهل بن حنيف، وغيرهم، فقالوا: «يا أمير المؤمنين، أنظر في أمرك، وعاتب قومك، هذا الحيّ من قريش فإنهم قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدك، وقد دعونا في السرّ إلى رفضك، هداك الله لرشدك! وذاك لأنّهم كرهوا الأسوة، وفقدوا الأثرة، ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا واستشاروا عدوك وعظّموه، وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة. وتألّفاً لأهل الضلالة»[1].

فلمّا قدّم أولئك الصالحون تقريرهم التفصيلي عما يدور في نفوس القرشيين، وأتباعهم، من الإصرار على نقض البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، ودعوة الناس لذلك، خصوصاً بعد إصراره على الإصلاح المالي، والعمل بقانون التسوية في العطاء، والحقوق المالية الجديد وشعورهم بخسران ما آثرهم به عمر بن الخطّاب، وعثمان بعده من إمكانات، وصلاحيات دون الناس.. خرج الإمام عليه السلام، وجمع الناس في المسجد، ثم خطبهم مكرراً إصراره على منهج الإصلاح الشامل، وبيّن مبرراته الشرعية، والواقعية، وقد جاء في ذلك الخطاب التاريخي ما يلي، - ونذكر بعضاً منه -:

**«يا معشر المهاجرين والأنصار: أتمنّون على الله ورسوله بإسلامكم، بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين.**

ثم قال: **أنا أبو الحسن** - وكان يقولها إذا غضب - ثم قال: **ألا إنّ هذه الدنيا التي أصبحتم تمنّونها وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم، ليست**

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٧: ٣٩، الجمل: ٦٨، المعيار والموازنة: ١٠٩.

**بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له؛ فلا تغرّنكم فقد حذرتكموها، واستتموا نعم الله عليكم بالصّبر لأنفسكم على طاعة الله، والذلّ لحكمه جل ثناؤه، فأمّا هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه أثرة، وقد فرغ الله من قسمته، فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا، وعهد نبينا بين أظهرنا، فمن لم يرض به فليتولّ كيف شاء، فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه»**[1].

وحين يئس النفعيون من تغيير الإمام عليه السلام لبرنامجه الإصلاحي الشامل، انتابهم الذعر، ففرّ بنو أميّة تباعاً إلى مكة المكرمة، وتبعهم من كان على رأيهم، كما فرّ ولاة الخليفة عثمان بأموال بيوت المال في ولاياتهم إلى مكة، والشام، واجتمعوا هناك عند السيدة عائشة أُم المؤمنين التي رفضت خلافة الإمام، ودعت إلى إسقاط حكمه من مكة المكرمة.

## الحزب التيمي بقيادة أُم المؤمنين

وبعد أن فشلت عمليات مساومة الإمام عليه السلام من عدة أطراف قرشية وخاب مشروع الوصوليين، والأرستقراطيين في حمل أمير المؤمنين عليه السلام على التخلي عن مشروع الإصلاح في أمة محمد صلى الله عليه وآله لصالح الإسلام الحنيف وعموم الأمة، ومستقبل أجيالها.. غادر الزبير، وطلحة إلى مكة المكرمة، بعد أن استأذنا الإمام عليه السلام لأداء العمرة، فكشف عن نيتهما بقوله لهما: **إنّهما ما يريدان العمرة، وإنما يريدان الغدرة..**[2]، فأقسما أنّهما يريدان العمرة[3]! ثم أكدا له البيعة من جديد!

---

(١) شرح نهج البلاغة٧: ٤٠، لابن أبي الحديد، الجمل: ٧٠.

(٢) الاحتجاج١: ٢٣٥، شرح نهج البلاغة١١: ٧١، رسائل المرتضى٤: ٦٦.

(٣) الاحتجاج١: ٢٣٥.

وهناك التحقا بالسيدة عائشة التي كانت تقيم في مكة، قبل أشهر، تحرض على عثمان. من خلال فتاواها الشهيرة: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»[١]، أو كما كانت تنشر قميصاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمام الناس، وتقول: هذا جلباب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يبلَ، وقد أبلى عثمان سنته[٢]! وكانت تسمية الطاغية.

وكانت عائشة تأمل أن تكون الخلافة لابن عمها طلحة بن عبيد الله، بعد عثمان، وتصر على ذلك لتعيد الحكم إلى البطن التيمي، فلما قتل عثمان في المدينة المنوّرة، كانت لا تشك أنّ الأمر يصير إلى طلحة..

وحين وردت أنباء قتل عثمان إلى مكة المكرمة، أعلنت أُم المؤمنين عائشة سرورها، وذكرت كلاماً كثيراً بشأنه، جاء فيه: «أبعده الله، ذلك بما قدمت يداه، وما الله بظلاّم للعبيد»[٣]، وأسرعت إلى المدينة تغذ السير، وفي الطريق لقيها عبيد بن أم كلاب الليثي، فقالت له: مَهْيَمْ. قال: قتلوا عثمان، ثم مكثوا ثمانياً! قالت: ثمّ صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالإجماع، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا إلى علي عليه السلام، فقالت: «والله ليت أنّ هذه انطبقت على هذه إن تمّ الأمر لصاحبك، ويحك أنظر ما تقول؟!!

قال: هو ما قلت لكِ يا أمّ المؤمنين، فولولت، فقال لها: ما شأنك يا أمّ المؤمنين!؟ والله لا أعرف بين لابتيها[٤] أحداً أولى بها منه ولا أحقّ ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته فلماذا تكرهين ولايته؟

---

(١) الطبري٣: ٤٧٧، شرح أصول الكافي٧: ٢٢٣، الجمل: ٢٤، النص والاجتهاد: ٣٩٣، المراجعات: ٣٣٤، الغدير٩: ٨١، الإمامة والسياسة١: ٧٢، ونعثل: تشبيهاً لعثمان بيهودي كان بالمدينة.

(٢) المسترشد: ٢٢٣، الصراط المستقيم٣: ٢٣٩، أحاديث أم المؤمنين عائشة١: ١٦١، شرح نهج البلاغة٣: ٩.

(٣) الغدير٩: ٨٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد٦: ٢١٦.

(٤) لابتيها: مفردها لابة، واللابة الحرة. وفي الحديث أنّ النبيّ حرم ما بين لابتي المدينة، وهما حرتان يكتنفانها. لسان العرب. ومهيم: كلمة استفهام ومن معانيها: ما وراءك؟

صاحت أمّ المؤمنين: ردّوني، ردّوني. فانصرفت إلى مكّة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبنّ بدمه! فقال لها ابن أمّ كلاب: ولِمَ؟ فوالله إنّ أوّل من أمال حرفه لأنت، فلقد كنتِ تقولين: أقتلوا نعثلاً فقد كفر، قالت: إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأوّل، فقال لها ابن أمّ كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا إنّه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ولم تنكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرأ يزيل الشبا ويقيم الصعر[1]
ويلبس للحرب أثوابها وما من وفى مثل من غدر

فانصرفت إلى مكّة فنزلت على باب المسجد فقصدت الحجر فتسرَّتْ واجتمع إليها الناس، فقالت:

يا أيّها الناس إنّ عثمان قُتِلَ مظلوماً والله لأطلبن بدمه.

وكانت تقول: يا معشر قريش إنّ عثمان قد قتل، قتله عليّ بن أبي طالب، والله لأنملة ـ أو قالت ـ ليلة من عثمان خير من عليٍّ الدهر كلّه»[2].

لقد فوجئت عائشة بأنباء بيعة الناس لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فخرجت عن طورها وارتبكت عاطفياً لأن أملها كان معقوداً على طلحة، حتى أنّها حين

---

(١) ذو تدرأ: ذو عزّ ومنعة والرجل المدافع عن حماه. الشبا: العلو. الصعر: إمالة الخدّ عن النظر إلى الناس تهاوناً وكبراً.

(٢) أحاديث أم المؤمنين عائشة١: ١٧٦-١٧٧، العلاّمة السيد مرتضى العسكري، نقلاً عن الطبري وابن الأثير وغيرهما.

سمعت بقتل عثمان كانت تقول: بعداً لنعثل، وسحقاً، إيه ذا الإصبع - وتقصد بذلك طلحة وكان مصاباً بأصبعه - إيه ابن عمّ، لله أبوك، أما أنهم وجدوا طلحة لها كفؤاً، لكأني أنظر إلى إصبعه، وهو يبايع.. حثّوا الإبل ودعدعوها-[1]، أي عجلوا المسير، وحركوا الإبل..

يالهول ما سمعت، لقد عادت أدراجها تولول، وتعلن مظلومية عثمان!

وبعد عودة عائشة إلى مكة، بدأ الخطر يحدق بالتجربة الإسلامية عامة، فقد وصل الزبير، وطلحة إلى مكة فارّين من علي عليه السلام، كما وصل بنو أمية، ورؤوس الفتنة كمروان بن الحكم، من المدينة، ويعلى بن منية عامل عثمان على اليمن، الذي هرب بأموال بيت مال المسلمين، وعبد الله بن عامر بن كريز عامل عثمان على البصرة، الذي هرب بما استطاع حمله من أموال بيت مال البصرة.

وتفيد الوثائق التاريخية إنّ معاوية بن أبي سفيان بذل كل وسعه من أجل التحريض على أمير المؤمنين، وكان ممن كاتبهم معاوية بذلك: طلحة، والزبير، ومروان وسعيد بن العاص، وابن عامر، والوليد بن عقبة، ويعلى بن أمنية، يحرضهم جميعاً على أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد جاء في كتاب معاوية إلى طلحة والزبير ما يلي: «أما بعد، فإني قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا[2] كما يستوسق الجَلب، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنّه لا شيء بعد هذين المِصْرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهر الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجدّ والتشمير، أظفر كما الله، وخذل مناوئكما!»[3]

---

(١) الغدير٩: ٨٢، شرح نهج البلاغة٦: ٢١٥.

(٢) استوسقوا: استجمعوا وانضموا. وفي نهاية ابن الأثير: «ومنه حديث أحد: استوسقوا كما يستوسق جرب الغنم، أي استجمعوا.

(٣) الغدير ١٠: ٣٢٧، شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٢٣١، نهج السعادة١: ٢٨٥.

وعلى أثر وصول كتاب معاوية إلى الزبير وطلحة غادرا المدينة إلى مكة المكرمة، للالتحاق بعائشة..

وكان أول إجراء أقدم عليه المعارضون أن عقدوا أول «مؤتمر سياسي» لهم في بيت الله، للتآمر على ولي الله، فكان مما تداولوا فيه أن يفاجؤوا الإمام عليه السلام بهجوم عسكري كاسح على المدينة، ولكن بعضهم حذرهم من أهل المدينة، لاسيّما وهم مجمعون على أمير المؤمنين عليه السلام، فقرروا السفر إلى البصرة، فانفق عبد الله بن عامر على تلك المهمة مالاً كثيراً (مليون درهم ومائة بعير)، وأعانهم يعلى بن أمية بأربعمائة ألف درهم وكراعاً، وسلاحاً، وأهدى لعائشة بعيرها (عسكر) اشتراه لها بمائتي درهم[1]...

ورغم أنّ تحريض بني أمية ودعمهم للتحرك المذكور كان واضحاً، إلاّ أن القيادة لبني تيم: عائشة وابن عمها طلحة، وزوج أختها الزبير، وابن أختها عبد الله بن الزبير، وكان أشدهم على أمير المؤمنين عليه السلام بعد خالته عبد الله بن الزبير!!

وتفيد بعض الوثائق أنّ الموقف الشديد لعائشة من الخليفة عثمان وتشنيعها عليه كان سببه مالياً حيث أنقص الخليفة من عطائها، وعطاء حفصة الذي ميزهما به عمر على غيرهما من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أما عداء أمّ المؤمنين لعليّ عليه السلام فكان تاريخياً منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتقديمه لعلي عليه السلام على سواه، كما أنّ هذه القضية تفاقمت عندما اختار الناس عليّاً عليه السلام دون طلحة، قريبها، المقرب إليها من أهلها..

ومن غير المشكوك فيه أبداً إنّ المجموعة التيمية المذكورة إضافة إلى أنصارهم هم الذين قتلوا عثمان، وألبوا عليه، باللسان، والرسائل، والأيدي،

---

(١) مروج الذهب٢: ٣٥٧ وغيره.

وكان الخليفة يئن من تلك الجماعة، ويهاجم عائشة بشدة، خصوصاً بعد أن حرضت على قتله بقولها: «لولا أنّك تصلي الخمس لنحروك كما تنحر الإبل»، فكان عثمان يقرأ عليها: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (١)(٢).

وكان عثمان يضرع إلى الله: اللّهم اكفني طلحة، فانّه حمل عليّ هؤلاء وألّبهم، وكان يدعو الله أن يسفك دم طلحة!

وطلحة هو الذي قطع الماء عن الخليفة، فكاد يقتله العطش وكان عثمان يستنجد بعليّ عليه السلام، فيدفع عنه الإمام وأبناؤه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، حتى جرح الحسن بن علي سبط النبي صلى الله عليه وآله دفاعاً عن عثمان، وشج قنبر مولى علي عليه السلام، فجاءت بنو هاشم بأجمعها تدفع عن عثمان الناس!

وكانت مفاوضات الجماهير الغاضبة مع الخليفة تجري بتوسط أمير المؤمنين عليه السلام. حتى قال: انّه خشي أن يكون مأثوماً لكثرة دفاعه عن الخليفة المحصور في داره..

لقد انطلق الحزب التيمي بقيادة عائشة أم المؤمنين، والزبير وولده عبد الله، وطلحة بن عبيد الله، وكان شعارهم المرفوع: الثأر للخليفة الذي حرضوا الناس عليه وحصروه أربعين يوماً في داره ثم قتلوه.

وعندما تحرك الحزب المعارض باتجاه البصرة صحبهم ستمائة رجل من مكة، وحاولت عائشة أن تقنع حفصة بنت عمر للمسير معها، فمنعها أخوها عبد الله بن عمر.

---

(١) التحريم: ١٠.

(٢) أحاديث أم المؤمنين عائشة: ١٦١.

وكان أول المعترضين على مسير عائشة، أم المؤمنين أم سلمة تلك المرأة الطاهرة الملتزمة بأدب رسول الله ﷺ، وتوجيهاته، فقد كتبت إلى عائشة ترجوها أن تغير رأيها وتعزف عن دخول هذه الفتنة، وأن تتذكر حدودها وموقعها من رسول الله ﷺ:

«يا عائشة! إنّك سدّة بين رسول الله ﷺ وبين أمّته، حجابك مضروب على حرمته، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه، وسكن الله عُقيراك، فلا تصحريها، الله من وراء هذه الأمة، قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد فيك عهد، بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد، ما كنت قائلة لو أنّ رسول الله ﷺ قد عارضك بأطراف الفلوات ناصّة قلوصك قعوداً من منهل إلى منهل؟! إنّ بعين الله مثواك! وعلى رسول الله ﷺ تعرضين، ولو أمرت بدخول الفردوس لاستحييت أن ألقى محمّداً هاتكة حجاباً جعله الله عليّ، فاجعليه سترك، وقاعة البيت قبرك حتى تلقيه وهو عنك راض.[1] وفي رواية بعده ـ ولو أ نّي حدّثتك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لَنَهَشْتِني نهش الحيّة الرقشاء المطرقة والسلام»[2]، ولكن عائشة أبت أن تلتفت إلى نصح الناصحين كأم مسلمة، وغيرها، وبعثت رسالة إلى أم سلمة ملأتها بمغالطات سياسية، حيث ادعت فيما ادعت: أنّها بصدد الصلح بين فئتين من المسلمين متنازعتين[3].

ولما وصل ركب أصحاب الجمل إلى غرب البصرة عوتهم الكلاب، فقالت عائشة: أي ماء هذا؟

---

(١) بلاغات النساء: ٧، لابن طيفور.

(٢) نظرات في الكتب الخالدة لحامد حفني داود: ١٥٠.

(٣) ابن طيفور، بلاغات النساء: ٨، نضرات في الكتب الخالدة لحامد حفني داود: ١٥٠، العقد الفريد ٣: ٦٩، شرح النهج ٢: ٧٩، مروج الذهب ٢: ٣٥٧ـ٣٥٨، وغيرها.

قالوا: هذا الحوأب.

فقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون إنّي لهي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول، وعنده نساؤه: ليت شعري أيّتكنّ تنبحها كلاب الحوأب؟ فعزمت على الرجوع، وأصرّت على ذلك، ولكن عبد الله بن الزبير، وكان من أقرب تلك العصابة إلى نفسها أحضر لها شهوداً أقسموا أنّ ذلك الحي ليس الحوأب[1]، ويقال: إنّ تلك الشهادة كانت أوّل شهادة زور في الإسلام! وإن كنت لا أرى أنّها كذلك فكم من شهادات زور قيلت قبلها، ولكنها بالحقيقة من أسوأ شهادات الزور في تاريخ المسلمين، حيث أزهقت آلاف النفوس البريئة بسببها، فلولا شهادة عبد الله بن الزبير، ومن حملهم على ذلك من المرتزقة، وباعة الضمير، لتوفرت فرصة تاريخية لتغيير موقف عائشة!

وعند وصول عائشة ومن معها إلى البصرة، جرت عدة حوارات معها تخطئ موقفها، وإصرارها على العدوان، وتمزيق وحدة المسلمين وتدعوها للعودة إلى دارها، ونذكر هذا الحوار الدال الموحي:

لما انتهت مسيرة عائشة وطلحة والزبير قريباً من البصرة أرسل عثمان بن حنيف. والي علي عليه السلام على البصرة مندوباً إلى القوم ليحاط علماً بما عندهم، وكان مندوبه أبا الأسود الدؤلي، فجاء أبو الأسود ودخل على عائشة، فسألها عن هدف مسيرها إلى البصرة.

«فقالت: أطلب بدم عثمان. قال: إنّه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد!

قالت: صدقت ولكنّهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة وجئت استنهض أهل البصرة لقتاله، أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم؟

---

(١) من لا يحضره الفقيه٣: ٧٥، الجمل: ١٠٨، لضامن المدني، المعيار والموازنة: ٥٦، شرح نهج البلاغة٦: ٢٢٥.

فقال لها: ما أنت من السوط والسيف؟ إنّما أنت حبيسة رسول الله ﷺ أمرك أن تقرّي في بيتك، وتتلي كتاب ربّك، وليس على النساء قتال، ولا لهنّ الطلب بالدماء، وإنّ عليّاً لأولى منك وأمسّ رحماً، فإنّهما ابنا عبد مناف. فقالت: لست بمنصرفة حتى أمضي لما قدمت إليه، أفتظنّ أبا الأسود! أنّ أحداً يقدم على قتالي؟ قال: أما والله لتقاتلنّ قتالاً أهونه الشديد. ثمّ قام فأتى الزبير، فقال: يا أبا عبد الله عهد الناس بك وأنت يوم بويع أبو بكر آخذ بقائم سيفك، تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب وأين هذا المقام من ذاك؟ فذكر له دم عثمان، قال: أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا. قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول فذهب إلى طلحة، فوجده سادراً في غيّة مصرّاً على الحرب والفتنة...»[1].

وفي البصرة استمر الحوار بين والي أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه، وعائشة، وأصحابها، وجرت حملة إعلامية واسعة من قبل المعارضين لأمير المؤمنين عليه السلام.

فقد قام الزبير وطلحة خطيبين في الناس، فقالا: «يا أهل البصرة! توبة بحوبة، إنّما أردنا أن يستعتب أمير المؤمنين عثمان، ولم نُرِد قتله، فغلب سفهاء الناس الحلماء حتى قتلوه، فقال الناس لطلحة: يا أبا محمّد! قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا، فقال الزبير: فهل جاءكم منّي كتاب في شأنه؟ ثمّ ذكر قتل عثمان وما أُتي إليه وأظهر عيب عليّ، فقام إليه رجل من عبد القيس، فقال: أيّها الرجل أنصت حتى نتكلّم فقال عبد الله بن الزبير: ومالك والكلام.

فقال العبديّ: يا معشر المهاجرين! أنتم أوّل من أجاب رسول الله ﷺ فكان لكم بذلك فضل، ثمّ دخل الناس في الإسلام كما دخلتم، فلمّا توفّي رسول الله ﷺ بايعتم رجلاً منكم، والله ما استأمرتمونا في شيء من ذلك، فرضينا واتّبعناكم، فجعل الله عزّ وجلّ للمسلمين في إمارته بركة، ثمّ مات، واستخلف عليكم

---

(١) النص والاجتهاد: ٤٣٦، الغدير ٩: ١٠٦، شرح نهج البلاغة ٦: ٢٢٦.

رجلاً منكم، فلم تشاورونا في ذلك، فرضينا وسلّمنا، فلمّا توفّي الأمير جعل الأمر إلى ستّة نفر، فاخترتم عثمان، وبايعتموه عن غير مشورة منّا، ثمّ أنكرتم من ذلك الرجل شيئاً فقتلتموه عن غير مشهورة منّا، ثمّ بايعتم عليّاً عن غير مشورة منّا، فما الذي نقمتم عليه فنقاتله؟ هل استأثر بفيء أو عمل بغير الحق أو عمل شيئاً تنكرونه فنكون معكم عليه وإلاّ فما هذا؟ فهمّوا بقتل ذلك الرجل، فقام من دونه عشيرته، فلمّا كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه، فقتلوا سبعين رجلاً»[١].

وقد ذكرت الوثائق التاريخية إنّ والي أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة عثمان بن حنيف لما عرف خطة عائشة وأصحابها، طلب منهم أن يكتبوا بينهم عهداً أن لا يلجؤوا إلى القتال، وأن ينتظروا قدوم الإمام عليه السلام، حتى يعرفوا ما تؤول إليه الأمور بعد ذلك، فلما كتبوا العهد بينهم، خذلوه بين يومين وهجموا على الوالي، وأصحابه بعد أن وضعوا سلاحهم، فنهبوا بيت المال، وقتلوا من حراسه سبعين شخصاً، غير من جرح وقتلوا خمسين منهم صبراً بعد الأسر[٢]، وأخذوا الوالي أسيراً، ونتفوا شعره، ولحيته وضربوه أربعين شوطاً، وقد أفتت عائشة بقتله، إلاّ أنّهم خافوا أخاه سهل بن حنيف الأنصاري والي علي عليه السلام على المدينة أن يقتص منهم، بالأنصار فأطلقوا سراح الوالي، فالتحق بالإمام عليه السلام، وهو في طريقه إلى البصرة.

هذا وبعد استيلاء المعارضين على بيت المال، ودار الحكومة، انتصر جماعة من عبد القيس وبكر بن وائل للوالي، وأصحابه، فهاجموا أصحاب الجمل وسالت دماء كثيرة، وقد سقطت البصرة بأيدي أصحاب الجمل بعد هذه الحادثة!

---

(١) أحاديث أمّ المؤمنين عائشة١ : ١٨٩، السيد مرتضى العسكري، تاريخ الطبري٣ : ٤٨٦.

(٢) مروج الذهب٢ : ٣٥٨.

واختلف المعارضون حول من يصلّي بهم، حتى تدافع الزبير وطلحة ساعة حتى فات وقت الصلاة، ثم اتفقوا على أن يصلي عبد الله بن الزبير فريضة، ومحمد بن طلحة فريضة، ولكنهم اختلفوا على إمامة أول صلاة، ثم اقترعا، فصلّى ابن طلحة أول صلاة[١].

وفي ذي قار التحق بأمير المؤمنين عليه السلام الآلاف من أهل الكوفة، فخطبهم وكشف لهم عن حقيقة الأحداث، حتى إذا بلغوا البصرة كان الإمام عليه السلام حريصاً على حماية أرواح المسلمين ودمائهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، رغم قتل العشرات من أصحابه، ونهب بيت المال، وتعذيب واليه على البصرة صاحب رسول الله عثمان بن حنيف!

فبعد وصوله البصرة بادر الإمام عليه السلام إلى بذل جهوده من أجل معالجة الموقف ببصيرة وهدوء، فأرسل عبد الله بن عباس إلى كل من عائشة، والزبير، وطلحة فلم يجد غير الإصرار، رغم كل ما أبداه ابن عباس من ليونة، وما قدمه من حجج دامغة[٢].

كما أرسل صعصعة بن صوحان بكتاب إليهم، يدعوهم إلى الله تعالى وإلى تعظيم حرماته، ويحذرهم من مغبة أفعالهم، فلم يجد غير التجبر، والكبرياء والإصرار على ارتكاب المنكر.. فلما عاد إلى الإمام عليه السلام، قال له: **ما وراءك يا صعصعة؟**

قال: يا أمير المؤمنين رأيت قوماً ما يريدون إلاّ قتالك!

فقال: **الله المستعان**[٣].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥: ٣٩، بترجمة محمد بن طلحة، ولدى المسعودي مثل ذلك.

(٢) لاحظ تلك الحوارات في كتاب الجمل: ٣١٤- ٣١٨.

(٣) الجمل: ١٦٧.

وبينما كان الإمام عليه السلام يبذل وسع لعلاج الموقف، وتهدئة الأمور، وإلقاء الحجة، كان المعارضون من أصحاب الجمل يقودون حملة إعلامية واسعة لتحريض الناس على حرب أمير المؤمنين عليه السلام، واتهامه بشتى التهم كقتل عثمان، وتحريض الناس عليه، وأخذ البيعة من الناس قهراً إلى ذلك...

وكانت أحاديثهم تترى، وخطبهم تتواصل، تتحدث عائشة فيليها الزبير، ثمّ طلحة، ثمّ عبد الله بن الزبير..

ولمّا رأى الإمام عليه السلام إصرارهم، ومكرهم، ضرع إلى الله عزّ وجلّ بهذا الدعاء الخاشع؛ فقد صلّى أربع ركعات، ثمّ عفر خديه بالتراب حتى خالط دمعه التراب، ثم رفع يديه بالدعاء الخاشع التالي[١]:

**«اللّهم ربّ السموات وما أظلت، والأرضين وما أقلّت، وربّ العرش العظيم، هذه البصرة أسألك من خيرها، وأعوذ بك من شرها، اللّهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين، اللّهم إن هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي، وبغوا علي، ونكثوا بيعتي، اللّهمّ أحقن دماء المسلمين»**[٢].

ثمّ أرسل لهم من يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، وهو يحمل نسخة من القرآن الكريم، فرموه فقتلوه...

ثمّ أطلقوا نبالهم على جبهة الإمام عليه السلام حتى قتلوا عدداً منهم، وأمير المؤمنين عليه السلام يوصي بالهدوء، والتحمل، والاستعانة بالله.

وقد أرسل إليهم عبد الله بن العباس بمصحف يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ فلم يجد غير العناد. والإصرار على الشر[٣]...

---

(١) مروج الذهب٢: ٣٦١.

(٢) نهج السعادة٦: ٢٩٢، الدرجات الرفيعة: ٤٠.

(٣) الجمل: ٣٣٦.

فلما لم يجد الإمام بداً من القتال خطب في الناس وحرضهم على الصبر، وقتال الناكثين بنفس مطمئنة[١].

ثم رفع يديه بالضراعة إلى الله ﷻ وقال: «**اللّهمّ إليك شخصت الأبصار وبُسطت الأيدي وأفضت القلوب وتقرّبت إليك بالأعمال ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾**[٢]»[٣].

ثمّ نادى: «**أيها الناس لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تهيجوا امرأة، ولا تمثلوا بقتيل**»[٤].

وقبل اندلاع القتال قام عمار بن ياسر بين الصفّين فقال: «أيها الناس، ما أنصفتم نبيكم حين كففتم عقائلكم في الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف»، وعائشة على جمل في هَوْدج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر، وجعلوا دونه اللبود، وقد غشي على ذلك بالدروع، فدنا عمار من موضعها، فنادى: إلى ماذا تدعين؟ قالت: إلى الطلب بدم عثمان، فقال: قاتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق»[٥].

واشتد رمي النبال على جبهة الإمام عليه السلام، فخطب في أصحابه رافعاً صوته: «**أيها الناس، إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، ولا تتبعوا موليّاً، ولا تطلبوا مدبراً، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا ستراً، ولا تقربوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كُراع أو عبد أو أمة، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله**»[٦].

---

(١) الجمل: ٣٣٦.

(٢) الأعراف: ٨٩.

(٣) الجمل: ١٨٢، نهج السعادة٦: ٢٩٥،

(٤) الجمل: ١٨٢.

(٥) مروج الذهب٢: ٣٦٢، الجمل: ١٢٨، الأنوار العلوية: ٢١٢.

(٦) مروج الذهب٢: ٣٦٢، نهج السعادة١: ٣١٤، الأنوار العلوية: ٢١٣.

وفي هذه الساعات الحرجة كان لقاء أمير المؤمنين عليه السلام بالزبير في ساحة المعركة، حيث دعاه الإمام عليه السلام حتى اعتنق كل منهما صاحبه، وجرى بينهما الحوار التالي:

قال علي عليه السلام: «**ويحك يا زبير! ما الذي أخرجك؟**

قال: دم عثمان.

قال: **قتل الله أولانا بدم عثمان، أما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله في بني بياضة وهو راكب حماره، فضحك إلي رسول الله، وضحكت إليه، وأنت معه، فقلت أنت: يا رسول الله ما يدع عليٌّ زهوه، فقال لك: ليس به زهو، أتحبه يا زبير. فقلت: إني والله لأحبه، فقال لك: إنك والله ستقاتله وأنت له ظالم.**

فقال الزبير: استغفر الله، والله لو ذكرتها ما خرجت.

فقال له: **يا زبير ارجع.**

فقال: وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان؟ هذا والله العار الذي لا يغسل.

فقال: **يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار، فرجع الزبير**»[1].

واندلع القتال بين الجبهتين رغم كل ما بذله الإمام عليه السلام من جهد لمنعه ولم يدم إلاّ يوماً واحداً حيث قتل الآلاف من الجانبين، كان جلهم من أصحاب الجمل، كما قتل الزبير، وقتل طلحة، قتله مروان بن الحكم[2] ثأراً لعثمان، لأن بني أمية كانوا لا يشكون إنّ طلحة كان وراء قتل عثمان...

وبعد توقف المعركة جرى ما يلي:

١ـ أصدر الإمام عليه السلام عفواً عاماً عن جميع الأسرى والهاربين والمشاركين في العدوان، بما فيهم مروان، وعبد الله بن الزبير.

---

(١) مروج الذهب٢: ٣٦٣، النصائح الكافية: ٤٨، الكنى والألقاب١: ٢٣٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق١٨: ٤٣٥، الاستغاثة٢: ٦٢، مجمع البحرين٣: ٥٤.

٢ـ عفا عن عائشة، وتعهد رعايتها بواسطة أخيها محمد بن أبي بكر، بأمر من أمير المؤمنين عليه السلام، وأنزلها على أشرف بيت من بيوت أهل البصرة، حيث أظهرت عائشة امتنانها لموقفه الشريف، بعد ذلك.

٣ـ أصدر الإمام عليه السلام أمراً بإعادة الأموال التي غنمت إلى أصحابها، فإن لم يكن لها أهل فللورثة، من أقربائهم.

٤ـ أرسل عائشة ومن تحب إلى المدينة معززة مكرمة، وسار معها وأولاده عليه السلام إلى خارج البصرة مودعاً وقد رافقتها مجموعة من النساء إكراماً لها، وكان معها أخوها عبد الرحمن.

٥ـ أمر بدفن القتلى، ولم يظهر شماتة بأحد منهم أبداً، وقد خاطب طلحة، وهو فوق التراب: «**لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريباً! أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب! أدركت وتري من بني عبد مناف، وأفلتتني أعيان بني جُمح. لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا**»[1].

ولا بأس هنا من ذكر بعض الوثائق التاريخية الخاصة بنهاية الحرب، وما أصدر الإمام عليه السلام من قرارات، وما اتخذه من مواقف إنسانية عالية «**ثمّ نادى منادي عليّ ألاّ يجهز على جريح، ولا يتبع مولٍّ، ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. ثمّ أمّن الأسود والأحمر.**

وفي كنز العمال جاء ما يلي: **ولا يستحلّن فرج ولا مال، وانظروا ما حضر به الحرب من آنية فاقبضوه، وما كان سوى ذلك فهو لورثته، ولا يطلبنّ عبد خارجاً من العسكر وما كان من دابّة أو سلاح فهو لكم، وليس لكم أُمُّ ولد، والمواريث على فرائض الله، وأيّ امرأة قتل زوجها فلتعتدّ أربعة أشهر وعشراً.**

---

(١) نهج البلاغة٢: ٢٠٣.

قالوا : يا أمير المؤمنين! تحلُّ لنا دماؤهم ولا تحلُّ لنا نساؤهم؟

فقال : **كذلك السيرة في أهل القبلة، فخاصموه.**

قال : **فهاتوا سهامكم وأقرعوا على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم**، فعرفوا وقالوا : نستغفر الله، فخصمهم عليّ.

وقال عليّ يوم الجمل : **نمنّ عليهم بشهادة أن لا إله إلاّ الله ونورّث الأبناء من الآباء**»[١].

## نتائج المعركة

لقد انتهت معركة الجمل، التي أخذت اسمها التاريخي من جمل عائشة الذي كانت تركبه، وتحرض الناس من فوقه على علي أمير المؤمنين عليه السلام، فكانت نداءاتها كالنار في الهشيم، وقد قتل المئات دفاعاً عن جملها، بسبب كونها زوجة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...

وقد تركت هذه الحرب آثاراً عميقة في تاريخ المسلمين لن تنتهي حتى قيام الساعة، ويمكننا أن نذكر من نتائج تلك الحرب ما يلي :

١ـ إنّ هذه المعركة التي اندلعت في جمادى الآخرة عام ٣٦هـ، وما صحبها من تحضير، وما أعقبها من آثار قد كانت السبب في كل ما جرى بعدها من آلام كحرب صفين وحرب النهروان، وظهور الخوارج، وانتصار الطلقاء، واستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ إنّ معركة الجمل تسببت في إرساء قواعد الدولة الأموية التي كان معاوية يهيئ الأسباب لقيامها في بلاد الشام ولو لا (الجمل) لكان بوسع

---

(١) أحاديث أمّ المؤمنين عائشة ١ : ٢٤٤، عن أسانيده.

علي عليه السلام أن يتفرغ لتلك الفتنة الأموية، فإنّ التاريخ يحدثنا أنّ الإمام علي عليه السلام كان من أولوياته أنّ يفاجئ معاوية بهجوم كاسح لينهي ذلك الوجود التحريفي في بلاد الشام، ولكن أصحاب الجمل حالوا بين علي عليه السلام وبين تحقيق ذلك الأمل التاريخي الكبير.. ولذا فإن معاوية كان يحرض أصحاب الجمل وغيرهم على إشغال الإمام عليه السلام لكي ينهك قوته شيئاً فشيئاً..

٣ـ لقد خسر الإسلام، والمسلمون، والإنسانية جمعاء أخصب فرصة في حياتها من أجل أن ترى النور، والهدى، والعدل، والكرامة من خلال التجربة الإنسانية العظيمة التي يباشر الإمام عليه السلام قيادتها، وضاعت عليها أجل الفرص، وأعظم الظروف من أجل أن ترى الحق مجسداً في دنيا الواقع..

٤ـ لقد تسببت معركة الجمل في تمزيق وحدة المسلمين، وجرّأت بعضهم على قتل بعض بشكل صريح ولبّست عليهم الحق وأضاعت طريق الهدى على أكثرهم.

٥ـ كان المعركة انتكاسة في تاريخ الإنسان، حيث عادت الرأسمالية الجاهلية، والاستعباد تحكم مسيرة المسلمين من خلال الحكم الأموي المنحرف عن حقائق التنزيل.

هذا ولا ننسى أنّ علياً عليه السلام قد أوضح للأمة، والأجيال القادمة كيف يجب أن يتعامل الحاكم مع معارضيه، وأموالهم، وأعراضهم وأنفسهم..

٢ـ الحزب الأموي، وكارثة صفين: يعتبر البيت الأموي، من أكثر البيوت العربية تحجراً في وجه الرسالة الإسلامية، وقد ظل هذا البيت المتحجر، يقاوم الإسلام باللسان، والسنان، منذ أن شع نوره في مكة المكرمة وظل يتعقبه بالعدوان، دعوة، ورسالة، ودولة...

وقد انحنى أبو سفيان، ومعاوية، وهند، واضرابهم لتيار الإسلام بعد أن غمر الجزيرة العربية يوم فتح الله مكة للمسلمين، في رمضان من عام ٨ هـ، حيث دخلوا الإسلام مع من دخل من الطلقاء على دخل في القلب، وسوء طوية.

والمؤرخون يتحدثون فيما بقى من وثائق تاريخية أن أبا سفيان حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وآله إعلان الشهادتين، نطق بأولاهما واعترض على الثانية، قائلاً:[١] «إن في النفس منها شيئاً»[٢] وقد ظل بنو أمية غير منسجمين مع روح الإسلام، ولم ينصهروا في قيمه ومبادئه أبداً، حتى إنّ أبا سفيان نفسه ظل يعلن كفره بالإسلام ورسوله إلى آخر حياته، كلما أمن من العقاب فبعد بيعة الخليفة. عثمان بالخلافة، دخل أبو سفيان على عثمان، فقال: يا معشر بني أمية! إنّ الخلافة صارت في تيم، وعدي، حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم، فتلقفوها بينكم تلقف الصبي الكرة، فوالله! ما من جنة، ولا نار، فصاح به عثمان: قم عني، فعل الله بك، وفعل[٣].

أما معاوية بن أبي سفيان، فهو على سر أبيه، فقد تلفظ بالشهادتين ضمن من تشهد بها تحت ظلال السيوف بعد الفتح، ودخل في إطار الجماعة المسلمة ضمن الطلقاء، وكان من المؤلفة قلوبهم...

ومعاوية هو الذي لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأباه، وأخاه يوم الأحزاب، وهو الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليه أن لا يشبع الله تعالى بطنه، حتى إنّ معاوية كان يأكل حتى يكل فلا يشبع، وكان يأكل في اليوم مراراً، ويقول: ألحقتني دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ٢: ٢٤٥، ابن الأثير، ط بيروت، ١٩٦٥م.

(٢) الغدير٣: ٢٥٣، مجمع الزوائد٦: ١٦٦، تاريخ مدينة دمشق٢٣: ٤٥١، تاريخ الطبري٢: ٣٣٢.

(٣) الأغاني٦: ٣٥٥-٣٥٦، الاستيعاب: ٦٩٠، للمقريزي، ط النجف.

(٤) صحيح مسلم٨: ٢٧، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وآله، أنساب الأشراف١: ٥٣٢، مسند الطيالسي: حديث ٢٧٤٦، شرح اللمعة٧: ٣٦٦،

ومعاوية هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ، وفي عمرو بن العاص: «**إذا رأيتموهما اجتمعا، ففرقوا بينهما، فإنّهما لا يجتمعان على خير أبداً**»، وهما اللذان قال فيهما رسول الله ﷺ: «**اللّهم اركسهما في الفتنة ركساً، ودعهما إلى النار دعّاً**»[١].

وتشير الوثائق التاريخية أنّ معاوية ظل يشرب الخمر جهاراً أيام أمارته في الشام، وأيام خلافته كذلك، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد الله بن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية، فأجلسنا على الفرش، ثم أتينا بالطعام، فأكلنا، ثم أتينا بالشراب، فشرب معاوية، ثم ناول أبي، فقال أبي: ما شربته منذ حرّمه رسول الله ﷺ[٢].

وكانت أحمال الخمر ترد إلى معاوية بشكل مكشوف، حتى إنّ الصحابي عبادة بن الصامت أخذ شفرة، ولم يترك راوية خمر إلاّ وفرقها أمام الناس[٣]، وقد تكررت مشاهدة أحمال الخمر من صحابة آخرين كعبد الله بن سهل بن زيد الأنصاري، فاستنكر تلك الحالة، ودعا إلى إنكارها، ثم فرق الروايا برمحه..

لقد فقد هذا البيت بعض مواقعه بعد فتح مكة المكرمة لسنتين أو ثلاث، ثمّ عاد يتسلق الهرم في التجربة الإسلامية، بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وقد توفرت له أفضل الفرص حين عهد الخليفة أبو بكر بولاية ما فتح من أقاليم بلاد الشام إلى يزيد بن أبي سفيان، وبعد وفاته بالطاعون عهدت ولاية الشام كلها إلى أخيه معاوية بن أبي سفيان، وذلك من قبل عمر!

---

(١) مناقب أمير المؤمنين٢: ٣١٣، شرح الاخبار٢: ١٦٥، المراجعات: ١٧٩، الغدير١٠: ١٤٠، المعجم الكبير١١: ٣٢، القول المسند في مسند أحمد: ٦٠.

(٢) مسند أحمد٥: ٣٤٧، وأنظر تاريخ مدينة دمشق٢٧: ١٢٧، الغدير١٠: ١٧٩.

(٣) تهذيب ابن عساكر٧: ٢١١-٢١٢.

ومنذ الأيام الأولى لولايته في الشام عمد معاوية إلى إرساء قواعد دولة المستقبل لبني أميّة في أهم البلدان المفتوحة، وأكثرها غنىً...

ولقد كيّف معاوية الإسلام في تلك البقاع حسب مقتضيات حضارة الروم البيزنطيين التي كانت قائمة في ذلك الإقليم الغني...

فقد كان الغساسنة ومن إليهم من قبائل العرب قد عاشوا دهراً طويلاً تحت الحكم القيصري الذي أنتج مركباً حضارياً من المسيحية المحرفة والوثنية، في العبادة، والأخلاق العامة، والحكم، والسياسة، والنشاط الاقتصادي وما إلى ذلك...

وكان ذلك المجتمع مستقراً بدرجة عالية، ولم يستطع الفتح الإسلامي أن يحدث تغييراً جذرياً في مجتمع بلاد الشام، لأن مواقع التوجيه، والحكم، والثقافة وما إلى ذلك تولاّها رمز الطلقاء معاوية بن أبي سفيان ومن إليه، وكان يحول بين الصحابة الهادفين للتغيير في ذلك المجتمع، وبين أهدافهم، حيث طارد عبادة بن الصامت، وعبد الرحمن بن سهل بن زيد الأنصاري، وأبا ذر الغفاري، الذين بذلوا محاولات لتبصير الناس بحقائق الإسلام، وهديه..

لقد وفرت الخلافة الإسلامية منذ عهد عمر بن الخطّاب كافة الفرص لقيام دولة أموية في بلاد الشام، بدماء المسلمين، وجهودهم، على النمط القيصري، واستثمر معاوية الإمكانات الهائلة التي تتمتع بها بلاد الشام لإرساء قواعد تلك الدولة. وتكريس نظام أموي يخلط بين المظاهر الإسلامية، والموروث الجاهلي. كما كان المجتمع البيزنطي الرومي تماماً، وحيث أنّ الحكم الإسلامي كان يعتمد نظام الولايات الذي يشبه الحالة الكونفدرالية من بعض الوجوه. و الكومنولث، فإنّ الولايات كان بمقدورها أن تنظم شؤونها بعيداً عن تأثير مركز الدولة في العاصمة، وقد بلغ أن بعض الولايات كادت تستقل عن سياسة

الدولة العامة، وتوجهاتها، ولم يبق من علاقتها بالحكم المركزي إلاّ الاعتراف بالخليفة كرمز عام للدولة، علاوة على تقديم نسبة من المال من خلال ما يجمعه الوالي من خراج الولاية أو زكاتها أو مصادرها المالية الأخرى كالغنائم أو الجزية، وكان في كل ولاية جيشها، وبيت مالها، وجباة مالها، وشرطتها، وما إلى ذلك.

إنّ هذه الحالة الإدارية التي كانت تحكم الدولة الإسلامية شجعت الولاة الطموحين على تكوين كيان سياسي، وإداري خاص بهم، أو بأحزابهم، أو عشائرهم، أو مذاهبهم الفقهية..

لقد نجح معاوية نجاحاً منقطع النظير في جعل بلاد الشام إقليماً مغلقاً لمصالحه، وثقافته الخاصة، ورؤاه الانفصالية الخطيرة، حتى استطاع بعبقرية ودهاء فريد أن يصوغ الناس في الشام وفقاً لما يريد ويغلق أمامهم أي تأثير ثقافي، أو سياسي آخر.

ولعمق الآثار الثقافية التي تركها معاوية والحزب الأموي في الشام نذكر نموذجين:

- بعد سقوط الدولة الأموية، وقيام دولة بني العباس، جيء بجمع من شيوخ الشام، فأدخلوا على أول خليفة عباسي هو أبو العباس السفاح، فأقسموا له أنهم ما علموا لرسول الله ﷺ من أهل بيت إلاّ بني أمية[1].

- إنّ معاوية كان يروج على لسان المرتزقة في بلاد الشام أن رسول الله ﷺ كان يقول: أمناء أمتي على الوحي ثلاثة: رسول الله ﷺ، وجبريل، ومعاوية[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء٦: ٧٩.

(٢) شيخ المضيرة أبو هريرة الدوسي: ٢٣٠، الغدير٥: ٣٠٦، الموضوعات٢: ١٧.

وبناء على نجاح تلك المهمة الحضارية التي أنجزها معاوية في إقليم الشام، فقد كان حريصاً أن يباشر أوصياؤه من بعده الحفاظ على ذلك الإنجاز الخطير، فقد أوصى معاوية ولده يزيد قبل موته بما يلي: «يا بني! أوصيك بوصية، فأنت بخير مادمت على حفظها، أوصيك بأهل الشام، فإنّهم منك، وأنت منهم، فمن قدم عليك منهم، فأكرمه، ومن غاب فاطلع على خبره، فإذا دهمك عدو فسرْ بهم، فإذا ظفرت، فردهم إلى بلدهم، فإذا أقاموا في غير أوطانهم، تخلقوا بغير أخلاقهم»[١].

ولقد كان أكثر الخلفاء مسؤولية أمام التاريخ بسبب ما فعله معاوية عمر بن الخطّاب، ثمّ عثمان، فإن الخليفة عمر حين زار بلاد الشام استقبله معاوية بزي ملوك الروم، وأبهتهم، فلم يكترث عمر كثيراً لما رآه من معاوية، ولم يحاسبه على تجاوزاته كما كان يفعل مع ولاته الآخرين، ويقتص منهم بأقل من ذلك بكثير. لقد تلقاه معاوية بموكب عظيم، فقال له عمر: أنت صاحب هذا الموكب العظيم؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين!

قال: مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك؟

قال: مع ما يبلغك من ذلك.

قال: ولِمَ تفعل هذا؟

قال معاوية: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثير، فيجب أن نظهر عز السلطان ما نرهبه[٢].

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية: ١٢، العقدة القرشية: ٤٣-٤٤، للمؤلف، نقلاً عن مقتل أبي مخنف قدس سره.

(٢) ترجمة معاوية في الاستيعاب١: ٢٥٣، لابن عبد البر، الإصابة٣: ٤١٣، تاريخ مدينة دمشق٥٩: ١١٢، سير أعلام النبلاء٣: ١٣٣، البداية والنهاية٨: ١٣٣.

وكان معاوية يرفل بالنعيم، ويلبس الديباج، ويطول وقوف المحتاجين ببابه ولكنه مع كل ذلك لم يحاسبه الخليفة عمر، كما كان يحاسب ولاته، ويشاطرهم أموالهم دون السماح لهم بالدفاع عن مصادر تلك الأموال!

لقد وفّر الخليفة عمر لواليه معاوية من الإمكانات، والفرص، ما لم يوفر جزء يسيراً منها لأي من ولاته، أو عماله على الأمصار أبداً، وقد ضل هذا الموضوع سراً لم يجد الكثيرون جواباً له حتى ذهبت بهم الظنون هنا، وهناك، فهل من المعقول أنّ الخليفة عمر، وهو حاذق، وشديد على الولاة، ومحاسب عنيد لهم أن تقنعه حكاية معاوية أنّ أرضه فيها جواسيس للعدو، فلابدّ أن يتظاهر بالقوة، والانتفاخ، ليرهب العدو، مع انّه هو ذاته سماه: كسرى العرب، بسبب غطرسته، وإنفاقه، وترفه وأبهة ملكه!!

إنّ تلك الشجرة الملعونة في القرآن[1]، قد حظيت بالخصب، والرواء لتستطيل في ذلك الإقليم، وتؤسس دولة المنافقين، والمنحرفين عن الإسلام، بثوب إسلامي فضفاض، ورحم الله علي بن أبي طالب عليه السلام حين يصف هذه الطغمة الأموية المنافقة بهذه الكلمات التي تغور في قلب الحقيقة: «.. **ما أسلموا، ولكن استسلموا، وأسروا الكفر، فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه**»[2]، تأكيداً لمفهوم القرآن الكريم عن هذه الجماعة الخبيثة، الغارقة في الجاهلية، والرجعية، والردة.

لقد تفتحت أبواب المستقبل على مصاريعها لتلك الجماعة، عندما تولى عثمان بن عفان خلافة المسلمين، حيث وسع من ملك معاوية في بلاد الشام

---

(١) أنظر تفسير قوله تعالى: ﴿..وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ من سورة الإسراء، آية ٦٠، وأنّ المراد بها بنو أميّة.

(٢) نهج البلاغة٣: ١٦، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ٢: ٣٥٦، شرح الاخبار٢: ١٥٧، نهج السعادة٢: ١٤٨.

ووفر له كل الصلاحيات، وأطلق يده في ذلك الإقليم الغني، الواسع فانطلق معاوية ذلك الإنسان الداهية الطموح على سجيته، لا يردعه رادع، ولا يحول بينه. وبين تحقيق أهدافه أحد، بميكافيلية موغلة في المكر، والدهاء، واستعمال كل الأساليب المتاحة لتحقيق الأهداف الفئوية الخبيثة، فلا قيمة عند معاوية لقيم، وأخلاق، وفضائل إلاّ بقدر ما كانت توفر الخدمة لأهدافه، ولذا فانّه رغم زندقته ـ كما يرى المعتزلة ـ وعدم إيمانه بالإسلام، والرسول صلى الله عليه وآله، كان يتظاهر عند الحاجة بالتديّن، والتقوى في مجتمع يفقد المقاييس الصحيحة، وتعميه المادة، وتضلله بريق الدنانير، ومع توفر تلك الإمكانات لمعاوية، أسدى الخليفة عثمان لعشيرته بني أمية كل خدمة لتمكينهم في بلاد المسلمين، حيث سخرت الدولة بكل إمكاناتها العظيمة لقيام دولة بني أمية الكبرى، حتى إنّ بعض المؤرخين بقدر ما يعتقدون أنّ مروان ومعاوية كانا لهما النصيب الأوفر في عملية قتل عثمان، الأول بمكائده، وإغارة صدور الناس عليه، والثاني بتخلفه عن نصرته، حين طلب منه النصرة، حيث أرسل جيشاً لنصرة الخليفة، من الشام بقيادة يزيد القسري، ولكنه أمره أن يبقى خارج المدينة، يراقب الوضع عن كثب، وليس من حقه أن يتدخل لحماية الخليفة، فقد جاء في وصيته لذلك الجيش: «إذا أتيت ذا خُشب ـ منطقة خارج المدينة ـ فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فإنني أنا الشاهد وأنت الغائب. (وقيل) إنّه صنع هذا عمداً ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه»[1].

أقول... بقدر ما يحمّل بعض المؤرخين ـ وقبلهم صحابة وعلماء ـ معاوية ومروان، المسؤولية في قتل عثمان، فانّ البعض من الباحثين يحملون بني أمية

---

(١) تاريخ المدينة٤: ١٢٨٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد١٦: ١٥٤، الغدير٩: ١٥٠.

مسؤولية قتل عمر بن الخطّاب نفسه كذلك بواسطة (عبد) للمغيرة بن شعبة، الثقفي، وكان المغيرة من ندماء معاوية ومقرباً من بني أمية، وهو ليس بعيداً عن تأثيرات المصالح الأموية، وخططهم..

إنّ هذه الاعتقادات تؤكد أنّ بني أمية، كانوا وراء تصفية الخليفتين بطريقة ذكية لكي تتوفر الأرضية لهم للتصدي لحكم المسلمين، وإقامة الحكم الأموي على أطلال حكم الخلافة، وهكذا كان لهم ما أرادوا...

ولقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام الحزب الأموي، وصفاً، دقيقاً، نتحسس من خلاله، الخطر الحضاري الذي يحمله ذلك الحزب على حاضر الأمة ومستقبلها، بما نفذوه من مشاريع، وما تبنوه من مكائد، وخطط ماكرة... يقول أمير المؤمنين عليه السلام حول حقيقة تلك الحركة الجاهلية المرتدة ما يلي: **«إنّ الفتن إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت نبّهت، ينكرن مقبلات، ويعرفن مدبرات، يحمن حوم الرياح، يصبن بلداً ويخطئن بلداً، ألا وانّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنّها فتنة عمياء مظلمة: عمت خطّتها، وخصّت بليّتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها. وأيم الله لتجدنّ بني أمية لكم أرباب سوء بعدي، كالناب الضروس: تعذم بفيها، وتخبط بيدها، وتزبن برجلها، وتمنع درّها، لايزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلاّ نافعاً لهم، أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ كانتصار العبد من ربّه، والصاحب من مستصحبه، ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية، وقِطعاً جاهلية، ليس فيها منارُ هدىً، ولا علم يرى.**

**نحن أهل البيت منها بمنجاة، ولسنا فيها بدعاة، ثم يفرّجها الله عنكم كتفريج الأديم، بمن يسومهم خسفاً، ويسوقهم عنفاً، ويسقيهم بكأس مصبّرة لا يعطيهم إلاّ السيف، ولا يحلسهم إلاّ الخوف، فعند ذلك تود قريش - بالدنيا**

**وما فيها ـ لو يروننني مقاماً واحداً، ولو قدر جزر جزور، لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطونيه!»**[١]

لقد جاءت الخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام، والحزب الأموي قد تمكن من هذه الأمة، وامتدّ في وجودها، وأصبح أقوى التيارات المؤثرة فيها فكراً، وعملاً، وخططاً، وذلك لعدة مقومات توفرت له:

١ـ توفر كادر منظم قوي، لدى هذه الحركة مثل: مروان، ومعاوية والوليد، وأمثالهم.

٢ـ امتدادات اجتماعية، وسياسية لذلك الحزب في الأمة، وقواها العشائرية، والسياسية، والعلمية كالمحدثين، والرواة، والشعراء، والقادة، والولاة، والقضاة.

٣ـ إمكانات مالية هائلة وفرها لهم ولاة عثمان الذين سرقوا أموال بيت مال المسلمين، وثروة بلاد الشام التي يتحكم فيها معاوية منذ بداية عهد عمر بن الخطّاب...

٤ـ خطط سياسية طموحة تعتمد المكر، والدهاء، ولا تتقيد بأخلاق ولا فضيلة، ولا تعرف حدوداً غير تحقيق المصلحة لهذه الفئة..

فبعد قتل عثمان مباشرة فرّت رؤوس الحزب الأموي إلى مكة أو الشام، لتكون حرة في الحركة، والتخطيط، وجمع الأنصار، لمواجهة الحركة الإصلاحية الكبرى التي يقودها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، خصوصاً بعد أن رفض الإمام عليه السلام فكرة إقرار ولاة عثمان في مواقعهم ـ كما ارتأى المغيرة بن شعبة وآخرون ـ.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧: ٤٤.

وقد يحلو للبعض أن يرى أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يحتاج إلى المداراة شيئاً ما فيقر أولئك الولاة في مواقعهم، كمعاوية والوليد، وعبد الله بن عامر وغيرهم، ولكن ذلك الأمر غير ممكن أبداً لا من الناحية المبدئية، ولا من الناحية السياسية..

١- فمبدئية علي عليه السلام، وتمسكه بقيم الإسلام الحنيف لا تعطي مجالاً لذلك، خصوصاً وأن أولئك الولاة كانوا من المنحرفين أخلاقياً ودينياً الذين كان منهم الخمّار، والمنحرف أخلاقياً، والسارق لحقوق الناس وما إلى ذلك.

٢- إنّ أولئك الولاة كانوا من أسباب نقمة الجماهير على عثمان، لسوء أدبهم، وسوء إدارتهم، وتصرفهم الحرام بأموال المسلمين، فكيف يمكن أن يقرهم أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي أصحر للناس انّه لا يطلب النصر بالجور أبداً ولا يطلب الحكم بالظلم، ولا يبتغي الخلافة بالانحراف عن الحق قيد أنملة.

٣- إنّ إقرار أولئك الولاة في مناصبهم حتى إذا كان لفترة محدودة سيتحمل الإمام عليه السلام وزرها، لأن أي ظلم، واعتداء، وسوء أدب يظهر منهم، سيكون الإمام عليه السلام مسؤولاً عنه أمام الله عز وجل، وعموم الأمة..

٤- إنّ المشروع الإصلاحي المنقذ الذي بشر به الإمام عليه السلام منذ يومه الأول يتطلب رجالاً صالحين، فكراً، وعملاً كعثمان بن حنيف، وسهل بن حنيف وعبد الله بن العباس، وعمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وهاشم المرقال، وأمثالهم، وليس من الطبيعي أن يناط تنفيذ مشروع الإصلاح الكبير بنماذج هابطة منافقة أرستقراطية، لا يهمها مصالح الإسلام، والإنسان من أمثال معاوية، ومروان، والحارث بن الحكم، وغيرهم من الوصوليين الساقطين، المعادين للإسلام والإنسان!

إنّ افتراض بعض المؤرخين أنّ المداراة بإمكانها أن تعطي علياً عليه السلام فرصاً أرحب لإرساء قواعده دولته، افتراض في غير محله، لأن المداراة لا تبقي لأمير المؤمنين عليه السلام ميزة على سواه، فيغيب صوته تحت ركام الانحراف بينما كان همّه أن يميز قيم الإسلام عن سواها، وينفض التراب عن التشريع الإلهي الذي اختص الله تعالى به العباد على يد الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، فكفر به الظالمون، وحجبوه عن الناس...

إنّ المداراة في ظروف كظروف الإمام عليه السلام غير متيسرة أبداً، ولا تحقق الأهداف المرجوة لوزير النبوة، وهارون أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وليس أمامه إلاّ الصراحة والأصحار بالحق دون مواربة، لكي لا يختلط هدى الله تعالى، بافتراءات المبطلين، أعداء الإسلام، والإنسان... وهكذا كان...

وهكذا كانت خطط علي عليه السلام الإدارية، والاقتصادية، والسياسية، صريحة، واضحة، لا شائبة فيها...

وهكذا دعا الإمام عليه السلام معاوية إلى بيعته خليفة للمسلمين، أسوة بالمسلمين، وقد اعتمد أمير المؤمنين عليه السلام على دعامتين:

أ ـ إنّ الذين بايعوا الإمام عليه السلام هم الذين بايعوا أبا بكر وعمراً وعثمان من قبل، فالتزم معاوية ببيعتهم، وهم المهاجرون والأنصار المقيمون في المدينة المنوّرة. وكانت بيعة الإمام عليه السلام أوسع بيعة شهدها المسلمون كما نعلم، حيث شاركت الأمة في المدينة، إضافة لجماهير الأمصار الذين حضروا الأحداث التي ألمت بالعاصمة في الأيام الأخيرة من عهد عثمان...

وهذا اللون من البيعة يعد أحد أعمدة دستور المسلمين الذي اعتمدوه منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فصار عرفاً سياسياً لديهم طوال ربع قرن، حتى اختيار أمير المؤمنين علي عليه السلام[1]..

---

(١) انظر كتاب الإمام علي عليه السلام إلى معاوية بهذا الخصوص نهج البلاغة ص٣٦٦ باب الكتب.

بـ - إنه، من غير الصحيح أن يظل أحد أقاليم الدولة الإسلامية خارجاً عن سلطة الدولة المركزية التي يقودها أمير المؤمنين عليه السلام فلابدّ أن يلتحق ذلك الإقليم (الشام) بالخارطة السياسية للدولة الإسلامية الكبرى، فذلك الإقليم ليس ملكاً لمعاوية أو حزبه أبداً، وإنّما هو ملك لجماهير المسلمين..

وبعد انتصار أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل، أرسل إلى معاوية جرير بن عبد الله البجلي يطلب منه البيعة، فأجابه معاوية: إذا وهب له الإمام بلاد الشام ومصر جباية، وجعل له الخلافة بعد وفاته، فإنّه يبايعه!!

فكتب الإمام عليه السلام إلى جرير: «**لم يكن الله ليراني أتخذ المضلين عضداً، فإن بايعك الرجل - معاوية - وإلاّ فأقبل**»[1].

ثمّ إنّ معاوية أخذ البيعة من أهل الشام بالطلب بدم عثمان، وجهز جيشاً لقتال أمير المؤمنين عليه السلام فالتقت الجيوش في صفين عند نهر الفرات في شهر ذي الحجة الحرام سنة ٣٦هـ...

وكانت قوات معاوية التي تقدرها بعض المصادر بثلاثمائة ألف مقاتل قد احتلت شاطيء الفرات، قبل وصول جيش الإمام عليه السلام بأيام، وقد اتخذ معاوية قراراً بمنع أمير المؤمنين عليه السلام وقواته من شرب الماء، ورغم أنّ الإمام عليه السلام طلب لأصحابه ماء فإنّ معاوية أصر على أن يستعمل (حرب المياه): «ولا قطرة حتى يموتوا عطشاً» فحرك أمير المؤمنين عليه السلام فرقة من جيشه، فهزمت جيش القاسطين واحتلت شريعة النهر، فارتوى جيش الإمام عليه السلام، إلاّ أن أمير المؤمنين عليه السلام أصدر قراره التاريخي أن يكون الماء لكلا الفريقين، وليس من مبادئ علي عليه السلام أن يكون الماء وسيلة لقتل الناس، وكسب الحرب، فأعظم بعلي من محارب نبيل، وأكرم به من ذي قلب كبير...

---

(١) شرح نهج البلاغة٣ : ٨٤، وقعة صفين: ٥٢، الإمامة والسياسة١ : ٨٦.

ومنذ تلك الساعات بذل الإمام عليه السلام مساعيه الإنسانية، للحيلولة دون إهراق دماء المسلمين، فاتبع الأساليب الكريمة التالية:

- أرسل وفداً إلى معاوية، يدعوه إلى الله تعالى، وصيانة وحدة الأمة والدخول في إجماع الأمة: «**اذهبوا إلى هذا الرجل - معاوية - وادعوه إلى الله عز وجل، وإلى الطاعة، والجماعة، لعل الله تعالى أن يهديه، ويلتئم شمل هذه الأمة**»[١]، فأجاب معاوية بغطرسة، وبغي: «ليس عندي إلاّ السيف»[٢].

- أرسل الإمام عليه السلام إلى معاوية: أن يحصر القتال بين الإمام عليه السلام ومعاوية فحسب حماية لأرواح الناس: «**يا معاوية! علامَ يقتتل الناس؟ أبرز إليّ ودع الناس، فيكون الأمر لمن غلب**»[٣].

- حاول الإمام عليه السلام أن يحصر الحرب في حدود المبارزات الفردية المحدودة حين بدأ معاوية بالهجوم، ولكن الطاغية، أصرّ على توسعة الحرب، فاندلعت طوال أسبوعين بشكل رهيب..

فلما شعر معاوية بالهزيمة، حتى فكر بالفرار، تباحث مع عمرو بن العاص، فدبروا أمر رفع المصاحف، فرفعت جيوشه خمسمائة مصحف على الرماح، ودعوا جبهة الإمام عليه السلام إلى التحكيم، وإيقاف الحرب.

ورغم إنّ الإمام عليه السلام حاول أن يقنع جيشه أنّ رفع المصاحف (خدعة) ما رفعت إلاّ خوف الهزيمة، التي باتت مؤكدة إلاّ أن مجموعة كبيرة من جبهة الإمام عليه السلام أصرت على ضرورة إيقاف الحرب والقبول بالتحكيم.

وجاءت المرحلة التالية من تكريس المأساة حين أصرّ الكثيرون من جيش الإمام عليه السلام على أن يمثلهم في التحكيم أبو موسى الأشعري رغم إنّه كان معتزلاً

---

(١) الفصول المهمة: ٨٧، ابن الصباغ المالكي.

(٢) الفصول المهمة: ٨٧، ابن الصباغ المالكي، مواقف الشيعة٢: ١٥٨.

(٣) الفصول المهمة: ٩٠، ابن الصباغ المالكي، الإمامة والسياسة.

للإمام، ولم يكن مقتنعاً بجدارة أمير المؤمنين عليه السلام بإدارة الدولة بعد عثمان، بل كان يخذل الناس عن نصرته، حتى عزله الإمام عن ولاية الكوفة..

وكان من رغبة أمير المؤمنين عليه السلام أن يكون ممثله في التحكيم عبد الله بن العباس دون الأشعري: «**قد عصيتموني في أول الأمر - قبول التحكيم وإيقاف الحرب - فلا تعصوني الآن، لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة**[1]، **فإنّه يضعف عن عمرو، ومكائده**»[2]، إلاّ أن الغوغاء أصرت على أبي موسى الأشعري، الذي يمتاز بضعف الرأي، وسوء التدبير، خصوصاً، وانّه قبالة شخص ماكر لا يرعوي عن الخداع، والحيلة، والافتراء هو عمرو بن العاص!

ومنذ الساعات الأولى للقاءات التي تمت بين الطرفين، كان عمرو بن العاص يخادعه، فقد عرض عليه هدية إن هو حكم لصالح معاوية، فلم يستطع كسبه بذلك!

ثمّ عرض عليه أن يخلعا عليّاً ومعاوية، ثم يجعلان الخلافة شورى بين المسلمين!! فرضي أبو موسى بذلك، وعدَّه رأياً حصيفاً! ثم طلب منه ابن العاص أن يتقدّم بالحديث فيخلع الإمام عليه السلام ومعاوية وليبدأ هو لأنه أكبر سناً!! فقبل أبو موسى وخلع معاوية وأمير المؤمنين عليه السلام أمام الحاضرين! ثمّ تكلّم ابن العاص وأكد: انّه يخلع عليّاً أيضاً، ويثبت معاوية خليفة، للمسلمين! وحينئذ شعر أبو موسى بالخدعة، ووقع بينهما النزاع، وضرب أحدهما الآخر بالسوط وتسابا وحال الناس بينهما[3]، فانسحب الطرفان، وقد فشل التحكيم، حيث قرر أمير المؤمنين عليه السلام استئناف الحرب على البغاة، بعد تلك الخديعة التاريخية التي انطلت على الأغبياء والسذج!

---

(١) تاريخ الطبري٤: ٣٦.

(٢) ابن الصباغ المالكي: ٩٦، مصدر سابق.

(٣) ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٥-٢٥٦.

٣ـ انشقاق الخوارج ومشكلة المارقين: اضطر أمير المؤمنين عليه السلام تحت ضغط لافتة المصاحف وانخداع غالبية أصحابه بالتحكيم أن يوقف الحرب التي كادت أن تحسم الموقف لصالح الإسلام، والأمة...

وبعد أن كتبت مذكرة الهدنة بين الطرفين، وحدد موعد اجتماع الحكمين في دومة الجندل، شعرت أعداد من جبهة الإمام عليه السلام بالخطأ، والحسرة، من الاستجابة لمشروع التحكيم، وبدؤوا يتحدثون عن خسائرهم التي لم تؤدِ إلى الانتصار، فيلوم بعضهم بعضاً، وهم يقولون: كيف نحكّم الرجال بكتاب الله، ورفعوا شعار: لا حكم إلاّ لله! ثمّ طالبوا أمير المؤمنين عليه السلام باستئناف الحرب، وألحّوا عليه في ذلك، ووقع ما توقع معاوية بأن رفع المصاحف ستؤدي ـ على الأقل ـ إلى اختلاف جبهة الإمام عليه السلام وتمزقها، إذا لم تنهِ الحرب!

ولكن الإمام عليه السلام رفض استئناف الحرب، فالعهد مبدأ إسلامي أخلاقي أصيل لا يجوز الافتئات عليه، وليس في قاموس علي عليه السلام خداع، ولا مكر، ولا تراجع عن مبدأ ثابت في كتاب الله تعالى...

وبعد إبرام العهد ليس من حق أحد أن ينقضه إلاّ أن تقع متغيرات تلغي شرعية ذلك العهد، وتنسف مقوماته، كأن يخون الطرف الآخر، ويجاهر بالتآمر، والتجاوز، كما فعل معاوية بعد التحكيم مباشرة وهجومه على الآمنين الوادعين من مواطني الدولة الإسلامية، وتجريد السيوف فيهم حيث شاع الهلع في مختلف الأقاليم بسبب تلك الغارات كما حدث في اليمن، والأنبار وغيرها حيث جرت عمليات إبادة جماعية على أيدي المغيرين من جند معاوية! إضافة إلى إعلان معاوية نفسه خليفة على المسلمين!!

فقد جاء أمير المؤمنين عليه السلام جماعة من الرافضين لصحيفة العهد والتحكيم، ورفعوا أصواتهم: «لا نرضى بأن يحكّم الرجال في دين الله. إن الله قد أمضى

حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا تحت حكمنا عليهم، وقد كنّا زللنا وأخطأنا حين رضينا بالحكمين، وقد بان لنا زللنا وخطؤنا فرجعنا إلى الله وتبنا، فارجع أنت يا عليّ كما رجعنا، وتب إلى الله كما تبنا، وإلاّ برئنا منك. فقال عليّ عليه السلام: **ويحكم! أبعد الرّضا والميثاق والعهد نرجع! أليس الله تعالى قد قال: ﴿أَوْفُوا بِالعُقُودِ﴾**[1]، وقال: **﴿وأَوْفوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيمانَ بعدَ تَوكيدِها وَقَد جَعلتُمُ اللهَ عَليكُم كَفيلاً﴾**[2]! فأبى عليّ أن يرجع، وأبت الخوارج إلاّ تضليل التحكيم والطعن فيه»[3].

وجاء محمد بن جريش إلى الإمام عليه السلام، وقال: «يا أمير المؤمنين، أما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل! فوالله إني لأخاف أن يورث ذلاً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **أبعد أن كتبناه ننقضه! إنّ هذا لا يحل**»[4].

لقد أصر أولئك الغافلون على هواهم، وأعلنوا كفر الإمام عليه السلام إن لم يتبْ من قبوله بالتحكيم، ويشهد على نفسه بالكفر!!

وبعد عودة الإمام عليه السلام بجيوشه إلى الكوفة، انفصل عنه أولئك المعترضون على الصلح، وكانوا من مواطني الكوفة، والبصرة، وجاهروا بأفكارهم تلك فكفروا عموم المسلمين ممن لم يندمج بخطهم الفكري والسياسي، حيث كفروا أهل الجمل، ومعاوية، وأصحابه، وعلياً، وجبهته وعثمان وغيره، وهكذا ظهرت فكرة (التكفير)، ومفهوم (القتل) لكل مخالف في رأي فقهي خاص أو عام، ومنذ ذلك التاريخ ظهر مفهوم تكفير (أصحاب الكبائر) من المسلمين...

---

(١) المائدة: ١.

(٢) النحل: ٩١.

(٣) شرح النهج ٢: ٣٣٨، بحار الانوار ٣٢: ٥٤٥، ينابيع المودة ٢: ٢٠.

(٤) وقعة صفين: ٥١٩، نصر بن مزاحم، شرح النهج ٢: ٣٣٨-٣٣٩، نهج السعادة ٢: ٢٧٩.

وتعاظم خطر أولئك حتى بدؤوا بتنفيذ مبادئهم في الواقع العملي، حيث قطعوا الطرق، فقتلوا الأبرياء، وولغوا في دماء المؤمنين.. وكانت أفكار هؤلاء تشبه أفكار الأحزاب السياسية المراهقة التي ظهرت في بلدان كثيرة من عالمنا الحديث، كما تتماثل شعاراتهم مع شعاراتهم تماماً...

فرغم أن فيهم من يسمون بقراء المصر، وذوي الجباه السود من كثرة العبادة إلاّ أن تلك التلاوة، وتلك العبادة السطحية، والتلاوة المسطحة لا توفر فرصاً للوعي العميق ولا فهم روح الإسلام، وحقائق الواقع، ومسيرة الأحداث، فالعبادة، أو التلاوة المسطحة لا تخلق المؤمنين الواعين للحق، العارفين بزمانهم أبداً...

وإذا كان العقد الرابع الهجري قد شهد هذا اللون من الثقافة المراهقة التي تتشبث بالقشور، ولا تفهم حقائق الدين، ولا روحه، فإن العالم الإسلامي في عصرنا الحاضر لا يزال يعج بهذا النمط من الأغبياء السطحيين الذين يحملون راية التحجر، والتخلف، والبعد عن روح الإسلام الحنيف. إنّ عالمنا اليوم لا يزال يشهد أفراداً، وجماعات، هنا، وهناك لا يرون إلاّ أنفسهم، ومفاهيمهم البائسة، يقيسون على ضوئها المسلمين. ولا تزال شعارات (التكفير) للمسلمين يرفعها أولئك المتنطعون الذين يعيشون خارج العصر، هنا، وهناك، فيمزقوا صفوف المؤمنين، ويعوقوا مسيرة خلاصهم، على هدي الخوارج المحكّمة. وعلى نمط فهمهم للإسلام، والحياة...

كان أمير المؤمنين عليه السلام قد عزم على استئناف الحرب ضد معاوية بن أبي سفيان ـ بعد نقض معاوية للعهد كما ذكرنا ـ حيث أعاد تنظيم جيشه لهذا الغرض ونزل الأنبار، ثم أصدر بياناً، يحرض فيه أصحابه على الجهاد في سبيل الإسلام، وخلاص الإنسان، ومما جاء في بيانه ما يلي:

**«سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار قُدماً، فإنهم طالما سعوا في إطفاء نور الله، وحرضوا على قتال رسول الله ﷺ ومن معه، ألا أن رسول الله أمرني بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا إليهم، والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم، والمارقين ولم نلقهم بد، فسيروا إلى القاسطين، فهم أهم علينا من الخوارج، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس أرباباً ويتخذون عباد الله خوَلاً وما لهم دولاً»**[1].

وبينما كان الإمام عليه السلام يستعد للمواجهة كانت أخبار تمرد الخوارج تقلق المقاتلين، خوفاً على عوائلهم، وأبنائهم، وأموالهم التي استحلها أولئك المارقون! فاشتدت مطالبة جيش الإمام عليه السلام بالتوجه إلى الخوارج أولاً قبل مواجهة معاوية، وأصحابه.

وكانت مليشيات الخوارج بقيادة عبد الله بن وهب الراسبي، قد قطعوا الطرق، وأرهبوا الناس، وأخافوهم، خصوصاً بعد أن ذبحوا عبد الله بن الخبّاب عامل الإمام عليه السلام على المدائن، وبقروا بطن زوجه، وقتلوا نساء أخريات، فتناهت أنباء ذلك إلى المدن القريبة والنواحي..

وعندما أصرّ أصحاب الإمام عليه السلام على قتال الخوارج أولاً، لبى أمير المؤمنين عليه السلام دعوتهم، فاتجه إلى النهروان، وهناك بعث إليهم أحد أصحابه: الحارث بن مرة العبدي رسولاً للحوار معهم، فلم يستمعوا إلى ما يريد، وقتلوه، وازدادوا تنمراً حين بعثوا للإمام: «إن تبت من حكومتك، وشهدت على نفسك بالكفر بايعناك»[2].

وكان الإمام عليه السلام حتى تلك الساعة حريصاً على حقن الدماء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً... فدعاهم إلى تسليم قتلة المؤمنين، كعبد الله بن خباب، والحارث

---

(١) مروج الذهب٢ : ٤٠٤، نهج السعادة٢ : ٣٦٦، النصائح الكافية : ٤٦.

(٢) مروج الذهب٢ : ٤٠٥.

العبدي، وغيرهم، ليقتلوا بهم، فقالوا كلّنا قتلة لأصحابك، وكلّنا مستحل لدمائهم، مشتركون في قتلهم[١]. وواصل الإمام عليه السلام دعوتهم للتوبة والرجوع عن أفكارهم الخاطئة، وبعث إليهم قيس بن سعد بن عبادة الصحابي المعروف، فحذرهم، ووعظهم، وكشف عن خطئهم في تكفير المسلمين، وسفك دمائهم[٢].

ثمّ أرسل إليهم الصحابي أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فدعاهم إلى الوعي، والبصيرة والتعقل، ثم رفع راية ونادى: «من جاء هذه الراية - ممن لم يسفك الدماء - فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة أو المدائن، فهو آمن، لا حاجة لنا به بعد أن نصيب قتلة إخواننا»[٣].

وقد نجح أبو أيوب الأنصاري في مهمته تلك حيث تفرق أصحابهم، وانخفض عددهم من اثني عشر ألفاً إلى أربعة آلاف شخص..

ثمّ باشروا الهجوم على أصحاب الإمام عليه السلام، وأمير المؤمنين عليه السلام يدعو جيشه للكف عنهم، حتى إذا قتلوا أحد جنوده، أمر بالهجوم الكاسح عليهم، حيث طوقتهم قوات الإمام عليه السلام، وأبادتهم جميعاً دون تسعة منهم، ولم يقتل من جند أمير المؤمنين عليه السلام غير عشرة... وهكذا انتهت فتنة حزب المارقين، الذين سبق لرسول الله صلى الله عليه وآله أن حذر أمته منهم، ومن أفكارهم المنحرفة، فعن أبي سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **«إن قوماً يخرجون، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»**[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الفصول المهمة: ١٠٩.

(٣) أعيان الشيعة٣: ٢٠، السيد محسن الأمين، الفصول المهمة: ١١٠، تاريخ الطبري٦: ٦٤، جواهر المطالب في مناقب آل ابن الدمشقي٢: ٧٥، الأنوار العلوية: ٢٥٨.

(٤) نيل الأوطار نقلا عن عامر بن سعيد٧: ٣٤٨، صحيح البخاري٨: ٥٢، النهاية في غريب الحديث٤: ٣٢٠، الأنوار العلوية: ٢٥٨.

ي نهاية المعركة قسم أمير المؤمنين عليه السلام السلاح، والدواب على المسلمين، المتاع والعبيد، والإماء إلى ذويهم، كما فعل في حرب الجمل، وهو حكم لقبلة، الذين حكم به الإسلام الحنيف على لسان أمير المؤمنين عليه السلام.

ذه صورة مقتضبة عن أحزاب المعارضة التي واجهت أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام، أيام حكمه، ومفاهيمها السياسية، ومواقفها، أما العناصر خاص الذين عارضوا الإمام عليه السلام، ولم يكونوا ضمن كتل سياسية محددة، كرنا بعضهم في إطار أبحاث كتابنا هذا ...

## القسم الثالث


• لائحة حقوق المعارضة عند أمير المؤمنين

• حقوق المعارضة في نهج الإمام

• من حواره السياسي مع طلحة والزبير

• من حواره السياسي مع الخوارج

• أهل البيت نموذج المعارضة المبدئية

• مصالح المسلمين تتحكم في طريقة عمل المعارضة

• الملاحق

• مصادر الكتاب

# لائحة حقوق المعارضة عند أمير المؤمنين

يعتقد الأستاذ جورج جرداق أن أحداً من مفكري الشرق لم يسبق علي بن أبي طالب عليه السلام في تصوره لحقوق الإنسان، فهو أول إنسان حمل هذه المبادئ، وأجراها في حياة الناس...

وكلمات الأستاذ جرداق صحيحة بالنسبة لمفكري الشرق ومفكري الغرب على حد سواء. حيث أنّ حقوق الإنسان لم تعرف في أوروبا إلاّ بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م...

وحديث جرداق ينطلق من نظرته لتاريخ الفكر البشري، الوضعي، ولم يضع في حسابه تاريخ النبوات ـ فيما يبدو ـ وما قدمت للإنسانية من فكر إنساني حضاري رفيع..

فما يراه من طرح إنساني متميز عند علي عليه السلام كان في الحقيقة ترجمة لما حمله للعالم رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعكساً له على صفحة الواقع الإنساني. وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وزير النبوة، ووصي الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، وترجمان الرسالة الإلهية الخاتمة..

وحيث لم تتوفر الظروف الموضوعية، ليضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التفصيلات الكاملة لبعض أسرار الرسالة، فإن تلك الظروف قد توفرت لأمير المؤمنين عليه السلام، ليبشر بما بشر به من حقائق التنزيل، وكانت قضية حقوق الإنسان إحدى هذه الحقائق الحضارية الكبرى...

إن فلسفة (الإمامة) و(الوصية) التي يعتقد بها أتباع أهل البيت عليهم السلام تستبطن هذا المعنى في بعض جوانبها، وهي التي يعبّر عنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، فالمنذر رسول الله صلى الله عليه وآله، والهادي لحقائق التنزيل، والكاشف عن غوامضه: علي بن أي طالب، وأولاده عليهم الصّلاة والسّلام[1].

والمتتبع لسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يجد فيما يجد الكثير من الحقائق، والقيم، والأسرار الحضارية، والإنسانية التي تثير الحياة، وتبني المستقبل البشري، وتحقق السعادة، وتوفر العدل، والتوازن بشكل لا نظير له..

ويهمنا هنا أن نعرض اللائحة القانونية لحقوق المعارضة الدينية، والسياسية التي بشَّر بها أمير المؤمنين عليه السلام، وأجراها عملياً في دنيا الواقع ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

## الديباجة: قوام حقوق الناس

**«.. وأشعر قلبك الرّحمة للرعيّة، والمحبّة لهم، واللّطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدّين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزّلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاّك! وقد استكفاك أمرهم، وابتلاك بهم. ولا تنصبنّ نفسك لحرب الله فإنّه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته. ولا تندمنّ على عفو، ولا تبجحنّ بعقوبة، ولا تسرعنّ إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن: إنّي**

---

(١) دلائل الصدق للشيخ المظفر٢: ٩٣-٩٦، نقلاً عن مصادره: الحاكم في المستدرك وأبي نعيم وابن مردويه وابن عساكر وغيرهم.

مؤمّر آمر فأطاع، فإنّ ذلك إدغال في القلب، ومنهكة للدّين، وتقرّب من الغِيَر. وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أُبّهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم مُلك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكفّ عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك!

إيّاك ومساماة الله في عظمته، والتّشبّه به في جبروته، فإنّ الله يذلّ كلّ جبّار، ويهين كلّ مختال.

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصّة أهلك، ومن لك فيه هوىً من رعيّتك، فإنّك إلاّ تفعل تظلم! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجّته، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظّالمين بالمرصاد»[1].

## مفاهيم الديباجة

تشتمل هذه الديباجة الحضارية الرائعة ـ التي يعرض من خلالها أمير المؤمنين علي عليه السلام جوهر حقوق الإنسان، وروحه ـ على جملة حقائق، وقيم إنسانية:

١ـ إنّ الرحمة، والمحبة عند الإمام عليه السلام أساس العلاقات بين الناس في المجتمع المسلم بغض النظر عن الاختلاف القومي والديني، والسياسي، بينهم، وإن الحاكم لا ينظر للأمة التي يرعاها إلاّ من خلال الرحمة، والمحبة لهم جميعاً، ويحكّم هذه النظرة إليهم في الحقوق، والواجبات معاً.

---

(١) نهج البلاغة٣: ٨٤، كتابه إلى الأشتر النخعي، تحف العقول: ١٢٦.

٢ـ إنّ صفة الإنسانية هي التي تفرض تلك المحبة والعدل واللطف بالناس جميعاً، فالرحمة تشمل هؤلاء الناس بسبب كونهم بشراً ولا تفضيل لأحد على أحد أمام القانون لأي اعتبار معنوي أو مادي.

٣ـ الحاكم مسؤول عن إقامة العدل بين الناس جميعاً، وإشاعة المعروف والتعامل معهم على أساس المساواة باعتبارهم نظراءه في الخلق أو أخوته في الدين..

٤ـ العفو والصفح أساس الحكم الإسلامي العادل، وليس إيقاع العقوبة وإقامة الحدود إلاّ عند الضرورة وفي حدود ضيقة محدودة، فالمجتمع الإسلامي مجتمع العفو والصفح، والتسامح، والحاكم مسؤول عن إشاعة العفو، والصفح بين الناس بحجم حاجته إلى عفو الله، وصفحه.

٥ـ الحكم، والإدارة مسؤولية أمام الله عز وجل من أجل خدمة الناس، وإشاعة المعروف. وليس أداة للإكراه، والإرهاب، والتعالي على الناس بسبب عامل القدرة، والسلطة التي أتيحت للحاكم.

٦ـ الأنصاف والعدل أساس الحكم الإسلامي الصالح، وليس أفتك بالمجتمعات، والدول من شيوع الظلم، والاضطهاد «**أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوىً من رعيتك، فإنّك إلاّ تفعل تظلم..**»، «**ليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم..**».

٧ـ غلق الأبواب التي تهب منها رياح الحقد بين الناس، مما يساهم في تعكير أجواء السلام. والحب بكل الوسائل «**أطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر..**»[١].

---

(١) نهج البلاغة٣ : ٨٧. مستدرك الوسائل١٢ : ١٦٢.

إنّ هذه المفردات، والمحاور تشكل روح الحضارة الإسلامية، وأساس المجتمع الإسلامي وقوامه الذي خطط النبي، وأوصياؤه ﷺ لأقامته في الأرض.

## حقوق المعارضة في نهج الإمام

تتفاوت حقوق المعارضة السياسية في نهج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بين حالة السلم، وحالة البغي وإعلان الحرب، إذ تختلف تلك الحقوق في الأحوال الطبيعية عنها في أيام الصراع العسكري بين الحكومة الشرعية، والبغاة عليها من المعارضين لها من ناحية الأبعاد، والغايات. ويشكل البيان الرسمي التالي الإطار العام لسياسة أمير المؤمنين عليه السلام والخطاب السياسي الذي يتعامل في إطاره مع المعارضة.

قال له ابن رفاعة بن رافع، وهو في طريقه من الربذة إلى البصرة: «يا أمير المؤمنين أيّ شيء تريد وأين تذهب بنا؟ فقال: **أمّا الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منّا وأجابونا إليه**. قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال: **نَدَعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر**. قال: فإن لم يرضوا؟ قال: **نَدَعهم ما تركونا**. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: **امتنعنا منهم**. قال: فنعم إذاً. وقام الحجّاج بن غزية الأنصاري فقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول؛ وقال:

**دراكها دراكها قبل الفوت فانفر بنا واسمُ بنا نحو الصّوت**

**وألت نفسي إن كرهت الموت**[1]

وتتضح الصورة بشكل دقيق من خلال المحاور الآتية:

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل: ١٣٦، تاريخ الطبري٣: ٤٩٥.

## ١. الباب الأول: المعارضة في ظروف السلم، والأوضاع الطبيعية

من ذلك عرض الحقوق القانونية للمعارضة في الوضع الطبيعي، الذي لا تحمل فيه المعارضة السياسية السلاح في وجه السلطة الشرعية، ولا تتسبب في إشاعة الهلع وإسالة الدماء، وتهديد الكيان المركزي للمسلمين.

ففي حالة السلم هذه يقنن الإمام القائد علي بن أبي طالب عليه السلام جملة من الحقوق الإنسانية الرفيعة للمعارضين السياسيين، اعترافاً منه بإنسانيتهم وإقراراً للتعددية في المجتمع واحتراماً للرأي الآخر وإن كان خاطئاً...

«.. ولا تكوننّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»[1] ـ إلاّ أنه يخالفك في الرأي، والموقف ـ.

ويمكننا أن نجد في التراث الحضاري لأمير المؤمنين عليه السلام، هذه المنظومة النابضة بالحياة من الحقوق السياسية، والمدنية، والاقتصادية، التي أرسى قواعدها للناس جميعاً ولمعارضيه السياسيين كذلك.

١ـ الناس في ظل المجتمع الإسلامي آمنون على أنفسهم، وأعراضهم، وأموالهم، لا يهددهم أحد، ولا جهة، ولا يخيفهم قرار أو قانون، أو سلطة...

ففي دستور مصر الذي كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى واليه عليها مالك الأشتر، جاءت هذه الضوابط القانونية لحفظ أرواح الناس، ودمائهم: «**إياك، والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنّه ليس شيء أدنى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة، وانقطاع مدّة، من سفك الدّماء بغير حقّها. والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة؛ فلا تقوّينّ سلطانك**

---

(١) نهج البلاغة٣: ٨٤.

**بسفك دم حرام، فإنّ ذلك ممّا يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله. ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن»**[١].

وحين اقترح عليه بعض أصحابه بتصفية رؤوس الخوارج، بعد أن تعاظم خطرهم. أجابه بوضوح لا غبار عليه: «**لقد كان ينبغي لك أن تعلم أني لا أقتل من لم يقاتلني، ولم يظهر لي عداوة، وكان ينبغي لك، لو أنني أردت قتلهما، أن تقول: اتّق الله، بمَ تستحل قتلهما، ولم يقتلا أحداً، ولم ينابذاك، ولم يخرجا عن طاعتك**»[٢].

وحق الأمن في مجتمع أمير المؤمنين عليه السلام لا يخص المسلمين فحسب، وإنما يشمل جميع الناس: من أخ في الدين أو نظير في الخلق..

وقد خص أصحاب الأديان الأخرى في شمولهم بهذا الأمن العام في وصيته الأخيرة: «**الله، الله في ذمة نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم**»[٣].

إنّ هذه الضوابط الصارمة التي يرسخها أمير المؤمنين عليه السلام في المجتمع الإنساني من أجل حماية أرواح الناس، وحفظها، إنما تعكس روح القرآن الكريم، في مشروعه لإشاعة الأمن في حياة الناس وتوفير السلام في المجتمع، وجعله أصلاً في المجتمع البشري وما سواه استثناء، طارئ، يقول الله عز وجل:

**﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾**[٤].

---

(١) نهج البلاغة٣: ١٠٧، مستدرك الوسائل١٣: ١٧١،

(٢) الغارات١: ٣٧٢، شرح نهج البلاغة٣: ١٤٨، وقادة الخوارج هما عبد الله بن وهب الراسبي وزيد بن حصين.

(٣) مجمع الزوائد٩: ١٤٣، تاريخ الطبري٤: ١١٣، البداية والنهاية٧: ٣٦٣.

(٤) المائدة: ٣٢.

ومن ظواهر الإصرار العلوي على إشاعة الأمن، والسلام بين الناس، إلزام السلطة في المجتمع الإسلامي، على سد أية ذريعة لخرق جدار الأمن، وإشاعة العنف، وتعكير الصفو، فإن السلطة في مبادئ أمير المؤمنين عليه السلام مسؤولة عن جبر أهل القتيل عن طريق دفع ديته إلى أهله، إذا قتلته السلطة خطأ، أياً كان سبب ذلك الخطأ.

يقول الإمام عليه السلام بهذا الصدد ما يلي: «**وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة؛ فإنّ في الوكزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حقّهم**»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «**قضى أمير المؤمنين عليه السلام: أن ما أخطأت القضاة في دم، أو قطع، فعلى بيت مال المسلمين**»[2].

وقطعاً لدابر الخوف، والتوجس في حياة الناس، وإشعاراً للناس بحرمة الدماء، والأنفس شرع الإمام عليه السلام في مجتمعه قانوناً يقضي بفداء قتلى الحوادث الطارئة ـ ممن لم يحدد مسببو قتلهم ـ من بيت مال المسلمين.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قضى أمير المؤمنين عليه السلام في رجل وجده مقتولاً لا يُدرى من قتله، قال: إن كان عرف وكان له أولياء يطلبون ديته أعطوا ديته من بيت مال المسلمين ولا يبطل دم امرئ مسلم لأنّ ميراثه للإمام عليه السلام فكذلك تكون ديته على الإمام ويصلّون عليه ويدفنونه، قال: وقضى في رجل زحمه الناس يوم الجمعة في زحام الناس فمات إنّ ديته من بيت مال المسلمين**»[3].

---

(١) نهج البلاغة٣: ١٠٨، وسائل الشيعة٢٩: ٥٥، مستدرك الوسائل١٣: ١٧١.

(٢) الكافي٧: ٣٥٤ (باب المقتول لا يدرى من قتله)، مجمع الفائدة١٢: ٧، من لا يحضره الفقيه٣: ٧، تهذيب الاحكام٦: ٣١٥.

(٣) الكافي٧: ٣٥٤، حديث ١، مجمع الفائدة١٤: ٨٨، تهذيب الاحكام١٠: ٢٠٢، وسائل الشيعة٢٩: ١٤٥.

وشرع الإمام عليه السلام قانوناً يقضي بما يلي: «**من مات في زحام الناس يوم الجمعة، أو يوم عرفة، أو على جسر، لا يعلمون من قتله، فديته من بيت المال**»(١).

فهل عرفت دساتير الأمم مثل هذا الإجراء حتى هذا اليوم؟

وحول حرمة أموال الناس عموماً، يضع الإمام عليه السلام هذه الضابطة القانونية ذات البعد الإنساني الرفيع: «**ولا تمسنّ مال أحد من الناس، مصل، ولا معاهد ...**»(٢).

ولدور الناس وبيوتهم حرمة في القانون الإسلامي؛ فلا يدخلها أحد من غير أهلها الشرعيين إلاّ بإذن من أصحابها، ولا يجوز التجسس على الناس، وهم في دورهم، ولا التسوّر عليهم.. فهم آمنون في دورهم، ومساكنهم، ﴿**وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**﴾(٣)، ﴿**وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾(٤)، ﴿**لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا**﴾(٥).

ويصدر أمير المؤمنين عليه السلام قراراً بخصوص حرمة المساكن، والدور جاء فيه ما يلي: «**ولا تروعنّ مسلماً، ولا تجتازنّ عليه كارهاً... فإذا قدمت على الحي، فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثمّ امضي إليهم بالسكينة والوقار..**»(٦).

---

(١) الكافي٧: ٣٥٥، حديث ٤، مجمع الفائدة١٤: ١٨٧، من لا يحضره الفقيه٤: ١٦٥.

(٢) شرح نهج البلاغة١٧: ١٩، نص٥١. المصلي: المسلم. والمعاهد: مصطلح سياسي للمواطنين من أصحاب الأديان الأخرى..

(٣) الحجرات: ١٢.

(٤) البقرة: ١٨٩.

(٥) النور: ٢٧.

(٦) نهج البلاغة٣: ٢٣، كتاب لمن يستعمله على جباية الصدقات، وسائل الشيعة٩: ١٣٣.

إنّ هذه التشريعات الإنسانية العالية ليست وقفاً على أمة من الناس دون أخرى، أو جماعة، دون أخرى، وإنّما هي لكل الناس مهما اختلفوا في أذواقهم السياسية أو العقائدية أو القومية.. فلا استثناء لأحد كائناً من كان!

## ٢. الحرية الدينية

منذ الأيام الأولى لهجرة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة المنوّرة اتضحت حدود الحرية الدينية بالنسبة للمسلمين، وغيرهم في إطار المجتمع الذي يقيمه الإسلام الحنيف..

**﴿تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾**[1]، **﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾**[2].

ولعل صحيفة المدينة المنوّرة التي كتبها رسول الله صلى الله عليه وآله بين الأنصار والمهاجرين، واليهود وغيرهم، تشكل أول دستور وضعه الإسلام لإقامة حياة مدنية تتكافأ فيها الفرص بين الناس وتحفظ فيها حريات جميع الناس، حسب أذواقهم وقناعاتهم، ولولا خيانة اليهود لاستمرت تلك الصيغة القانونية تؤطر حياة ذلك المجتمع، وتحدد مسيرة الحياة في تلك الدولة النموذجية..

وفي التجربة العلوية، أصرّ أمير المؤمنين علي عليه السلام على إقرار الحرية الدينية في مجتمعه، كسائر الحريات، حيث وفر لغير المسلمين من شروط الحرية الدينية، ومستلزماتها ما وفره للمسلمين بمختلف مشاربهم.

---

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

فالمتمتعون بحق المواطنة رسمياً عند عليعليه السلام نوعان: أما أخ في الدين أو نظير في الخلق، وكلاهما يحفظ له القانون الإسلامي، والدولة، والمجتمع الإسلامي حرياته الدينية، كما شاء الله ربّ العالمين في كتابه العزيز...

وها هو أمير المؤمنينعليه السلام يمتلىء قلبه الكبير أسىً على أعراض أهل الذمة وأموالهم كما يمتلئ أسىً على المسلمين، سواء بسواء، فعندما بلغه هجوم فرقة بربرية من جيش معاوية على المسلمين وأهل الذمة من مواطني دولته، أطلق هذه الكلمات الصريحة الغيورة على الإنسان المظلوم الممتهن:

**«ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورُعثها، ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام. ثمّ انصرفوا وافرين ما نال رجلاً منهم كلمٌ، ولا أُريق لهم دم، فلو أنّ امرئ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً»**[1].

ورغم أنّ (الخوارج) جاؤوا بمفاهيم دينية، وسياسية خاطئة فارقوا فيها جماعة المسلمين، إلاّ أن عليعليه السلام أصر على احترام حريتهم الدينية، فلم ينفعل من أخطائهم، وتجاوزهم حيث أصدر البيان الرسمي التالي: **«إنّ لكم عندنا ثلاثاً: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا و...»**[2].

ومع هذا الإقرار بالحرية الدينية، والمذهبية فهذه الجماعة المنشقة، كان يلتمس لهم العذر أمام الناس، ليحقن دماءهم عبر الأجيال، والسنين، فيصدر

---

(١) نهج البلاغة١: ٦٩، الغدير٩: ٣١٠، الكافي٥: ٥،

(٢) الكامل٣: ٣٣٥، مستدرك الوسائل١١: ٦٥، شرح الاخبار٢: ٩، المهذب١: ٣٢٢، مناقب أمير المؤمنين٢: ٣٤١، دعائم الاسلام١: ٣٩٣.

التوجيه التالي للمسلمين: «**لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق، فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه**»[١].

فالخوارج - عند الإمام عليه السلام - حركة سياسية طلبت الحق، فلم تصبه، خلافاً، للتيار الأموي الذي قاده معاوية، حيث طلب الباطل أساساً فأدركه، وشتان بين الاتجاهين...

فالإمام عليه السلام لم تدفعه العاطفة الجياشة أن يصف الخوارج بالردة، ولا يرجو التصفية المستمرة لوجودهم لأنهم حاربوه وناصبوه العداء، وإنما وضع الحق في نصابه، ورسم للأجيال حقيقة هذه الجماعة، رغم انحرافها عن نهجه المستقيم...

أنّ المرء المسلم ليتمزق ألماً حين يجد هذا النفس العلوي الحضاري الرفيع يتخطاه المسلمون حتى في عصرهم الحاضر، فيكفر بعضهم بعضاً بل ويقتل بعضهم بعضاً، لمجرد اختلافات فقهية أو سياسية، أو في طريقة العمل الاجتماعي للإسلام الحنيف.

لقد كانت تجربة خلق القرآن، والجبر والتفويض، وأمثالها وصراعات المسلمين أيام العصر السلجوقي وما سببت من دماء، ودموع بين المسلمين، أمثلة صارخة على التخلف الحضاري في دنيا المسلمين...

ولا تزال هذه النغمة المتخلفة من التكفير، والتفسيق من أسوأ الظواهر في حياة المسلمين..

إنّ تشريعات أمير المؤمنين عليه السلام، وتوجيهاته التي ذكرنا بعضها حول حق المعتقد الديني تشكل الأساس القانوني، والفكري لحياة إسلامية أصيلة وعصرية متطورة... ولا يحتاج المسلمون اليوم إلاّ العودة إلى أصولهم الحضارية

---

(١) شرح نهج البلاغة٥: ٧٨، جواهر الكلام٢١: ٣٣٣.

التي بشر بها رسول الله ﷺ، وأجراها علي أمير المؤمنين عليه السلام في واقع حياة الناس..!

### ٣. الحرية السياسية

تشمل الحرية السياسية في اللائحة القانونية التي وفرها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للتجربة الإسلامية في مجتمع آمن، ومتطور، تحفظ فيه الحقوق، والحريات.. تشمل الحرية السياسية لدى الإمام عليه السلام جملة جوانب، وحقوق يتمتع بها الأفراد، والجماعات في ظل التجربة الإسلامية:

**أ ـ حق اختيار الحاكم الأعلى في التجربة الإسلامية:** من أبرز مظاهر الحرية السياسية عند الإمام علي عليه السلام منح الأفراد حق اختيار القائد الأعلى للتجربة الإسلامية، ويتضح هذا الحق في تجربة الإمام عليه السلام عملياً في موقفه ممن امتنع عن بيعته عندما أجمعت عليه الجماهير طواعية، بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفّان، مما لم تشهد له مدينة رسول الله ﷺ مثيلاً منذ وفاة الرسول ﷺ...

ورغم هذا الإجماع تخلفت بعض العناصر عن بيعته، بحجة، وأخرى منهم سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وحسان بن ثابت، وصهيب، وزيد بن ثابت ومسلمة بن مخلد، ونفر يسير، ومن هؤلاء من كان قد أغدق عليه عثمان، فكان هواه مع بني أمية، مثل زيد بن ثابت الذي كان ولاّه عثمان بيت المال، فحين عرضت البيعة على سعد بن أبي وقاص ـ مثلاً ـ اعتذر عن البيعة، فقبل الإمام عليه السلام عذره واعتذر عبد الله بن عمر عن البيعة، وقال: حتى يبايع الناس، فطلبوا منه كفيلاً فقال الإمام: **دعوه أنا كفيله!**[1]

---

(١) الكامل٣: ١٩١.

أقول: رغم إجماع الأمة على الإمام عليه السلام، وبيعته تخلف أولئك النفر عن بيعته جهاراً، فلم يحملهم عليها حملاً، ولم يقطع عنهم عطاء ولم يصادر لهم مالاً، خلافاً لما فعله من سبقه من الخلفاء بالنسبة لمعارضيهم.

وقد جاء في بياناته الرسمية حول هذا الموقف ما يلي: «**وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون**»[١]، «**من بايعني قبلته، ومن أبى تركته**»[٢]، «**وقد أذنتُ لك أن تكون من أمرك على ما بدا لك**»[٣].

إنّ هذا الموقف العلوي يعكس حرص الإمام عليه السلام على الحرية السياسية للناس، وحق اختيارهم لمن يتولى قيادة الأمة..

**بـ ـ حق التعبير والنقد السياسي**: ومن مظاهر الحرية السياسية في التجربة الإسلامية: حق التعبير، والنقد للحاكم، والحكومة، وطريقة أدائهما الإداري، والاقتصادي، والسياسي، والأخلاقي، فكان الإمام عليه السلام يوفر هذا الحق لجميع أفراد الأمة، ويشجعهم على حرية التعبير، وإعلان الرأي الآخر والاعتراض على الممارسات الخاطئة...

يقول في أول بيان رسمي له خاطب به الأمة بعد بيعته: «**إنّما أنا رجل منكم لي ما لكم، وعليَّ ما عليكم..**»[٤].

فرأي الأمة العام عند علي عليه السلام مقدم على غيره والأكثرية العظمى مقدمة على الأقلية المستفيدة ولابدّ أن يعلم الأمة حقوقها من حرية الإرادة، وحق التعبير، والاعتراض على الأخطاء ...

---

(١) نهج البلاغة٢ : ١٨٧ ، البحار٩٧ : ٤١ ، المعيار والموازنة : ١٧٥ ، وقعة صفين : ٤٨٤ ، الإمامة والسياسة١ : ١٣٩ .

(٢) الإمامة والسياسة١ : ١٧٦ ، المسترشد : ٤١٨ .

(٣) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية٢ : ٢٣٥ ، جورج جرداق، عن نهج البلاغة، خلاصة عبقات الانوار٣ : ٢٥ .

(٤) بحار الانوار٣٢ : ١٧ ، شرح نهج البلاغة٧ : ٣٦ .

وكان يقول: «**ألزموا السواد الأعظم إن يد الله مع الجماعة**»[١]، أي لتنسجم قراراتكم، واتجاه سياستكم مع الغالبية العظمى من الناس، وليسخط أصحاب المصالح، والنفعيون، الذين تهمهم مصالحهم، وترفهم ومواقعهم، لأن «سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة» عند أمير المؤمنين عليه السلام، والخاصة هنا أصحاب المصالح؛ إضافة إلى أن رضا الله تعالى يتحقق برضا الأمة، «إنّما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده».

لقد كان الإمام عليه السلام حريصاً أن يربي إرادة الأمة، وحريتها، وكرامتها ويعطي الدروس تلو الدروس في ذلك لها: «**فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة، ولا تتحفّظوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنّوا بي استثقالاً في حقّ قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنّه من استثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه. فلا تكفّوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل**»[٢].

وقد خرج يوماً على أصحابه، وهو راكب، فمشوا خلفه، فالتفت إليهم، فقال: **ألكم حاجة؟**

قالوا: لا يا أمير المؤمنين! ولكنّا نحب أن نمشي معك.

فقال لهم: **إنصرفوا، فإن مشي الماشي، مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي**[٣].

لقد حطم علي عليه السلام حاجز الخوف الذي فرض على الناس، وغيّر الثقافة التي تمنع الناس من حق التعبير، لأنه عليه السلام يعلم أن محاربة حرية الإرادة لدى الشعوب

---

(١) ميزان الحكمة١: ٧٦٣، خصائص الوحي المبين: ١٢.

(٢) نهج البلاغة٢: ٢٠١، الكافي٨: ٣٥٦.

(٣) المحاسن٢: ٦٢٩، الكافي٦: ٥٤٠، تحف العقول: ٢٠٩، وسائل الشيعة١١: ٤٩٤.

ثقافة أوجدتها السلطات الظالمة التي ابتليت بها الأمة[١] حتى أن بعض ولاة معاوية ـ بعدما علا في الأرض ـ كانوا يعتبرون أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي علّم الناس ثقافة حق التعبير عمّا في نفوسهم من نقد للظالمين، كما أن علياً عليه السلام هو الذي أشعر الناس بكرامتهم، وبحقهم في مقاومة الطغيان، والظلم وحبس الحقوق من قبل حكام الجور...

لقد كان همّ الإمام عليه السلام أن يربي الإحساس بحرية الإرادة عند الشعوب، وكان شعاره في ذلك: «**لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً**»[٢]..

ورغم استغلال بعض القوى المعارضة المنحرفة فكرياً، وسياسياً لحق الحرية التي أشاعها أمير المؤمنين عليه السلام في مجتمعه ـ أحياناً ـ إلاّ أن التجاوز عن الحدود الشرعية لحق التعبير لم يحمل وصي رسول الله صلى الله عليه وآله على إعادة النظر بهذا الحق الإنساني، وإنما دعا للصفح عن الخطأ، أو مقابلة الكلام بالكلام لا غير ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**﴾[٣]..

فقد خاطبه أحد الخوارج بألفاظ نابية قائلاً: قاتله الله كافراً ما أفقهه! فهمَّ بعض أصحابه بقتله، فذكرهم الإمام عليه السلام أن العقاب لابدّ أن يتناسب مع الجريمة، حتى وإن كان الاعتداء على زعيم المسلمين العام، وأمير المؤمنين عليه السلام، على أن العفو، والصفح خير وأبقى، قال الإمام عليه السلام رداً على أصحابه: «**رويداً، إنّما هو سب بسب، أو عفو عن ذنب**»[٤].

وحين رأى بعضاً من جنده يسب أهل الشام من أصحاب معاوية، اعتبر تلك الطريقة تجاوزاً على قيم الإسلام الأصيل، ونوعاً من التسرع، وعدم الحكمة،

---

(١) في السياسة الإسلامية: الفكر والممارسة: ١٢١، هادي العلوي، ط١٩٧٤، بيروت.

(٢) نهج البلاغة٣: ٥١، تحف العقول: ٧٧، ينابيع المودة٢: ٢٥٣.

(٣) البقرة: ١٩٤.

(٤) نهج البلاغة٤: ٩٩، وسائل الشيعة٢٠: ١٠٦، مناقب آل أبي طالب١: ٣٨٠.

فاحترام الناس مبدأ محترم، وضروري عند أمير المؤمنين عليه السلام، وإن خالفوا في وجهة نظر دينية أو فقهية أو سياسية، بل حتى وإن حملوا السلاح، واعتدوا.

وبناء على ذلك أصدر التوجيه التالي منعاً لشيوع ظاهرة النقد غير المنضبط بضوابط الإسلام: «**إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إيّاهم: اللّهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحقّ من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به**»[1].

وأنت خبير أن هذا التوجيه إنّما يصدره لأصحابه لكي يمتنعوا عن سب معاوية وأصحابه، والحرب كانت دائرة بين الجبهتين، ومعاوية هو، هو في انحرافه، وصلفه، وبغيه... ولكن مع كل ذلك فإن أمير المؤمنين عليه السلام يدعو إلى الانضباط بقيم الإسلام الحنيف، والضوابط الإنسانية النبيلة..

**ج - حق الحوار الهادئ الرزين**: الحوار السياسي جزء من حق الحوار الفكري العام بين أبناء الأمة عموماً، يحتاج إلى ضوابط، وقيم لا يجوز تخطيها بالاعتداء، والإساءة، والتنابز بالألقاب مهما كان المحاوَر سيئاً أو منحرفاً، فالحوار له آداب، وقيم، إذا التزمها صاحب الحق تتوفر له ظروف التأثير في الطرف المحاوَر...

ولقد حمل القرآن الكريم قيماً للحوار رائعة نذكر منها:

- طريقة الحوار مع فرعون التي تمتع بها موسى النبي، وأخوه هارون عندما دخلا في حوار مع فرعون طاغية زمانه الذي كان يدعي الربوبية لكل شيء تناله يده.. ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[2].

---

(١) نهج البلاغة٢: ١٨٥، المعيار والموازنة: ١٣٧.

(٢) طه: ٤٣-٤٤.

هذه طريقة الحوار التي اعتمدها رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم مع طغاة قومه، حيث يتعامل معهم، وكأنه، وهم يبحثون معاً عن الحق.. ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1] ... إنّا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال.. بهذا النفس الهادئ الحكيم، يحرك النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم عملية الحوار مع عتاة قومه..

إنّ هذه الطريقة من الحوار هي التي كانت تسود حوارات أمير المؤمنين عليه السلام مع معارضيه السياسيين، حيث يتعامل الإمام عليه السلام بالاحترام، والتقدير، مع خصومه، ويتحاور معهم بالحجة وبالكلمة الواضحة الصريحة دون لبس أو غموض أو تجاوز، مع انّه رئيس الدولة وزعيم المسلمين، وصاحب الإمكانات الكبيرة.

ثمّ إنّ علياً عليه السلام يستثمر حق الحوار، ولغة الحوار، لتذليل الصعاب أمام الأمة، وحل الخصومات، وتهدئة الصراع، كما يعتبر أمير المؤمنين عليه السلام مسألة الحوار ذات أولوية قصوى في تفاهم الناس وإحلال السلم، والأمن في حياتهم بدل الخلاف، والتنازع، والخصام.

وقد حاول الإمام عليه السلام أن يجعل من لغة الحوار طريقاً لعلاج مشكلة المنشقين عليه، المؤلبين للأمة على مشاريعه الإصلاحية الكبرى..

وإذا أجريت مقارنة، فانّك تجد أن أغلب الحكام والولاة الذين سبقوه أو جاؤوا بعده لا يعيرون للحوار قيمة في عملهم أو مناهجهم السياسية، والإدارية فيحتكمون للعنف، والتهديد، واستعمال القوة في إسكات الصوت المعارض، وضد الرأي الآخر. أما أمير المؤمنين عليه السلام، فكان الحوار أسلوبه الحضاري المختار على سواه، يحتكم إليه، ويتمسك به، ويحاول الحفاظ عليه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً..

---

(١) سبأ: ٢٤.

ومع أشرس خصومه السياسيين، وأشد معارضيه نقمة عليه وأكثرهم لؤماً، وفظاظة كان يعقد معهم جسور الحوار الحكيم الرزين... وهذه نماذج من حواره مع خصومه رغم أنهم كانوا يحملون السلاح في وجهه، ويؤلبون الناس عليه!!

## من حواره السياسي مع طلحة والزبير

هذا نموذج من الحوار السياسي الذي كان يجري بين الإمام عليه السلام، وطلحة والزبير اللذين قادا حزباً سياسياً معارضاً، وألّبا عائشة بنت أبي بكر على نصرتهما.. وكان هذا الحوار في بداية تحركهما ضد الإمام عليه السلام بعد أن استنكرا برنامجه الاقتصادي، خصوصاً طريقة توزيع العطاء حيث أعلن المساواة في توزيع المال دون النظر إلى أي اعتبار آخر كالسابقية في الإسلام، أو ا لعروبة، أو الجهاد، أو القرابة أو التقوى، فتلك الأمور ليست من دواعي التمييز في العطاء كما اعتمدها قبله الخليفة عمر، والخليفة الثالث عثمان بن عفّان...

فقد استأنف أمير المؤمنين عليه السلام برنامج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تقسيم الأموال بين الناس دون النظر للاعتبارات الاجتماعية، والقومية، والدينية، خلافاً لما فعل الخليفة الثاني، والثالث من سياسة التمييز الطبقي وكان أول المستنكرين لتلك السياسة العلوية رأسماليو قريش الذين أسسوا الإقطاعيات، وأقاموا مؤسسات رأسمالية ضخمة في مختلف الأقاليم، وكان طلحة والزبير على رأس الرافضين للسياسة الاقتصادية لأمير المؤمنين عليه السلام التي كانت إحياء لسياسة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم...

وفي بداية تحرك تلك الجماعة جرت عدة حوارات نذكر منها هذا الحوار الصريح المفتوح:

«فبينما الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة، فجلسا ناحية عن عليّ عليه السلام، ثمّ طلع مروان وسعيد وعبد الله بن الزبير؛ فجلسوا إليهما، ثمّ جاء قوم من قريش فانضمّوا إليهم، فتحدّثوا نجيّاً ساعة؛ ثمّ قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فجاء إلى عليّ عليه السلام؛ فقال: يا أبا الحسن؛ إنّك قد وترتنا جميعاً؛ أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً، وخذلت أخي يوم الدار بالأمس؛ وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب ـ وكان ثورَ قريش ـ وأما مروان فسخّفت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه؛ ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال في أيام عثمان، وأن تقتل قتلتَه؛ وإنا إن خفناك تركناك؛ فالتحقنا بالشام.

فقال: **أمّا ما ذكرتم من وتري إياكم فالحقّ وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس**»[1].

«بعث أمير المؤمنين عليه السلام بعمار بن ياسر، وعبد الرحمن بن حسل القرشي إلى طلحة والزبير، وهما في ناحية المسجد، فأتياهما فدعواهما، فقاما حتى جلسا إليه عليه السلام، فقال لهما: **نشدتكما الله، هل جئتماني طائعين للبيعة، ودعوتماني إليها، وأنا كارهٌ لها!**

قالا: نعم.

فقال: **غير مجبرين ولا مقسورين، فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما!**

قالا: نعم.

قال: **فما دعاكما بعد إلى ما أرى؟**

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧: ٣٩، ابن أبي الحديد.

قالا : أعطيناك بيعتنا على ألاّ تقضي الأمور ولا تقطعها دوننا ؛ وأن تستشيرنا في كلّ الأمور لا تستبدّ بذلك علينا ، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت ؛ فأنت تقسم القسم وتقطع الأمر ، وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا .

فقال : **لقد نقمتما يسيراً ، وأرجأتما كثيراً ؛ فاستغفرا الله يغفر لكما ، ألا تخبرانني ، أدفعتكما عن حقّ وجب لكما فظلمتكما إياه؟**

قالا : معاذ الله!

قال : **فهل استأثرت من هذا المال لنفسي بشيء؟**

قالا : معاذ الله!

قال : **أفوقع حكم أو حقّ لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟**

قالا : معاذ الله!

قال : **فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟**

قالا : خلافك عمر بن الخطّاب في القسم ؛ أنك جعلت حقّنا في القسم كحقّ غيرنا ، وسوّيت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى علينا بأسيافنا ورماحنا ، وأوجَفْنا[1] عليه بخيلنا ورجلنا ، وظهرت عليه دعوتنا ، وأخذناه قسراً قهراً ، ممن لا يرى الإسلام إلاّ كرهاً .

فقال : **فأمّا ما ذكرتماه من الاستشارة لكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ؛ ولكنكم دعوتموني إليها ، وجعلتموني عليها ؛ فخفت أن أردّكم فتختلف الأمة ، فلما أفضت إليّ نظرت في كتاب الله وسنّة رسوله فأمضيت ما دلاّني عليه وأتبعته ، ولم أحتج إلى آرائكما فيه ؛ ولا رأي غيركما ، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنة برهانه ، واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه ؛**

---

(١) ما أوجفنا : ما أعملنا .

**وأما القسم والأسوة؛ فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء! قد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وأما قولكما: جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا، سواء بيننا وبين غيرنا، فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم، فلم يفضّلهم رسول الله صلى الله عليه وآله في القسم، ولا آثرهم بالسبق، والله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم، وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلاّ هذا. أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإيّاكم الصبر.** ثمّ قال: **رحم الله امرئ رأى حقّاً فأعان عليه، ورأى جوراً فردّه، وكان عوناً للحق على من خالفه**[1].

قال شيخنا أبو جعفر: وقد روى أنهما قالا له وقت البيعة: نبايعك على أنّا شركاؤك في هذا الأمر.

فقال لهما: **ولكنّكما شريكاي في الفيء، لا أستأثر عليكما ولا على عبد حبشي مجدّع بدرهم فما دونه، لا أنا ولا ولداي هذان، فإن أبيتما إلاّ لفظ الشركة، فأنتما عونان ونان لي عند العجز والفاقة، لا عند القوّة والاستقامة**»[2].

إنّ هذا النموذج الرائع من الحوار يكوّن للقارئ انطباعاً أن حق الحوار، والحرية السياسية في المجتمع الذي أراد علي عليه السلام إقامته لم يشهد الشرق القديم له مثيلاً، بل ولا الشرق الحديث الذي تتحكم فيه الدكتاتورية، وتزور فيه الحريات، ويسود الإرهاب...

فهل حدثك تاريخنا المعاصر أنّ حواراً سياسياً بهذه الصيغة النموذجية من الأخذ والعطاء جرى بين قائد بلد من بلداننا، ومعارضيه السياسيين سواء أكانوا حزباً سياسياً، أو جماعة، أو شخصية سياسية بارزة؟

---

(١) الجمل: ٧١، المعيار والموازنة: ١١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ٧: ٤٠-٤٢، وأبو جعفر الأسكافي من زعماء المعتزلة ووجوههم المعروفين.

## من حواره السياسي مع الخوارج

لمّا نقم الخوارج على أمير المؤمنين عليعليه السلام قبوله بالتحكيم بين أصحابه وأصحاب معاوية بن أبي سفيان لظروف أحطنا بها، وأصروا على قتال الإمامعليه السلام بذل أمير المؤمنينعليه السلام كل وسعه للحيلولة دون إراقة الدماء، وأجرى العديد من الحوارات الفكرية، والسياسية معهم لنزع فتيل الصراع، وكان الحوار الآتي أحد نماذج تلك الحوارات[1]:

«الإمام: **ماذا نقمتم منّا؟**

**فأرسلوا إليه: أول شيء نقمنا منك أنّا قاتلنا بين يديك يوم الجمل، فلما انهزموا أبحت لنا ما وجدنا في عسكرهم من المال، ومنعتنا من سبي نسائهم وذراريهم، فكيف استحللت ما لهم دون نسائهم والذرية؟**

فقال: **إنما أبحت لكم أموالهم بدلاً عما كانوا غاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومي عليهم. والنساء والذرية لم يقاتلونا، وكان لهم حكم الإسلام بحكم دار الإسلام، ولا يجوز استرقاق من لم يكفر. وبعد فلو أبحت لكم النساء أيكم كان يأخذ عائشة في سهمه؟**

فخجل القوم من هذا.

ثم قالوا له: نقمنا عليك محوك أمير المؤمنين عن اسمك من الكتاب بينك وبين معاوية.

فقال: **فعلت مثل ما فعل رسول الله يوم الحديبية حين قال له سهيل بن عمرو: لو علمنا أنك رسول الله لما نازعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.**

---

(١) الخوارج: ٥٢-٥٣، الدكتور عامر النجار، ويفترض البعض أن هذا الحوار كان لعبد الله بن العباس مع الخوارج، وليس من العسير أن يكون قد تكرر هذا الحوار على لسان الإمام عليعليه السلام مرة وتلميذه ابن عباسرضي الله عنه مرة أخرى.

**فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو. وأخبرني رسول الله أن لي منهم يوماً مثل ذلك.**

قالوا: فلم حكّمت الحكمين؟ فإن كنت في شكّ من خلافتك فغيرك أولى بالشك.

فقال: **إنّما أردت بذلك النصفة لمعاوية. ولو قلت للحكمين احكما لي بالخلافة لم يرض معاوية. وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله نصارى نجران إلى المباهلة فقال: ﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2]، ولو قال: نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يرض النصارى بذلك. فأنصفهم بذلك. ولم أدرِ غدر عمرو بن العاص.**

قالوا: فلِم حكّمت في حق كان لك؟

قال: **وجدت رسول الله صلى الله عليه وآله حكّم سعد بن معاذ في بني قريظة. ولو شاء لم يفعل. لكنّ حكم رسول الله صلى الله عليه وآله حكم بالعدل. وحكمي خُدِع حتى كان من الأمر ما كان. فهل عندكم من شيء سوى هذا؟»**

فسكت القوم وقال أكثرهم: صدق والله. وقالوا التوبة واستأمن إليه يومئذ منهم ثمانية آلاف. وانفرد منهم أربعة آلاف مع عبد الله بن وهب وحرقوص بن زهير البجلي»[3].

وبعد هذا الحوار المؤثر حاول الإمام عليه السلام أن يثني المتزمتين الأغبياء عن إصرارهم على إشعال نار الفتنة، وطالبهم فحسب بتسليم قطاع الطرق الذين قتلوا المؤمنين، وفي طليعتهم الصحابي عبد الله بن خباب بن الأرت، وزوجته

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) كتاب الخوارج: ٥٢-٥٣. للدكتور عامر النجار.

ولكنهم أعلنوا أنه كلهم قتلة لأولئك المظلومين من المؤمنين، ما تسبب في نشوب القتال، وإنهاء فتنة الخوارج..

ومن الحقوق السياسية، ومظاهرها الأخرى عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إصرار الإمام عليه السلام على أن معارضيه أخوة له، ولأصحابه يجمعهم الإسلام الحنيف.. فلقد كان كثيراً ما يردد هذه العبارات وأمثالها بالنسبة للمعارضة: «.. **إخواننا من أهل البصرة، أن يرجعوا، فذاك الذي نريد، وان يلجّوا داويناهم بالرفق، حتى يبدؤونا بظلم، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلاّ آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله**»[1].

فبدلاً من تحريض أصحابه على أصحاب الجمل، ووصفهم بالانحراف، والبغي، حتى يعبئ النفوس لحربهم - كما يفعل أصحاب المصالح في التعبئة للقتال، لكسب نتائج المعركة - راح أمير المؤمنين عليه السلام يشيع مفاهيم الأخوة والوئام، وينأى عن الشحناء، ويترفع على الأحقاد، وإثارتها..

هذا وفي كثير من كلماته الكريمة تأكيد على الأخوة، والصلح، والوئام، ورد العدوان والدعوة إلى الحوار، ووحدة الصف، والتعقل، ومراقبة الله عز وجل.

## ٤. حق الملكية

استعرضنا حق الملكية في منهاج أمير المؤمنين عليه السلام، لوجدنا آفاقاً عديدة تمتد إليها؛ وتستوعبها، فالملكية في عهد الخليفة عثمان اختلطت آفاقها، ومعالمها على مستوى الفكر والممارسة، حتى أن الدارس للملكية في الإسلام في تجربة عثمان لا يكاد يميز بين حدودها، وآفاقها حيث اختلطت الملكية العامة بالملكية

---

(١) من خطاب له في ذي قار خاطب به أهل الكوفة عندما قدموا عليه لنصرته على أهل الجمل. أنظر الفتنة ووقعة الجمل: ١٤٤. تاريخ الطبري٣: ٥٠٢.

الخاصة، وكلاهما بملكية الدولة، كما اختلط الحق العام، بالحق الخاص، وتحول الاقتصاد في التجربة التي قادها الخليفة الأموي ابن عفّان إلى اقتصاد رأسمالي - إقطاعي، لا يجد فيه المستضعفون حقاً مشخصاً لهم، وحتى جيوش المسلمين، وقطاعات المجاهدين التي كانت تشكل ميليشات الفتح، والجهاد، والمرابطة، وحماية الثغور، وتعكس للتاريخ عزة الإسلام، والمسلمين تحولت في تلك المرحلة إلى طبقة محرومة، لا يوفر لها بيت مال المسلمين حاجاتها الطبيعية العادية بعد أن أصبح بيت مال المسلمين ملكية خاصة للخليفة وأقاربه، وحاشيته يعطي منه ما يشاء، ويمنع منه ما يشاء، وأصبح (سواد العراق) بستاناً لقريش، لا للمسلمين، كما هو واقعه في ضوء الشريعة الإسلامية..

وهذا من العوامل الأساسية التي حملت تلك الميليشات المجاهدة على المشاركة في الثورة الشعبية التي أطاحت بالخليفة!!

وجاء أمير المؤمنين عليه السلام إلى مركز القرار في التجربة الإسلامية، ليواجه هذه المشكلة الاقتصادية، وآثارها الاجتماعية الكبيرة وجهاً لوجه.

وقد وضع الإمام عليه السلام المخطط التالي لمواجهة هذه المشكلة لإعادة الأطروحة الإسلامية في الاقتصاد إلى واقع الناس:

أ ـ واجه النهب الإقطاعي الظالم للملكية العامة المخصصة لعموم المسلمين أساساً بقرار تاريخي يقضي بالعمل بكل وجوده لإعادة تلك الثروات الهائلة إلى موقعها الطبيعي كملكية عامة للمسلمين، ولنقرأ بيانه الرسمي التالي: «**والله لو وجدته ـ يعني المال ـ قد تُزوِّج به النساء، ومُلِك به الإماء، لرددته، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق..**»[1].

---

(١) نهج البلاغة ١: ٤٦، مستدرك الوسائل ١٢: ٦٦، الغدير ٨: ٢٨٧.

**«إن هذا المال ليس لي، ولا لك، وإنما هو فيء للمسلمين..»**[١].

وكان الإمام عليه السلام يواجه نظاماً إقطاعيا تفاقم خطره في عهد عثمان، بشكل يقل نظيره في التاريخ الإنساني، حيث كان الخليفة يقطع الأراضي لمن شاء من أقاربه وحاشيته، فيعطي دولاً كبيرة في مصطلح هذا العصر إلى شخص واحد أو أسرة واحدة. كأن يعطي مصر إلى واليه على مصر، ويقطع الكوفة ـ وهي نصف العراق اليوم ـ لآخر، ويمنح خراج أفريقيا لغيره[٢].. وهكذا...

بـ ـ إعادة النظر في نظام الضرائب: كان نظام الضرائب في تجربة الحكم الذي سبق تجربة أمير المؤمنين عليه السلام نظاماً لا يوجد له شبيه إلاّ في تجارب القرون الوسطى في أوروبا الإقطاعية وغيرها... حتى أن آلاف المسلمين قتلوا بسبب حروب الزكاة التي أطلق عليها في التاريخ، والأعلام الرسمي: حروب (الردة) ـ كما لاحظنا في فصل سابق ـ.

وفي بعض فترات المسلمين أصبح النظام الضريبي بلاء على الإسلام، وسمعته، وذوقه، حتى أن بعض البلاد المفتوحة تعلن الجماهير إسلامها في بدايات الفتح، ولكن الحاكم يعلن للقيادات العسكرية: إن همّه جمع الصفراء، والبيضاء، وأسر الحسناوات وقد سببت هذه السياسة الاستعمارية ـ الاستيطانية الغاشمة، ردة لدى بعض الشعوب، حيث رجعت بعض الشعوب إلى أديانها القديمة، ووقعت مجازر في التاريخ قلَّ نظيرها.

ويعود الفضل في تحول تلك البلدان إلى الإسلام فيما بعد إلى نشاط الدعاة والمبلغين المسلمين، لا إلى عمل الفاتحين الذين امتاز أغلبهم بالرعونة، وحب

---

(١) نهج البلاغة٢: ٢٢٦، الغدير٨: ٢٣٩، مجمع البحرين٢: ٢٩٠، والفيء: كل ما أصابه المسلمون من الكفار مالاً كان أو عقاراً أو أرضاً أو غير ذلك، حيث أفائه الله على الأمة بعد نصرها.

(٢) أنظر إقطاعيات عثمان في فصل (تجربة عثمان) من كتابنا هذا.

الظهور، وإذا كان خالد بن الوليد قد قتل صحابياً مثل مالك بن نويرة اليربوعي وأصحابه المؤمنين، ونزا على زوجته بعد قتله، فإنه وجد في الدولة من يستنكر عمله وكان منهم وزير الخليفة، ومهندس سياسة الدولة الخليفة عمر بن الخطّاب، إلاّ أن الفترات اللاّحقة لتلك المرحلة قد شهدت ممارسات مؤلمة جداً يندى لها جبين التاريخ من نهب، وسلب، وأسر لا رادع له، ولا مبرر[١]. فالقائد (الإسلامي) موسى بن نصير حين غزا أفريقيا أسر ثلاثمائة ألف من الناس، أرسل خمسهم إلى الخليفة الأموي في دمشق!

وهذا القائد نفسه عاد بثلاثين ألف فتاةً عذراء عندما عاد من الأندلس فاتحاً[٢]، وكانت هؤلاء الفتيات يذهبن ـ طبعاً ـ إلى قصور الخلفاء، وحواشيهم، من المترفين، المتخمين بالمال الحرام من أجل المتعة بالمتاع الجنسي!!

وإذا نظرنا إلى النظام الضريبي الذي طبق في تلك البلدان المفتوحة عنوة، فإننا نجد عجباً، فكانت السلطة تفرض الجزية على بعض الشعوب التي أسلمت خوفاً من نقص الأموال الواردة لجيوب السلاطين!

وكانت السلطة تفرض ضريبة على عيد النوروز في بلاد فارس وكان الخليفة يوصي قواده الزاحفين بالرعب على الشعوب بأن يستصفوا له كل بيضاء وصفراء .. وهكذا.

لقد جاء علي عليه السلام إلى المركز الأول في القرار، فتبنى مشروعاً لبناء (نظام ضريبي) جديد على أنقاض النظام الضريبي المخجل السابق، الذي شهد التاريخ صوراً منه أيام الخليفة عثمان، ثمّ واصله بنو أمية منذ عهد معاوية، حتى آخر أيامهم..

---

(١) أنظر ابن الأثير٤ : ٥٦٦، مصدر سابق.

(٢) لاحظ الكامل: ابن الأثير، مجلد ٤ و٥.

وقد اعتمد الإمام عليه السلام على الأسس التالية:

## ١. تنمية المصادر المالية مقدم على استيفاء الضرائب

يعتمد أمير المؤمنين عليه السلام على مبدأ اقتصادي سليم، مفاده: أنّ تنمية المصادر المالية، ودعم الإنتاج، وتوفير الفرص لنمو الثروة وتعدد مصادرها يشكل الأرضية المتينة للنمو الاقتصادي وزيادة الإنتاج، واتساع رقعة دعم الموازنة العامة من قبل المواطنين...

ولذا فإن الإمام عليه السلام يرى ضرورة النظر في عمارة الأرض، ودعم مشاريع التنمية قبل النظر في نسبة الضرائب المفروضة على المواطنين كالخراج، والزكاة، والخمس، وما إليها من مصادر دعم بيت مال المسلمين، وأفضل بيان رسمي صادر من الإمام عليه السلام يعكس هذا المبدأ نجده بين هذه السطور:

**«وتفقّد أمر الخراج بما يُصلح أهله، فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم، لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يُدرك إلاّ بالعمارة؛ ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلاّ قليلاً. فإن شكوا ثقلاً أو علّة، أو انقطاع شرب أو بالّة، أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خفّفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم؛ ولا يثقلنّ عليك شيء خفّفت به المؤونة عنهم، فإنّه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجّحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوّتهم، بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم، والثقة منهم بما عوّدتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم، فربّما حدث من الأمور ما إذا عوّلت فيه عليهم من بعد**

**احتملوه طيّبة أنفسهم به؛ فإنّ العمران محتمل ما حمّلته، وإنّما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنّما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاء على الجمع»**[١].

## ٢. الاهتمام بتربية الوازع النفسي لدى الناس لدفع الفائض من أموالهم

يهتم أمير المؤمنين عليه السلام بالدافع الذاتي للناس لدفع ما عليهم من حق لبيت المال، فلا إكراه لأحد على استيفاء الحقوق، ولا إضرار بإنسان كائناً من كان، ولا إرهاب لمخلوق ولا تجاوز، إشعاراً للناس بكرامتهم ومكانتهم، ولنقرأ هذه البيانات التي تصدع بالحق والمعروف، والواقعية: **«إنطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروّعنّ مسلماً، ولا تجتازنّ عليه كارهاً، ولا تأخذنّ منه أكثر من حقّ الله في ماله، فإذا قدمت على الحيّ فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثمّ امض إليهم بالسكينة والوقار، حتى تقوم بينهم، فتسلّم عليهم، ولا تخدج بالتحيّة لهم، ثمّ تقول: عباد الله أرسلني إليكم وليّ الله، وخليفته، لآخذ منكم حقّ الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حقّ، فتؤدّوه إلى وليّه»**[٢].

**«إيّاك أن تضرب مسلماً أو يهوديّاً أو نصرانيّاً في درهم خراج، أو تبيع دابّة عمل في درهم، فإنّما أمرنا أن نأخذ منهم العفو»**[٣].

ج ـ الملكية الخاصة، وحدودها: يشمل حق الملكية الخاصة في الإسلام عدة آفاق، ومجالات أهمها: حق التملك للمال المشروع، وحق التصرف به بحرية دون

---

(١) نهج البلاغة٣: ٩٦، مستدرك الوسائل١٣: ١٦٦.

(٢) نهج البلاغة٣: ٢٣، جواهر المطالب٢: ١٦٤، لا تخدج بالتحيّة: لا تبخل بها عليهم.

(٣) من وصيّته لصاحب الخراج على القادسية وسواد الكوفة. أنظر الكافي٣: ٥٤٠، وسائل الشيعة٩: ١٣٣.

إسراف، وحق الكسب للمال من مصادره الشرعية، وتوفير الثروة من خلال ذلك وإنمائها، وحق العيش بسلام بعيداً عن الفاقة والحرمان وما إلى ذلك.

وقد حرص البرنامج العلوي على تحقيق هذه المهمات في إطار التجربة التي قادها عليه الصّلاة والسّلام، ومن المبادئ التي أطلقها في هذا المجال نجد ما يلي:

**«لا تمسنّ مال أحد من الناس، مصل، ولا معاهد».**

**«إيّاك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج، أو تبيع دابة يحمل عليها في درهم، فإنّما أمرنا أن نأخذ منهم العفو».**

**«ولا تروِعنّ مسلماً، ولا تجتازنّ عليه كارهاً، ولا تأخذ منه أكثر من حق الله في ماله».**

فالملكية الخاصة مصونة في دستور أمير المؤمنين، وطرق الكسب، وأبواب التنمية مشرعة في حدودها المشروعة، وحق الأمة في ملكية الأفراد محفوظ، إلاّ انّه لا يحق إجبار الناس، وتحميلهم فوق طاقتهم، كما لا يحق تجاوز رضاهم، وإسخاطهم من أجل استيفاء الضرائب منهم..

ومن حقوق الناس في رحاب التجربة العلوية أن لا يجبروا على عمل، ولا يسخروا في مشروع أبداً، سواء أكان المشروع خاصاً بالحكومة أو كان مشروعاً لصالح الملكية العامة للمسلمين...

فقد عرض جمع من المزارعين على الإمام عليه السلام أن يعيدوا حفر بئر كان قد دفنه الطمى، فكتب الإمام عليه السلام إلى عامله يحدد قيم العمل المشروع، ويمنعه عن تسخير الناس، وإجبارهم على العمل: **«ولست أرى أن تجبر أحداً على عمل يكرهه، فادعهم إليك، فإن كان الأمر في النهر على ما وصفوا، فمن أحب أن يعمل، فمره بالعمل، والنهر لمن عمل دون من كرهه»**[1]...

---

(١) نهج السعادة٥: ٣٥٩، انساب الأشراف: ١٦٢.

هذه هي الآفاق الرحيبة التي شملها قانون (حق التملك) في تجربة أمير المؤمنين عليه السلام ، بقي علينا أن نعرض ما اختصت به المعارضة السياسية ضمن هذه الآفاق الواسعة البناءة!

إن هذه الآفاق الاقتصادية سواء أكانت تصرفاً بالثروة، أو كسباً لها أو إنماء ، أو احترامها من قبل الدولة، والقانون الإسلامي، أو رعاية لأصحاب الثروة في مجال سياسة الضرائب المطبقة في الحياة الاقتصادية، وغير ذلك من شؤون.. إنّ هذه الآفاق لا تختلف فيها قوى المعارضة السياسية عن عموم المواطنين في تجربة أمير المؤمنين عليه السلام ، لا في الحقوق، ولا في الواجبات، ولا في الضوابط المرتبطة بالمال، والتملك أبداً، حتى تشن المعارضة حرباً على الكيان المركزي للمسلمين، وتخرج عن سلطان الإسلام، حيث توفر التجربة ضوابط قانونية أخرى بخصوص الممتلكات التي يستفاد منها في المعركة دون سواها ، وسنبحث ذلك في صفحات قادمة..

أما إذا بقيت المعارضة تعمل في الإطار السلمي، ضمن القانون العام، تحترم دماء الناس، وأموالهم، وأعراضهم، ولا تحمل لواء (الخروج) و(البغي) على سلطان المسلمين، وإنما تباشر النقد ، والاعتراض والتظاهر، والتجمعات، وجمع الأنصار، والاستفادة من الإعلام، والتثقيف ونشر الأفكار ورفع الشعارات وما إلى ذلك. فإن حقوقها المالية، مصونة كغيرها من مواطني الدولة الإسلامية، وقد حدد أمير المؤمنين عليه السلام هذه الحقيقة القانونية بالمرسوم التالي[1] :

**«أما ان لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا : لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء مادامت أيديكم مع أيدينا ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا ..»** .

---

(١) الكامل٣ : ٣٣٥ . (بيان وجهه للخوارج بعد إعلان معارضتهم لحكمه).

وهكذا فإن حمل السلاح من قبل المعارضة في وجه السلطة الشرعية هو الذي يغير موقف السلطة الشرعية المذكورة، فقبل إشعال نار الحرب من قبل البغاة، فالناس جميعاً سواسية في الحقوق والواجبات.

## ٣. الباب الثاني: المعارضة السياسية في ظروف البغي والعدوان

من قراءة للائحة حقوق المعارضة السياسية في تجربة أمير المؤمنين عليه السلام في الظروف الطبيعية، تجلى لنا أن الإمام عليه السلام قد سلك بمعارضيه، وخصومه السياسيين، ما لا يوجد له نظير في أي دستور في عالمنا المعاصر، في الدول الديمقراطية ذات الأنظمة الشعبية ناهيك عن الأنظمة التي لا تقر الديمقراطية أو تقرها صورياً...

رغم أنّ معارضي علي بن أبي طالب عليه السلام كانت معارضة غير مبدئية، نفعية، وصولية، حاقدة، إضافة إلى تخلف بعضها حضارياً، وجمودها على شعارات معينة لا تعرف كيف تتعامل معها..!

وفي هذا الباب سنقرأ حقوق المعارضة كما أجراها أمير المؤمنين عليه السلام في الواقع الحياتي، في ظروف بغي المعارضة، وعدوانها على الإمام عليه السلام، وتهديدها للمصلحة الإسلامية العليا، وإشعالها نار الحرب على الجبهة الإسلامية، وقيامها بما يشبه الانقلابات العسكرية لإسقاط السلطة الشرعية الدستورية، المنتخبة بشكل أصولي من قبل الأمة.. فكيف تعامل الإمام عليه السلام مع تلك المعارضة رغم تآمرها على مصالح المسلمين، وتهديد الكيان الإسلامي، بالسقوط؟

### ضوابط أمير المؤمنين عليه السلام في مواجهة العدوان

يتمسك أمير المؤمنين عليه السلام بمبدأ الدفاع في حروبه كلها مع خصومه السياسيين،

ويعمل كل وسعه لتجنب إراقة الدماء، وان أصر عليها الآخرون، ولذا فإنّه عليه الصّلاة والسّلام كان حريصاً على الحوار، والتفاهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ـ كما أشرنا ـ ويكتفي من خصومه بعدم شن الحرب فحسب، فهو لا يدخل معهم في صراع عسكري ماداموا لم يشنوا الغارة المسلحة على الكيان الإسلامي، ولم يشيعوا الإرهاب في أقاليم الدولة الإسلامية، فلا يبادرهم بقتال إذا هم خالفوه في الرأي السياسي، أو تحزبوا، أو باشروا الدعاية السياسية ضد تجربته السياسية، أو اعتصموا، أو تظاهروا، مادام ذلك لم يصل إلى إراقة الدماء ...

وتصريحاته التالية تكشف بشكل جلي عن هذا الموقف الرسمي لعليّ عليه السلام: ففي طريقه إلى البصرة لمواجهة فتنة الجمل قام إليه أحد أصحابه فقال: «يا أمير المؤمنين أيّ شيء تريد وأين تذهب بنا؟ فقال: **أمّا الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منّا وأجابونا إليه.**

قال: فإن لم يجيبونا إليه؟

قال: **نَدَعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر.**

قال: فإن لم يرضوا؟

قال: **نَدَعهم ما تركونا.**

قال: فإن لم يتركونا؟

قال: **امتنعنا منهم**»[1].

فالأصل عند أمير المؤمنين عليه السلام إطفاء نار الفتنة دون قتال ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وهذا هو الأساس الذي ينطلق منه الإمام عليه السلام لمعالجة الصراع السياسي بين الكيان المركزي للمسلمين، والقوى المعارضة المنشقة ...

وبناء على ذلك يمكننا أن نقرأ المباديء التالية في تجربة الإمام عليه السلام مع خصومه السياسيين:

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٤٩٥، الفتنة ووقعة الجمل: ١٣٦.

١ـ الالتزام بعدم البدء بالقتال أبداً، حرصاً من الإمام عليه السلام على توفير الفرص الممكنة لمعالجة الفتنة بالحوار السياسي.

وهذه بعض بياناته بهذا الخصوص:

**«.. فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً، ولا تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب. ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس، حتى يأتيك أمري، ولا يحملنّكم شنآنهم على قتالهم، قبل دعائهم والإعذار إليهم»**[١].

**«لا تقاتلوهم حتّى يبدؤوكم، فإنّكم بحمد الله على حجّة، وتركككم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حجّة أخرى لكم عليهم»**[٢].

**«وإذا لقيتم هؤلاء القوم غداً، فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فإن بدؤوكم فانهدوا إليهم»**[٣].

إنّ هذا المبدأ العسكري الذي يقطر إنسانية، وعقلانية، لا تزال الحروب العصرية تفتقده، فالحروب الحديثة تعتمد على المباغتة في الحرب من أجل الكسب العسكري بعيداً عن الإنسانية، والفضيلة..

وليس في الأفق ما يدل على أن الجيوش المعاصرة ستدخل في برامجها هذا المبدأ، فتتعلم من أمير المؤمنين عليه السلام دروساً في الإنسانية والحكمة، وحب الإنسان والسلام.

٢ـ الاكتفاء بأقل عدد ممكن من القتلى: ومن مبادئ أمير المؤمنين انّه إذا اضطره خصومه إلى القتال، يعمل وسعه لتقليل نسبة القتلى فيهم، ولذا كان من إجراءاته لتقليل عدد القتلى مثلاً: تضييق وقت القتال، فكان يسعى أن يكون القتال بعد الزوال ـ على سبيل المثال ـ ليقترب الليل، مما يتطلب وقف القتال، بسبب طبيعة الأسلحة والتكتيك العسكري المعروف في الأزمان الغابرة..

---

(١) نهج البلاغة٣: ١٤.

(٢) الكافي٥: ٣٨، مستدرك الوسائل١١: ٨١، مستدرك سفينة البحار١٠: ٣٤٨.

(٣) وسائل الشيعة١٥: ٩٣، الكافي٥: ٤١.

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**كان أمير المؤمنين عليه السلام لا يقاتل حتى تزول الشمس، ويقول: هو أقرب إلى الليل، وأجدر أن يقل القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المنهزم..**»[١].

هذا ومن الجدير ذكره أنّ الهجوم الليلي على العدو محظور في نظام الدفاع الإسلامي، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّه ما بيّت عدواً ليلاً قط.

٣- ومن مباديء الإمام عليه السلام تحريم الغدر بالخصوم السياسيين رغم غدرهم، ومكرهم ومجاهرتهم بالعدوان، فالغدر من الخصال التي ينهى عنها الإسلام الحنيف، ولا يبيحها ضد مسلم أو غيره.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**من ائتمن رجلاً على دمه، ثم خاس به، فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتول في النار**»[٢].

ويقول عليه السلام: «**لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ألا أن لكل غدرة فجرة، ولكل فجرة كفرة، ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار**»[٣].

٤- حرمة تسميم البيئة الطبيعية كالمياه، والأطعمة وما إليها لقتل الأعداء، وما يماثله اليوم من الأسلحة الكيماوية، والجرثومية، وما إليها مما يشكل خطراً على عامة الناس، أو يتسبب في القتل الجماعي للأبرياء إضافة للمقاتلين.

ونذكر هذا الموقف الإنساني الرفيع من خلال النص الرسمي التالي. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلقى السم في بلاد المشركين**»[٤].

فما أحوج البشرية اليوم إلى هذه الضابطة القانونية العظيمة التي تغنيها عن المعاهدات، والاتفاقات حول منع انتشار أسلحة الدمار الشامل التي ابتلي بها

---

(١) وسائل الشيعة١٥: ٦٣، جواهر الكلام٢١: ٨١، الكافي٥: ٢٨.

(٢) جواهر الكلام٢١: ٩٢، وسائل الشيعة١٥: ٦٩.

(٣) وسائل الشيعة١٥: ٧٠، بحار الانوار٣٣: ٤٥٤.

(٤) كشف الرموز١: ٤٢٤، الكافي٥: ٢٨.

الإنسان منذ مطالع القرن الماضي حتى اليوم، إضافة إلى ما تكلفه هذه الأسلحة من أموال طائلة يكفي توظيف بعضها للقضاء على الفقر، والفاقة، والجهل، والأمراض الفتاكة كالإيدز، والسرطان، وما إليها التي تعج بها بلدان العالم، خصوصاً، دول الفقراء.

٥ـ عدم السماح مطلقاً بقتل النساء، والشيوخ والمرضى، والمجانين، والأطفال، وأمثال ذلك.

وقد أصدر المرسوم التالي قبل نشوب المعارك في صفين: «**فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذىً، وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم، فإنّهنّ ضعيفات القوى والأنفس والعقول؛ إن كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وإنّهنّ لمشركات؛ وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعيّر بها وعقبه من بعده**»[١].

٦ـ رعاية الأسرى: وكان من مباديء أمير المؤمنين عليه السلام حماية أسرى الحرب والمن عليهم بالصفح، والعفو، كما فعل مع مروان بن الحكم بعد أسره في حرب الجمل، رغم سوئه، وخصومته، وانحرافه، ومحمد بن طلحة، رغم أن أباه كان أحد قادة العدوان، كما عفا عن عائشة وأكرمها، وبالغ في إكرامها حيث أنزلها على أعز بيت في البصرة، ثمّ أرسلها إلى المدينة المنوّرة بصحبة خيرة النساء وشيعها وأولاده إلى خارج البصرة...

وبعد هزيمة أصحاب الجمل أصدر الإمام عليه السلام أمراً يقطر إنسانية ورحمة «**لا تتبعوا موليا، ولا تجهزوا على جريح، ومن أغلق بابه، فهو آمن**»[٢].

«أتي عليّ بأسير يوم صفين، فبايعه، فقال علي: **لا أقتلك إني أخاف الله ربّ العالمين، فخلى سبيله، وأعطاه سلبه الذي جاء به**»[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة١٥: ١٠٤، مستدرك سفينة البحار١٠: ٣٤٨.

(٢) الكافي٥: ٧، الخصال: ٢٧٦، السنن الكبرى٨: ١٨١، كنز العمال١١: ٣٣٥.

(٣) تهذيب الاحكام٦: ١٥٣، وسائل الشيعة١٥: ٧٣.

٧ ـ إعادة أموال المهزومين في الحرب إلى أصحابها: ومن القيم العسكرية التي أفاضها الإمام عليه السلام على الأجيال، حرصه على إعادة أموال المهزومين إلى أصحابها... ـ ماعدا ما كان في المعسكر ـ مما لم يفعله زعيم منتصر في تاريخ الإنسان..

فقد حدث مروان بن الحكم قال: «لمّا هزمنا عليّ عليه السلام بالبصرة ردّ على الناس أموالهم، من أقام بيّنة أعطاه. ومن لم يقم بيّنة أحلفه، قال: فقال له قائل: يا أمير المؤمنين أقسم الفيء بيننا والسّبي، قال: فلمّا أكثروا عليه قال: **أيّكم يأخذ أمّ المؤمنين في سهمه؟ فكفّوا**»[١].

وقيل للإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّ الناس يروون أنّ عليّاً عليه السلام قتل أهل البصرة وترك أموالهم، فقال: إنّ دار الشرك يحلّ ما فيها، **وإنّ دار الإسلام لا يحلّ ما فيها، فقال: إنّ عليّاً عليه السلام إنّما منّ عليهم عليهم كما منّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل مكّة**»[٢].

وكان أول بيان أصدره قبل اندلاع قتال البصرة جاء فيه ما يلي: «**أيها الناس، إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، ولا تتبعوا مولّياً، ولا تطلبوا مدبراً، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا ستراً، ولا تقربوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كُراع أو عبد أو أمة، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله**»[٣].

ولقد جادل الإمام عليه السلام بعض أصحابه حول هذا الموقف من أموال أصحاب الجمل وذراريهم، ولجّوا في إبداء عدم الرضا، فأفحمهم بقوله: **من منكم يرضى**

---

(١) وسائل الشيعة١٥ : ٧٨، قرب الإسناد ١٣٢، علل الشرائع٢ : ٦٠٣، تهذيب الأحكام٦ : ١٥٥.

(٢) علل الشرائع١ : ١٥٤، وسائل الشيعة١٥ : ٧٩.

(٣) مروج الذهب٢ : ٣٦٢.

**أن تكون أمه عائشة سبية عنده؟**

وهكذا حسم الموقف لصالح إنسانيته، ورحمته، وعفوه وعلم المسلمين حكم البغاة إذا غُلبوا في عدوانهم على الإمام الشرعي للمسلمين وميّز بين حكم أهل القبلة في الحرب، وبين الكفار المعتدين!

٨ـ الإصرار على الحوار حتى في ساحة الحرب: منهج الحوار عند عليعليه السلام هو المنهج الأساس الذي يتعامل من خلاله مع خصومه الفكريين، ومعارضيه السياسيين، ولقد أصرّ على التمسك بذلك المبدأ الحكيم منذ ظهور أول معارض، واستمرّ على ذلك حتى آخر الشوط، فها هو يحاور الزبير بن العوام أحد أعضاء القيادة الثلاثية لأصحاب الجمل، في ساحة المعركة، ويذكره بما حدثهما به رسول اللهصلى الله عليه وآله أيام حياته في حادثة معينة، وانّه ستقع بينهما فتنة وصاحب الحق فيها علي بن أبي طالبعليه السلام، فلما ذكره الإمامعليه السلام بذلك عاد له وعيه، فقرر الاعتزال عن المعركة، في واقعة تاريخية معلومة[1].

٩ـ طمأنة المغلوبين: وبعد انتهاء معركة الجمل كان المغلوبون من أنصار الفتنة يخشون أن تأخذ نشوة النصر جبهة أمير المؤمنينعليه السلام، فيبالغون في الاقتصاص ومعاقبة المتورطين في الفتنة، ولكن العكس هو الذي رأوه، وعاشوه. فقد أصدر أمير المؤمنينعليه السلام أماناً عاماً لكل المشاركين في العدوان من أتباع القوى المهزومة، وأعاد الأموال التي أخذت إلى أصحابها بعد أن يقيموا البينة أو يحلفوا أنها أموالهم...

وبعد مغادرة البصرة أصدر التعليمات التالية إلى واليه عليها عبد الله بن العباسرحمه الله: «**حادث أهلها بالإحسان إليهم، وأحلل عقدة الخوف عن قلوبهم...**»[2]، وقد عاتبه

---

(١) مروج الذهب٢: ٣٧٢.

(٢) نهج البلاغة٣: ١٨، نهج السعادة٥: ١٧١.

لظهور بعض الغلظة منه على بعض العناصر من قبيلة تميم، وأحاطه علماً أن لا يفرط بهذه القبيلة الكبيرة، ولا يظهر أي إساءة لها أبداً...

إلى هنا نكون قد عرضنا الصورة الواقعية لسياسة أمير المؤمنين عليه السلام التي سلكها مع المعارضة السياسية التي ناصبته العداء، في حالة السلم والتعايش، وفي فترة الحرب، والصراع العسكري..

إنّ هذه الصورة الموثقة تاريخياً، وعلمياً تقدم وثيقة حضارية نابضة بالحياة لكل الشعوب الباحثة عن الحق، والحرية، والسلام، والعدل الاجتماعي..

لقد سبق أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الطرح الإنساني العظيم جميع الفلاسفة، والمصلحين في التاريخ القديم والتاريخ المعاصر، كما سبقت تجربته الرائدة في مضمار حقوق الإنسان ـ واحترام الرأي الآخر منها على وجه الخصوص ـ مختلف التجارب في تاريخ الإنسان..

إنّ أكثر الشعوب حاجة إلى هذه الأطروحة الحضارية الرائدة هي الشعوب التي تعاني من الظلم، والدكتاتورية، والطائفية، والتمييز العنصري في آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاّتينية، وغيرها...

إنّ تجربة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ستوفر السعادة والكرامة للإنسانية المعذبة إذا هي آمنت بروح هذه التجربة، ومحتواها وناضلت من أجل تطبيقها في حياتها العملية بصدق، وإخلاص.

# أهل البيت.. نموذج المعارضة المبدئية

الثامن والعشرون من صفر عام١١هـ، كان يوماً تاريخياً حاسماً في حياة المسلمين، ومسيرة الرسالة الإلهية المباركة..

فقد توفي رسول الله محمد بن عبد اللهﷺ، وهو قلق جداً على مستقبل الدعوة الإلهية، حيث كان يرى بوادر التخطيط لتجاوز مشروعه الرباني بخصوص قيادة التجربة الإسلامية...

فقد عبّر عن ذلك بوضوح عند زيارته للبقيع في جمع من أصحابه، في أيامه الأخيرة حيث تلا هذه الكلمات على الحاضرين من أصحابه، يحذرهم من الفتنة الحندس، التي ستلم بالأمة بعد رحيله: «**أقبلت الفتن، كقطع الليل المظلم يتبع أولُها آخَرها**»[1].

فبعد بضع ساعات من وفاة الرسول الخاتمﷺبعد ظهر ذلك اليوم الأليم جرت عدة مبادرات سياسية للسيطرة على زمام الأمور في قيادة التجربة، كان أبرزها مبادرة الأنصار بقيادة سعد بن عبادة الخزرجي، ومبادرة قريش بقيادة الصحابة الثلاثة: أبي بكر، عمر بن الخطّاب، وأبي عبيدة بن الجراح. وقد نجحت مبادرة الصحابة الثلاثة، بعد إفشال مشروع الأنصار بعد انشقاقهم سياسياً في اجتماع السقيفة...

---

(١) تاريخ مدينة دمشق٣١: ٢٠٨، مسند أحمد٣: ٤٨٩.

ومنذ عصر ذلك اليوم التاريخي الحزين، تحول المبشرون بالهدى وحماته من آل محمد صلى الله عليه وآله إلى أقلية معارضة، تطالبها سلطة الخلافة بالانصياع، والبيعة بعد حالة من الإهمال التام، والأبعاد عمّا جرى من حوارات في اجتماع السقيفة..

وقبل المطالبة بالبيعة للخليفة أبي بكر من قبل زعامة قريش، ومن معها لم تحاول الحكومة إجراء أي حوار مع أهل البيت عليهم السلام، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب، وصي النبي، والمؤهل لقيادة التجربة الإسلامية بعد النبي صلى الله عليه وآله ....

ومن خلال الرصد التاريخي يتضح إن بيت النبوة واجه أزمة شديدة وتهديداً بالقتل، واعتداء على الحقوق المدنية، والسياسية كما تعرض لنهب الممتلكات، والأموال، ومصادرة الحقوق الاقتصادية، كما تعرضت بعض الشخصيات الرفيعة منهم ومن أوليائهم إلى الاعتقال والاقتياد، والضرب، كالصدّيقة الزهراء عليها السلام، وسلمان الفارسي، وعمار، والزبير، وغيرهم...

إنّ هذه الأحداث كانت قد استمرت حوالي الأسبوعين، منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ خفت حدتها شيئاً، فشيئاً، حتى تحولت معارضة أهل البيت عليهم السلام إلى صيغة أخرى بعد ستة أشهر.

ويحاول بعض المؤرخين أن يعتبر وفاة الصدّيقة الزهراء عليها السلام بداية مرحلة جديدة في موقف آل محمد صلى الله عليه وآله تجاه سلطة ما بعد النبي صلى الله عليه وآله...

لقد اشتملت المعارضة السياسية التي قادها أهل البيت عليهم السلام (علي والزهراء عليها السلام على وجه الخصوص) على مرحلتين:

١ـ مرحلة المواجهة العلنية السلمية: وتميزت هذه المرحلة بعقد الاجتماعات السياسية لوجوه المعارضة للتداول بشأن الأحداث السياسية التي جرت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان أشهر تلك الاجتماعات التي احتفظ التاريخ بذكرها، الاجتماع الذي عقد في دار أمير المؤمنين والصدّيقة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فتعرض إلى هجوم قوى الحكومة لتفريق الحاضرين، وإجبار من استطاعت إجباره

على البيعة بعد سوقهم بعنف، حيث كسر سيف الزبير[١]، ووجئ عنق سلمان، وضربت ابنة النبي ﷺ، واقتيد آخرون وأجبروا على البيعة..

وفي روايات التاريخ شواهد مرة على تلك العملية، من عنف، وتهديد، وإهانة، واستخفاف[٢]...

ومن ظواهر هذه المرحلة: تحرك أمير المؤمنين، وفاطمة الزهراء عليهما السلام على الأنصار، ودعوتهم للنصرة، فقد عرضوا طلب النصرة وخلع البيعة للخليفة على الأنصار، وطرقوا دورهم، داراً بعد دار[٣]، ولكن التحالف القبلي الذي أفرزته السقيفة، وحالة الإرهاب التي رافقت تشكيل العهد الجديد، حالت دون تحقيق أهل البيت عليهم السلام لأي انجاز على هذا الطريق...

فقد كانت تحركات أهل البيت عليهم السلام تقابل بالاعتذار، والمغالطة أحياناً تأثراً بذلك الواقع الذي أفرزته أحداث السقيفة.

وهكذا تراجعت مهمة أهل البيت عليهم السلام عن تحقيق ما ترجوه، في الوقت الذي جرت أحداث سياسية ليست لصالح الإسلام، ساهمت في تغيير أهل البيت عليهم السلام لطريق عملهم السياسي.

٢ـ مرحلة التعايش السلمي مع السلطة: وهذه المرحلة ربما بدأت بعد وفاة الصدّيقة الزهراء عليها السلام ـ كما ترى المصادر التاريخية ـ وهذا الموقف من أهل البيت عليهم السلام، هو الذي فسره المؤرخون: مرة باسم المصالحة ومرة بعنوان البيعة[٤]...

وفي اعتقادنا أنّ أهل البيت عليهم السلام استبدلوا طريقة المواجهة، للخلافة بطريقة التعايش السلمي معها، وذلك لعدة عوامل سياسية ذاتية، وموضوعية، كان

---

(١) الطبرى٢: ٤٤٣، السقيفة وفدك: ٧٣، الصوارم المهرقة: ٥٨، شرح نهج البلاغة١: ١٧٤.

(٢) ابن أبي الحديد ١: ٢١٩، الطبري٢: ٤٥٩ و٤٤٨، الإمامة والسياسة١: ١٨ـ٢٠.

(٣) الإمامة والسياسة١: ١٢، ابن قتيبة الدينوري، وابن أبي الحديد٥ـ٦: ٢٨.

(٤) الصدّيقة الزهراء بين المحنة والمقاومة: ٥١ـ٥٢.

أهمها ما تحدث أمير المؤمنين عليه السلام عنه بوضوح، مما يشكل وثيقة أصدق من الروايات التاريخية الرسمية المتأثرة بأجواء الحكام، وذوقهم.. يقول الإمام علي عليه السلام بهذا الصدد ما يلي:

**«فأمسكت يدي حتّى رأيت راجعة النّاس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه وآله فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم الّتي إنّما هي متاع أيّام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السّراب، أو كما يتقشّع السّحاب؛ فنهضت في تلك الأحداث حتّى زاح الباطل وزهق، واطمأنّ الدّين وتنهنه»**[1].

**«إنّ الله لما قبض نبيّه، استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حقّ نحن أحقّ به من الناس كافة، فرأيت أنّ الصّبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم. والناس حديثو عهد بالإسلام، والدين يمخض مخض الوطب، يفسده أدنى وهن، ويعكسه أقلّ خلف. فولى الأمر قوم لم يأتوا في أمرهم اجتهاداً، ثمّ انتقلوا إلى دار الجزاء، والله وليّ تمحيص سيّئاتهم، والعفو عن هفواتهم»**[2].

فالإمام علي عليه السلام يؤكد انّه اتخذ موقفاً سلبياً من الخلافة، وأمسك يده عنها ولكن حدثت أحداث خطيرة على الإسلام، ومستقبل الأمة، كظهور بعض المتنبئين في الجزيرة العربية، وتحركات الروم في الشمال، وانكماش الأمة عن الجهاد بسبب تفشي المرارة لدى الناس، بفقد الرسول صلى الله عليه وآله وما جرى بعده من أحداث... إن هذه الأحداث، وغيرها هي التي حملت أمير المؤمنين عليه السلام على أن يتعايش مع الأوضاع، ويساهم - ما استطاع - في دعم مسيرة الأمة، باتجاه حماية الإسلام الحنيف، ومواجهة المتآمرين عليه...

---

(١) نهج البلاغة٣: ١١٩، الغارات١: ٣٠٥، المراجعات: ٣٨٦.

(٢) خطبته عند مسيره إلى البصرة، الغدير٩: ٣٨١، شرح نهج البلاغة١: ٣٠٨، ابن أبي الحديد.

# مصالح المسلمين
# تتحكم في طريقة عمل المعارضة

والمعارضة للسلطة في مفهوم أمير المؤمنين عليه السلام ليست معارضة مقصودة بذاتها إذ ليست هي معارضة، من أجل المعارضة ولا هي احتراف سياسي من أجل مصالح شخصية، وإنما هي معارضة يفرضها الإسلام، ومصلحة المسلمين، فإذا تعارضت المصلحة الإسلامية العليا مع برنامج المعارضة للسلطة، فإن المصلحة الإسلامية مقدمة على برامج عمل المعارضة، ونشاطاتها، فقد تجمد أو تغير، أو تؤجل بعض النشاطات المعارضة، خشية الإضرار بمصالح المسلمين العليا وكان النص العلوي الآنف الذكر يجاهر بهذه الحقيقة، ويعلنها ...

وهكذا فإن أمير المؤمنين عليه السلام، ومعه بنو هاشم، وأتباعهم تحاملوا على جراحاتهم، وتغاضوا عن حقوقهم الشرعية السياسية، والاقتصادية التي حرموها حين رأوا أنّ مصالح المسلمين في خطر، وإن معارضتهم العلنية للسلطة الحاكمة، ستضعف الجبهة الداخلية للمسلمين، فانتقلوا إلى طريقة التعايش مع السلطة، مع الحرص الشديد على الإيمان بحقوقهم الشرعية، والإعلان عنها جهاراً كلما توفرت مناسبة لذلك..

وقد اشتمل برنامج المعارضة الجديد على المحاور الآتية حسب الظروف الجديدة:

١ـ تصدى أمير المؤمنين عليه السلام، ومن معه لتوجيه خطط الدولة، وبرامجها بالاتجاه البنّاء الصحيح، وتقويم أخطاء الحكام، والولاة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً... وتشمل هذه العملية مسائل الفتح الإسلامي، وخطط الحرب، والسلام، وسياسات الدولة الاقتصادية، وأحكام القضاء، وما إليها من شؤون تتعلق بالهوية الإسلامية والمسيرة العامة للمسلمين، ونذكر منها النماذج التالية:

أ ـ فكّر أبو بكر بغزو الروم فاستشار جماعة من الصحابة فقدّموا وأخّروا، ولم يقطعوا برأي، فاستشار عليّاً عليه السلام في الأمر فقال: إن فعلت ظفرت. فقال أبو بكر: بشّرت بخير. وأمر أبو بكر الناس بالخروج بعد أن أمّر عليهم خالد بن سعيد[1].

بـ ـ أراد أبو بكر أن يقيم الحدّ على شارب خمر. فقال الرجل: إنّي شربتها ولا علم لي بتحريمها، فأرسل إلى الإمام يسأله عن ذلك فقال عليه السلام: «**مُرْ نقيبين من رجال المسلمين يطوفان به على المهاجرين والأنصار وينشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحدّ عليه، وإن لم يشهد أحد بذلك، فاستتبه وخلِّ سبيله**». ففعل الخليفة ذلك، فعَلِم صِدقَ الرّجل فخلّى سبيله[2].

جـ ـ قدم جاثليق النصاري يصحبه مائة من قومه، فسأل أبا بكر أسئلة، فدعا عليّاً عليه السلام فأجابه عنها، ونكتفي منها ـ كنموذج ـ بسؤال واحد من أسئلة الجاثليق: أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى.

---

(١) تاريخ اليعقوبي٢: ١٣٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب٢: ١٧٨، ابن شهرآشوب.

فدعا عليّ عليه السلام بنار وحطب، وأضرمه، فلمّا اشتعلت قال: **أين وجه هذه النار؟**

قال الجاثليق: هي وجه من جميع حدودها.

فقال عليّ عليه السلام: **هذه النار مدبّرة مصنوعة، لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها، ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثمّ وجه الله لا تخفى على ربّنا خافية»**[1].

ح - حين أراد عمر بن الخطّاب أن يغزو الروم راجع الإمام عليه السلام في الأمر، فنصحه الإمام بألاّ يقود الجيش بنفسه مبيّناً علّة ذلك قائلاً: **«فابعث إليهم رجلاً مجرّباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحبّ، وإن تكن الأخرى كنت رِدْءاً للناس، ومثابة للمسلمين»**[2].

هـ - ورد إلى بيت مال المسلمين مال كثير - من البحرين - فقسمه عمر بين المسلمين، ففضل منه شيء، فجمع عمر المهاجرين والأنصار واستفتاهم بأمره قائلاً: ما ترون في فضل فضل عندنا من هذا المال؟

قالوا: يا أمير المؤمنين! إنّا شغلناك بولاية أمورنا من أهلك وتجارتك، وضيعتك، فهو لك.

فالتفت عمر إلى عليّ قائلاً: ما تقول أنت؟

قال الإمام عليه السلام: **قد أشاروا عليك.**

قال الخليفة: فقل أنت.

قال عليه السلام: **لِمَ تجعل يقينك ظناً**، ثمّ حدّثه بواقعة مشابهة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) عليّ والخلفاء: ٦٠، عن الشيخ التستري، قضاء أمير المؤمنين: ٨٦، ط مؤسسة الأعلمي (بيروت)، التوحيد: ١٨٢، تفسير الصافي١: ١٨٣.

(٢) راجع نهج البلاغة٢: ١٨، احفز: ادفع وسق. أهل البلاء: أهل المهارة في الحرب. مثابة: مرجع.

وأخيراً أشار عليه الإمام عليه السلام بتوزيعه على الفقراء، قائلاً: **أُشير عليك أن لا تأخذ من هذا الفضل وأن تفضه على فقراء المسلمين.**

فقال عمر: صدقت والله[١].

و ـ وقد ورد أنّ عمر بن الخطّاب رأى ليلة رجلاً وامرأة على فاحشة، فلمّا أصبح قال للناس: أرأيتم أنّ إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة. فأقام عليهما الحدّ ما كنتم فاعلين؟ قالوا: إنّما أنت إمام.

فقال عليّ بن أبي طالب: «**ليس ذلك لك، إذن يقام عليك الحدّ، إنّ الله لم يأمن على هذا الأمر أقلّ من أربعة شهداء**»، ثمّ إنّ عمر ترك الناس ما شاء الله، ثمّ سألهم: فقال القوم مثل مقالتهم الأُولى، وقال علي عليه السلام مثل مقالته. فأخذ عمر بقول الإمام عليه السلام[٢].

ز ـ بعد أن فتح المسلمون الشام جمع أبو عبيدة بن الجرّاح المسلمين واستشارهم بالمسير إلى بيت المقدس أو إلى قيسارية، فقال له معاذ بن جبل: أكتب إلى أمير المؤمنين عمر، فحيث أمرك فامتثله، فكتب ابن الجراح إلى عمر بالأمر، فلمّا قرأ الكتاب، استشار المسلمين بالأمر.

فقال عليّ عليه السلام: **مرْ صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس، فإذا فتح الله بيت المقدس، صرف وجهه إلى قيسارية، فإنّها تُفتَح بعدها إن شاء الله تعالى، كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله.**

قال عمر: صدق المصطفى صلى الله عليه وآله، وصدقت أنت يا أبا الحسن، ثمّ كتب إلى أبي عبيد الله بالّذي أشار به عليّ عليه السلام[٢].

---

(١) عليّ والخلفاء: ٨٣، نجم الدين العسكري، عن أحمد بن حنبل في مسنده١: ٩٤، كنز العمال٤: ٣٩. شرح نهج البلاغة١٢: ١٠٠. مجمع الزوائد ١٠: ٢٣٨.

(٢) كنز العمال٥: ٤٥٧، الفتوحات الإسلامية٢: ٤٨٢، راجع عليّ والخلفاء: ٩٨، الغدير٦: ١٢٣، عمر بن الخطاب: ١٤٧.

(٣) عليّ والخلفاء: ١٣٣، نجم الدين العسكري،

ر - بعد انتصار المسلمين على الفرس في خلافة عمر، شاور ابن الخطّاب أصحاب رسول الله ﷺ في سواد الكوفة. فقال بعضهم: تُقسمها بيننا، ثمّ شاورَ عليّاً عليه السلام في الأمر.

فقال عليه السلام: **إن قسّمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء، ولكن تقرُّها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا. فقال عمر لعليّ: وفّقك الله، هذا الرأيّ**[1].

ط - عن الطبري في تأريخه عن سعيد بن المسيب، قال: جمع عمر بن الخطّاب الناس فسألهم، من أيّ يوم نكتب التأريخ؟

فقال عليّ عليه السلام: **من يوم هاجر رسول الله ﷺ، وترك أرض الشّرك، ففعله عمر**[2].

وهكذا تصدى أمير المؤمنين عليه السلام لتوجيه المسيرة العامة للمسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وما منح من فرص، وإمكانات، محكّماً بذلك مصلحة الإسلام كرسالة، ومصلحة المسلمين كأمة ناهضة، تحمل مشعل الخير، والهدى، للناس...

هذا وكان أمير المؤمنين عليه السلام يبذل قصارى جهده من أجل توجيه الأفراد والجماعات نحو نور الإسلام، وحقائقه، كما كان يبذل كل وسعه لرفع غائلة الظلم عنها... وفي سيرته المطهرة نماذج رائعة على هذا الطريق...

هذا ولا ننسى، ما كان ينهض به بقية رموز هذا البيت الكريم من جهود على هذا الطريق كسبطي رسول الله ﷺ: الحسن والحسين، وحبر الأمة عبد الله

---

(١) عليّ والخلفاء: ٢٣٩، عن أسانيده، تاريخ اليعقوبي٢: ١٥٢.

(٢) تاريخ الطبري٢: ١١٢، كنز العمال١٠: ٣١٠، مستدرك الحاكم٣: ١٤، سبل الهدى والرشاد١٢: ٣٨، التاريخ الكبير١: ٩، فتح الباري٧: ٢٠٩.

بن عباس، وعبد الله بن جعفر، وأصحابهم، وأوليائهم النجباء كعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي كل من موقعه، وفي حدود طاقات تأثيره في الأمة.

٢ـ إطلاق يد أصحابه، وأهل بيته للمشاركة في المهمات العسكرية والإدارة، والقضاء، وغيرها من شؤون الدولة، ووظائفها، في حدود المصلحة الإسلامية العامة: وقد شارك أبو ذر في فتح بلاد الشام، وكان هاشم المرقال من قيادات الفتح الإسلامي في تلك الجبهة، وكان سلمان الفارسي والي المدائن منذ فتحها في عهد الخليفة عمر، وهكذا كان الحال بالنسبة لكثير من شيعة الإمام عليه السلام، وأصحابه المعارضين أساساً للحكم وأساليب الانحراف.

٣ـ التصدي لحل المشاكل بين الخلفاء، والجماهير: فكما أصبح أمير المؤمنين علي عليه السلام مفزعاً في الملمات الفكرية، والعلمية في الأمة، حتى صرح عمر بن الخطّاب: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن[1]...

فإن الإمام عليه السلام صار مثابة للناس في ملماتهم، خصوصاً ما يتعلق منها بالمشاكل التي تخلقها التطبيقات الخاطئة للقوانين، أو تخلقها تجاوزات الحكام، والولاة على الناس...

وفي مشاكل ولاة الخليفة عثمان بن عفّان مع الناس، وظلمهم، وتصدي أمير المؤمنين عليه السلام لمعالجتها كوسيط بين الناس، والخليفة، إضافة إلى تصديه لمعالجة الموقف الحرج بين الثوّار والخليفة المذكور ما يطرح أوضح الأدلة، على اهتمام أمير المؤمنين عليه السلام بمصلحة الأمة، ومستقبل الإسلام، وحرصه على معالجة الخرق للقوانين من قبل الحكام، والعمل على أنصاف الناس، وحل مشاكلهم

---

(١) أنساب الأشراف: ١٠٠، دلائل الإمامة: ٢٢، الأحكام٢: ٢٢٠.

الاقتصادية، والسياسية والاجتماعية ووضع المعالجات الواضحة لهذه المشاكل...

٤ـ ورغم هذا العطاء الزاخر من قبل أمير المؤمنين عليه السلام، الذي أفاضه على الأمة، بما في ذلك الحكام، والولاة، وتسديده الدائم للمسيرة إلاّ أنّه ظل مؤمناً بحقه الشرعي في قيادة التجربة الإسلامية، وانّه هو صاحب الحق في ذلك دون سواه، وانّه قد اغتصب حقه جهاراً رغم تبشير رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك الحق، ودعوة أمته إليه...

ولذا فإن أمير المؤمنين عليه السلام تمسك بموقفين اثنين طوال حكم الخلفاء الذين سبقوه، تثبيتاً لحقه الشرعي ذلك:

أ ـ ظل يجاهر بحقه، وموقعه الطبيعي في أمة محمد صلى الله عليه وآله، كلما سنحت له فرصة لذلك، ونذكر نماذج من تلك المجاهرة بما تسمح به هذه المحاولة:

- حديث المناشدة في يوم الشورى، الذي صدع به الإمام عليه السلام قبل انعقاد البيعة لعثمان بن عفّان، وتأكيده عليه السلام على أن الحق له بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن البيعة وقعت لغيره ظلماً... ثم يلخص مؤهلاته الواقعية للنهوض بأمر قيادة التجربة الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ونثبت هذه المناشدة التاريخية الهامة بنصها كما أوردها الثقاة من علماء المسلمين كالحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال، وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان، والبخاري في تاريخه، والخوارزمي في المناقب، والحافظ ابن المغازلي الشافعي في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، واللفظ للأخير:

حدّثنا أبو الجارود وابن طارق عن عامر بن واثلة وأبو ساسان وأبو حمزة عن أبي إسحاق السبيعي عن عامر بن واثلة قال:

«كنت مع عليّ عليه السلام في البيت يوم الشورى فسمعت عليّاً يقول لهم: **لأحتجّنّ عليكم بما لا يستطيع عربيّكم ولا عجميّكم يغيّر ذلك.**

ثمّ قال: **أنشدكم بالله أيها النفر جميعاً! أفيكم أحد وحّد الله قبلي؟ قالوا:** اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر الطيّار في الجنّة مع الملائكة غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له عمّ مثل عمّي حمزة أسد الله وأسد رسوله سيّد الشهداء غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت محمّد سيّدة نساء أهل الجنّة غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له سبطان ـ مثل سبطيَّ الحسن والحسين ـ سيّدا شباب أهل الجنّة غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله عشر مرّات يقدّم بين يدي نجواه صدقة قبلي؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه ليبلّغ الشاهد منكم الغائب» غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله «اللّهمّ ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليَّ وأشدّهم حبّاً لك وحبّاً لي يأكل معي من هذا الطّائر» فأتاه فأكل معه غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول اللهﷺ: «لأعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» إذ رجع غيري منهزماً غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال فيه رسول اللهلبني وليعة «لتنتهُنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً كنفسي، طاعته كطاعتي، ومعصيته كمعصيتي يغشاكم بالسيف» غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال رسول اللهفيه: «كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغض هذا» غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد سلّم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف من الملائكة فيهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل حيث جئت بالماء إلى رسول اللهﷺمن القليب غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له جبرئيل: هذه هي المواساة، فقال رسول اللهﷺ: انّه منّي وأنا منه؟ فقال له جبريل: وأنا منكما، غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد نودي فيه من السماء «لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ» غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد يقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين على لسان النبيﷺغيري؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول اللهﷺ: «إنّي قاتلت على تنزيل القرآن وتقاتل أنت على تأويل القرآن» غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد رُدّت عليه الشمس حتى صلّى العصر في وقتها غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يأخذ (براءة) من أبي بكر فقال له أبو بكر: يا رسول الله أنزل فيَّ شيء؟**
**فقال له: «إنّه لا يؤدّي عنّي إلاّ عليٌّ» غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله «لا يحبّك إلاّ مؤمنٌ ولا يبغضك إلاّ كافر» غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله أتعلمون أنّه أمر بسدّ أبوابكم وفتح بابي فقلتم في ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أنا سددت أبوابكم ولا أنا فتحت بابه بل الله سدّ أبوابكم وفتح بابه» غيري؟** قالوا اللّهمّ نعم.

قال: **فأنشدكم بالله أتعلمون أنّه ناجاني يوم الطائف دون الناس فأطال ذلك فقلتم ناجاه دوننا، فقال: «ما أنا انتجيته بل الله انتجاه» غيري؟** قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: **فأنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الحقّ مع عليٍّ وعليٌّ مع الحق: يزول الحقّ مع عليّ حيث زال»؟** قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: **فأنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي لن تضلّوا ما استمسكتم بهما، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض؟** قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد وقى رسول الله بنفسه من المشركين فاضطجع مضطجعه غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبد ود حيث دعاكم إلى البراز غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير حيث يقول: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «أنت سيّد العرب» غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا.

قال: **فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «ما سألت الله شيئاً إلاّ سألت لك مثله» غيري؟** قالوا: اللّهمّ لا ...»[1].

ب ـ لتأكيد الإمام عليه السلام على عدم رضاه عما جرى بعد رسول الله ﷺ، وانّه لا يحظى بالشرعية ـ رغم ايجابية الإمام عليه السلام في دعم المسيرة الإسلامية العامة، وانفتاحه ومرونته من أجل خدمة الإسلام الحنيف، وجماهير الأمة، وتطلعاتها ـ تمسك أمير المؤمنين عليه السلام بموقف عدم الاشتراك العملي في أي موقع إداري أو عسكري أو قضائي أبداً، ولذا فإن الإمام عليه السلام رغم إطلاق يد أصحابه في المشاركة في العمل السياسي، والعسكري، والإداري، واندفاع أصحابه في المشاركة الايجابية في ذلك، خصوصاً في عهد الشيخين أبي بكر، وعمر، إلاّ أنه لم يؤثر عنه استلام أي موقع من مواقع الدولة أبداً لا في داخل المدينة المنوّرة، ولا في خارجها... ولقد أصبحت الزراعة خارج المدينة مهنته المفضلة، كما حدث بذلك عبد الله بن عباس، كما رأينا قبل ذلك[2]...

هذه صورة واقعية عن برنامج المعارضة التي تمسك بها آل محمد ﷺ، وأصحابهم، بعد رسول الله ﷺ طوال ربع قرن من الزمان، إصرار على خدمة

---

(١) راجع تفاصيل هذه المناشدة في الأمالي للشيخ الطوسي: ٥٤٥، والاحتجاج١: ١٩٠ـ١٩١ـ١٩٢، وحلية الابرار٢: ٣٢٤ـ٣٢٩، والطرائف: ٤١٢ و٤١٣ وغيرها كثير.

(٢) حديث ابن عباس أخرجه السيد شرف الدين في المراجعات، مراجعة ١٠٦، عن أسانيده.

الإسلام، وخدمة المصلحة الإسلامية العليا، وتمسك بمصالح الناس، ودفاع عن حقوقهم، مع التمسك بحقهم الشرعي في قيادة التجربة الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

# الملاحق

## ملحق رقم١

في الدرّ المنثور أخرج ابن جريرعن سهل بن سعد قال: رأى رسول اللهﷺبني فلان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فما استجمع ضاحكاً حتى مات فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[١].

وفيه أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر أنّ النبيّ قال: رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنّهم القردة وأنزل الله في ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾[٢]يعني الحكم وولده[٣].

وفيه أخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن مرّة قال: قال رسول اللهﷺ: **أُريت بني أميّة على منابر الأرض وسيتملّكونكم فتجدونهم أرباب سوء، واهتمّ رسول اللهﷺلذلك فأنزل**[٤] **الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾.**

---

(١) الاحتجاج١: ٢٢٥، الغدير٨: ٢٤٨، تفسير الميزان١٢: ٦٤، تفسير ابن كثير٣: ٥٢، فتح القدير٣: ٢٣٨.

(٢) الإسراء: ٦٠.

(٣) الغدير٨: ٢٤٩، الدر المنثور٤: ١٩١.

(٤) شرح الاخبار٣: ٣٩٨، الدر المنثور٤: ١٩١.

وفيه أخرج ابن مردويه عن الحسين بن عليّ عليه السلام : **أنّ رسول الله أصبح وهو مهموم فقيل: ما لك يا رسول الله؟ فقال: إنّي أُريت في المنام كأنّ بني أميّة يتعاورون منبري هذا فقيل: يا رسول الله لا تهتمّ فإنّها دنيا تنالهم فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾**[1].

وفيه أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقيّ في الدلائل وابن عساكر عن سعيد بن المسيّب قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله بني أميّة على المنابر فساءه ذلك فأوحى الله إليه إنّما هي دنيا أعطوها فقرّت عينه، وهي قوله: **﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾** يعني بلاء للناس.

أقول: ورواه في تفسير البرهان عن الثعلبيّ في تفسيره يرفعه إلى سعيد بن المسيّب.

وفي تفسير البرهان عن كتاب فضيلة الحسين يرفعه إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **رأيت في النوم بني الحكم أو بني العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة**، فأصبح كالمتغيّظ فما رؤي رسول الله صلى الله عليه وآله مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك حتى مات.

وفي الدّر المنثور أخرج ابن مردويه عن عائشة أنّها قالت لمروان بن الحكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لأبيك وجدّك: إنّكم الشجرة الملعونة في القرآن[2].

وفي مجمع البيان: رؤيا رآها النبيّ صلى الله عليه وآله قروداً تصعد منبره وتنزل وساءه ذلك واغتمّ رواه سهل بن سعيد عن أبيه. ثمّ قال: وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام، وقالوا: على هذا التأويل الشجرة الملعونة في القرآن هو بنو أميّة[3].

---

(١) الدر المنثور٤: ١٩١.

(٢) الغدير٨: ٢٤٨، الدر المنثور٤: ١٩١.

(٣) الميزان في تفسير القرآن١٣: ١٥٧،١٥٨، السيد محمد حسين الطباطبائي.

# ملحق رقم ٢

لمّا فرغ خالد من أسد وغطفان أزمع على المسير إلى البطاح يلقى فيها مالك بن نويرة وقومه، وكان مالك أخلى له البطاح، وفرَّق قومه لما بينّاه من عزمه على السلام احتياطاً منه على الإسلام في تلك الأيام. فلما عرف الأنصار عزم خالد على المسير إلى مالك، توقفوا عن المسير معه وقالوا: «ما هذا بعهد الخليفة إلينا إنما عهده إن نحن فرغنا من البزاخة واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا» فأجابهم خالد: «إنه لم يكن عهد إليكم بهذا فقد عهد إليّ أن أمضي وأنا الأمير وإلي تنتهي الأخبار، ولو أنه لم يأتني كتاب ولا أمر، ثم رأيت فرصة أن أعلمته بها فاتتني لم أعلمه حتى انتهزها، وذلك إذا ابتلينا بأمر لم يعهد لنا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما يحضرنا ثم نعمل به، وهذا مالك بن نويرة بحيالنا وأنا قاصد له بمن معي» ثم سار ومن معه يقصد البطاح، فلما بلغوها لم يجدوا فيها أحداً[١].

## مجيؤهم بمالك في نفر من قومه وقتلهم صبراً

فلما لم يجدوا فيها أحداً أرسل خالد سراياه في أثرهم فجاءته بمالك بن نويرة في نفر من بني يربوع فحبسهم، ثم كان ما كان من أمرهم مما سنأتي على طرف منه بكل حسرة وأسف فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

---

(١) النص والاجتهاد: ١١٩.

وقد روى الطبري بسنده إلى أبي قتادة الأنصاري وكان من رؤساء تلك السرايا أنه كان يحدّث، أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح (قال أبو قتادة) فقلنا: إنا المسلمون. (قال): فقالوا ونحن المسلمون. قلنا: ما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ فقلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، ثم صلينا وصلوا. اهـ.

قلت: وبعد الصلاة خفوا إلى الاستيلاء على أسلحتهم وشد وثاقهم وسوقهم أسرى إلى خالد وفيهم زوجة مالك ليلى بنت المنهال أم تميم، وكانت كما نص عليه أهل الأخبار (واللفظ للأستاذ عباس محمود العقاد في عبقرية خالد) من أشهر نساء العرب بالجمال، ولا سيّما جمال العينين والساقين قال: يقال أنه لم يُر أجمل من عينيها ولا ساقيها.

ففتنت خالداً وقد تجاول في الكلام مع مالك وهي إلى جنبه، فكان مما قاله خالد: إني قاتلك، قال له مالك: أو بذلك أمر صاحبك؟ (يعني أبا بكر) قال: والله لأقتلك. وكان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري إذ ذاك حاضرين، فكلما خالداً في أمره، فكره كلامهما. فقال مالك: يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فقد بعثت إليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا، وألح عبد الله بن عمر وأبو قتادة على خالد بأن يبعثهم إلى الخليفة فأبى عليهما ذلك. وقال خالد: لا أقالني الله إن لم أقتله. وتقدم إلى ضرار بن الأزور الأسدي بضرب عنقه. فالتفت مالك إلى زوجته، وقال لخالد: هذه التي قتلتني. فقال له خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام. فقال له مالك: إني على الإسلام. فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه. فضرب عنه وقبض خالد على زوجته فبنى بها في تلك الليلة[1]. وفي ذلك يقول أبو زهير السعدي:

---

(١) تاريخ الطبري٢: ٥٠٣، النص والاجتهاد: ١٢١-١٢٢-١٢٣، السيد شرف الدين، عن مصادره.

ألا قل لحي أوطئوا بالسنابك تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغياً عليه لعرسه وكان له فيها هوىً قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك على غير شيء هالكاً في الهوالك
فمن لليتامى والأرامل بعده؟ ومن للرجال المعدمين الصعالك؟
أصيبت تميم غثها وسمينها بفارسها المرجو سحب الحوالك

وكان خالد قد أمر بحبس تلك السراة الأسرى من قوم مالك، فحبسوا والبرد شديد فنادى مناديه في ليلة مظلمة أن أدفئوا أسراكم وهي في لغة كنانة كناية عن القتل فقتلوهم بأجمعهم.

وكان قد عهد إلى الجلادين من جنده، أن يقتلوهم عند سماعهم هذا النداء، وتلك حيلة منه توصل بها إلى أن لا يكون مسؤولاً عن هذه الجناية، لكنها لم تخف على أبي قتادة وأمثاله من أهل البصائر وإنما خفيت على رعاع الناس وسوادهم بقوة الساسة والسياسة.

هذه هي الحقيقة الواقعة بين خالد ومالك وقومه يلمسها من مُمحصي الحقائق كل من أمعن فيما سجلته كتب السير والأخبار عن يوم البطاح وسائر ما إليه.

فلا يصدنك عنها ما تجده هناك من أقوال أخر متناقضة كل التناقض نسجتها الأغراض الشخصية والتزلف إلى ولي الأمر يومئذ والقائد العالم لجيوشه تصحيحاً لأعمالهم، وقد أعطينا الإمعان فيها حقه، فلم نر منها إلاّ الدلالة على تضييع الحقيقة إخلاصاً في الحب لخالد والدفاع عنه والله على ما يقول وكيل.[1]

---

(١) النص والاجتهاد: ١٢١-١٢٢-١٢٣ السيد شرف الدين، عن مصادره.

# ملحق رقم ٣

خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام : عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عثمان، عن سليم بن قيس الهلالي قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ صلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله ، ثمّ قال :

**ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم خلّتان : اتّباع الهوى وطول الأمل أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحق وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة، ألا إنّ الدّنيا قد ترحّلت مدبرة وإنّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة ولكلّ واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا فإنّ اليوم عمل ولا حساب وإنّ غداً حساب ولا عمل وإنّما بدء وقوع الفتن من أهواء تتّبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله يتولّى فيها رجال رجالاً، ألا إنّ الحقّ لو خلص لم يكن اختلاف ولو أنّ الباطل خلص لم يخف على ذي حجى لكنّه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجلّلان معاً فهنالك يستولى الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى، إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتخذونها سنّة فإذا غيّر منها شيء قيل: قد غيّرت السنّة وقد أتى الناس منكراً ثمّ تشتدّ البليّة وتسبى الذريّة وتدقّهم الفتنة كما تدقّ النار الحطب وكما تدقّ الرحا بثفالها ويتفقّهون لغير الله ويتعلّمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة.** ثمّ أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته فقال: **قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين لخلافه، ناقضين**

لعهده مغيّرين لسنته ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرّق عني جندي حتى أبقي وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان ، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله لأقوام تمض لهم ولم تنفذ ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد ورددت قضايا من الجور قضي بها ، ونزعت نساءاً تحت رجال بغير حقّ فرددتهنّ إلى أزواجهنّ واستقبلت بهنّ الحكم في الفروج والأحكام ، وسبيت ذراري بني تغلب ، ورددت ما قسم من أرض خيبر ، ومحوت دواوين العطايا وأعطيت كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي بالسويّة ولم أجعلها دولة بين الأغنياء ، وألقيت المساحة ، وسوّيت بين المناكح وأنفذت خمس الرّسول كما أنزل الله عز وجل وفرضه ورددت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما كان عليه ، وسددت ما فتح فيه من الأبواب ، وفتحت ما سدّ منه ، وحرّمت المسح على الخفين ، وحددت على النبيذ وأمرت بإحلال المتعتين وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم وأخرجت من أدخل مع رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده ممّن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجه ، وأدخلت من أُخرج بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ممّن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أدخله وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنّة ، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها ، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها ، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم ، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله إذاً لتفرّقوا عنّي والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان

**إلاّ في فريضة وأعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيّرت سنّة عمر ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعاً ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري ما لقيت من هذه الأمة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار. وأعطيت من ذلك سهم ذي القربى الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[1] فنحن والله عنى بذي القربى الذي قرننا الله بنفسه وبرسوله صلى الله عليه وآله فقال تعالى: ﴿فَلِلّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ (فينا خاصة) كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللّهَ (في ظلم آل محمد) إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2] لمن ظلمهم رحمة منه لنا وغنى أغنانا الله به ووصّى به نبيّه صلى الله عليه وآله ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً أكرم الله رسوله صلى الله عليه وآله وأكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أوساخ الناس، فكذّبوا الله وكذّبوا رسوله وجحدوا كتاب الله الناطق بحقّنا ومنعونا فرضاً فرضه الله لنا، ما لقى أهل بيت نبيّ من أمته ما لقينا بعد نبينا صلى الله عليه وآله والله المستعان على من ظلمنا ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم[3].**

---

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) الكافي ٨: ٥٨-٦٣.

# الملحق رقم ٤

روى عليّ بن محمد بن أبي سيف المدائني عن فُضَيل بن الجعد ، قال : آكدُ الأسباب في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال ، فإنه لم يكن يفضِّل شريفاً على مشروف ، ولا عربياً على عجميّ ، ولا يُصانع الرؤساء وأمراء القبائل كما يصنع الملوك ، ولا يستميل أحداً إلى نفسه . وكان معاوية بخلاف ذلك ، فترك الناس علياً والتحقوا بمعاوية ؛ فشكا عليّ عليه السلام إلى الأشتر تخاذل أصحابه ، وفرار بعضهم إلى معاوية ، فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين ؛ إنّا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة ، ورأي الناس واحد ، وقد اختلفوا بعد ، وتعادوا وضعفت النيّة ، وقلّ العدد ، وأنت تأخذهم بالعدل ، وتعمل فيهم بالحق ، وتنصف الوضيع من الشريف ؛ فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع ، فضجّت طائفة ممّن معك من الحق إذ عمّوا به ، واغتمّوا من العدل إذ صاروا فيه ، ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغناء والشرف ، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا ، وقلّ من ليس للدنيا بصاحب ، وأكثرهم يحتوي الحقّ ويشتري الباطل ، ويؤثر الدنيا ، فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الرجال ، وتصف نصيحتهم لك ، وتستخلص ودّهم ، صنع الله لك يا أمير المؤمنين! وكبت أعداءك ، وفضّ جمعهم ، وأوهن كيدهم ، وشتّت أمورهم ، إنّه بما يعملون خبير .

فقال عليّ عليه السلام : أمّا ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1]؛ وأنا من أن أكون مقصّراً فيما ذكرت أخوف.

وأما ما ذكرت من أنّ الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنّهم لم يفارقونا من جور، ولا لجئوا إذ فارقونا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلاّ دنيا زائلة عنهم كأن قد فارقوها؛ وليسألنّ يوم القيامة: أللدنيا أرادوا أم لله عملوا؟

وأمّا ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال، فإنّه لا يسعنا أن نؤتي امرئ من الفيء أكثر من حقّه، وقد قال الله سبحانه وتعالى وقوله الحق: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2]، وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وحده، فكثّره بعد القلة، وأعزّ فئته بعد الذلّة، وإن يُرد الله أن يولينا هذا الأمر يذلّل لنا صعبه، ويسهّل لنا حزنه، وأنا قابل من رأيك ما كان لله عزّ وجلّ رضاً، وأنت من آمن الناس عندي، وأنصحهم لي، وأوثقهم في نفسي إن شاء الله[3].

---

(١) فصلت: ٤٦.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢: ١٩٧-١٩٨، ابن أبي الحديد المعتزلي، بحار الانوار ٢٩: ٤٩٣.

# فهرس الآيات


## البقرة

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ ٣٠ ..... ٣٤

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ..﴾ ١٨٠ ..... ١٥١

﴿وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ ١٨٩ ..... ٢٢٥

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ..﴾ ٢٥٦ ..... ٢٢٦

﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْه..﴾ ١٩٤ ..... ٢٣٢

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً..﴾ ٢٤٩ ..... ٢٨٦

## آل عمران

﴿تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ..﴾ ٦٤ ..... ٢٢٦

﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ﴾ ٦١ ..... ٢٤٠

﴿فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ٦١ ..... ٢٤٠

## النساء

﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ ١١ ..... ١٥١

## المائدة

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ..﴾ ٣ ..... ٣٨

﴿أَوْفُوا بِالعُقُودِ﴾ ١ ..... ٢٠٩

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي..﴾٣٢ ..... ٢٢٣

الأعراف

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾٨٩ ..... ١٨٩

الأنفال

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾٦٥-٦٦ ..... ٣٧

﴿وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ﴾٧٥ ..... ١٥١

﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى..﴾٤١ ..... ٢٨٤

التوبة

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ..﴾٣٤ ..... ٩٠

إبراهيم

﴿للّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ..﴾٣٢-٣٤ ..... ٣٤

النحل

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ..﴾٩١ ..... ١٢٧

﴿وأَوْفوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتمْ وَلا تَنْقُضُوا..﴾٩١ ..... ٢٠٩

الإسراء

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي..﴾٧ ..... ٣٤

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾٢٦ ..... ١٤٩

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾٦٠ ..... ٢٧٧-٢٧٨

مريم

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي..﴾٥-٦ ..... ١٥١

طه

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولا..﴾٣٤-٤٤ ..... ٢٣٣

النور

﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾٢٧ ..... ٢٢٥

النمل

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾١٦ ..... ١٥١

القصص

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا ..﴾٧٧ ..... ٣٥

الأحزاب

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ..﴾٣٣ ..... ٣١

﴿وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾٦ ..... ١٥١

سبأ

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾٢٤ ..... ٢٣٤

فصلت

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا..﴾٤٦ ..... ١٨٦

الشورى

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا..﴾١٣ ..... ٣٤

الحجرات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ..﴾٦ ..... ٩٦

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ..﴾١٣ ..... ١٣٣

﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾١٢ ..... ٢٢٥

الذاريات

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ...﴾١ ..... ١٥٨

**الحشر**

﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى..﴾٧ ..... ٢٨٤

**المافقون**

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾٨.....٣٩

**التحريم**

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ..﴾١٠ ..... ١٨٢

**الأعلى**

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ۞ الَّذِي..﴾١-٣.....٣٤

# مصادر البحث


١ـ القرآن الكريم.

٢ـ أبو هريرة: عبد الحسين شرف الدين الموسوي.

٣ـ أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري.

٤ـ الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، توفي٥٠٦هـ.

٥ـ الأحكام: علي بن حزم الأندلسي الظاهري، ٤٥٦هـ.

٦ـ الأخبار الطوال: أحمد بن داود الدينوري، توفي ٢٨٢هـ.

٧ـ الآداب السلطانية: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بان الطقطقي، توفي٧٠٩هـ.

٨ـ الإرشاد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد)، توفي٤١٣هـ.

٩ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، توفي ٦٣٠هـ.

١٠ـ الإصابة في تميز الصحابة: الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، توفي٨٥٢هـ.

١١ـ أضواء على السنة المحمدية : محمود أبو رية .

١٢ـ أعيان الشيعة : السيد محسن الأمين، تووفي١٣٧١هـ.

١٣ـ أمالي الطوسي : محمد بن الحسن الطوسي، توفي ٤٦٠هـ.

١٤ـ الإمام علي بن أبي طالب: الشيخ محمد حسن آل ياسين، توفي١٣٠٨هـ.

١٥ـ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية : جورج جرداق .

١٦ـ الإمامة والتبصرة : ابن بابويه، توفي٣٢٩هـ.

١٧ـ الإمامة والسياسة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري توفي٧٦ هـ.

١٨ـ أنساب الأشراف : أحمد بن يحيى البلاذري ، توفي في القرن الثالث.

١٩ـ الأنوار العلوية : جعفر النقدي، توفي ١٣٧٠هـ.

٢٠ـ أهل البيت : الأستاذ توفيق أبو علم .

٢١ـ الإيضاح : الفضل بن شاذان الأزدي، توفي ٢٦٠هـ.

٢٢ـ بحار الأنوار : محمد باقر المجلسي، توفي ١١١٠هـ.

٢٣ـ البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، توفي٧٧٤هـ.

٢٤ـ بلاغات النساء : أبو الفضل بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور، توفي ٣٨٠هـ.

٢٥ـ البيان في تفسير القرآن : أبو القاسم الخوئي، توفي١٤١٣هـ.

٢٦ـ بيت الأحزان : عباس القمي، توفي١٤١٢هـ.

٢٧ـ تاريخ الخميس : حسين الديار بكري، توفي٩٦٦هـ.

٢٨ـ تاريخ الشعوب الإسلامية : بروكلمان، ترجمة منير البعلبكي.

٢٩ـ تاريخ المدينة المنورة : أبو زيد عمر بن ابن شبة النميري، توفي٢٦٢هـ.

٣٠ـ تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح المعروف باليعقوبي، توفي ٢٨٤هـ.

٣١ـ تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، توفي٤٦٣هـ.

٣٢ـ تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، توفي٥٧١هـ.

٣٣ـ تأويل الآيات الظاهرة: شرف الدين الحسيني الاسترابادي النجفي، من أعلام القرن العاشر.

٣٤ـ تحف العقول عن آل الرسول ﷺ: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، من أعلام القرن الرابع الهجري.

٣٥ـ التحفة السنية: عبد الله بن نعمة الله الجزائري، توفي ١٠٩١هـ.

٣٦ـ تدوين القرآن: علي الكوراني.

٣٧ـ تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي، توفي٧٤٨هـ.

٣٨ـ التفسير الصافي: الفيض الكاشاني، توفي١٠٩١هـ.

٣٩ـ تفسير الميزان: محمد حسين الطباطبائي، توفي١٤٠٢هـ.

٤٠ـ تلخيص الشافي: أبو جعفر الطوسي، توفي٤٦٠هـ.

٤١ـ تنبيه الغافلين: شرف الإسلام بن سعيد المحسن بن كرامة، توفي٤٩٤هـ.

٤٢ـ تهذيب التهذيب: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، توفي٨٥٢هـ.

٤٣ـ تهذيب الكمال: جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، توفي٧٤٢هـ.

٤٤ـ التوحيد: أبو جعفر الصدوق، توفي٣٨١هـ.

٤٥ـ الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي، توفي٩١١هـ.

٤٦ـ جامع المدارك : أحمد الخوانساري، توفي ١٤٠٥هـ.

٤٧ـ الجمل : ضامن بن شدقم بن علي الحسيني المدني، توفي١٠٨٢هـ.

٤٨ـ جواهر الكلام : محمد حسن النجفي (الجواهري)، المتوفى١٢٦٦هـ.

٤٩ـ جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام : شمس الدين أبو البركات محمد بن احمد الدمشقي الباعوني الشافعي، توفي٨٧١هـ.

٥٠ـ الحدائق الناضرة : يوسف البحراني، توفي١١٨٦هـ.

٥١ـ حلية الأبرار : السيد هاشم البحراني، توفي١١٠٧هـ.

٥٢ـ حياة الإمام الحسين عليه السلام : باقر شريف القرشي.

٥٣ـ حياة الصحابة : محمد يوسف الكاندهلوي.

٥٤ـ خصائص الوحي المبين : ابن البطريق شمس الدين يحيى بن الحسن الأسدي الربعي الحلي، توفي ٦٠٠هـ.

٥٥ـ خصائص أمير المؤمنين : أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي الشافعي، توفي٣٠٣هـ

٥٦ـ الخصال : الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمى، توفي٣٨١هـ.

٥٧ـ خلاصة عبقات الأنوار : حامد النقوي، توفي١٣٠٦هـ.

٥٨ـ الخلاف : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، توفي٣٨٥هـ.

٥٩ـ الدر المنثور : جلال الدين السيوطي، توفي ٩١١هـ.

٦٠ـ الدرجات الرفيعة : صدر الدين علي خان المدني الشيرزاي الحسيني، توفي ١١٢٠هـ.

٦١ـ درر الأخبار : مهدي الحجازي.

٦٢ـ دعائم الإسلام: أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي القاضي، توفي ٣٦٣هـ.

٦٣ـ دلائل الصدق: الشيخ محمد حسن المظفر، توفي١٣٧٥هـ.

٦٤ـ دولة الرسول في المدينة: د. أحمد إبراهيم الشريف.

٦٥ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، توفي٦٩٤هـ.

٦٦ـ رسائل المرتضى: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي البغدادي، توفي٤٣٦هـ ق.

٦٧ـ روضة الواعظين: محمد بن الفتال النيسابوري، توفي٥٠٨هـ.

٦٨ـ الرياض النضرة: أحمد بن محمد المحب الطبري، توفي٦٩٤هـ.

٦٩ـ سبل الهدى والرشاد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، توفي٩٤٢هـ.

٧٠ـ سعد السعود: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني، توفي٦٦٤هـ.

٧١ـ السقيفة وفدك: أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري البصري البغدادي، توفي٣٢٣هـ.

٧٢ـ السقيفة: محمد رضا المظفر، توفي١٣٨١هـ.

٧٣ـ سنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، توفي٢٧٥هـ.

٧٤ـ سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، توفي٢٧٥هـ.

٧٥ـ سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، توفي٢٥.

٧٦ـ السنن الكبرى: أبو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي، توفي٤٥٨هـ.

٧٧ـ سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي، توفي ٣٠٣هـ.

٧٨ـ سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، توفي٧٤٨هـ ـ ١٣٧٤م.

٧٩ـ سيرة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام: هاشم معروف الحسني.

٨٠ـ شرح الأخبار: أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، توفي٣٦٣هـ ق.

٨١ـ شرح اللمعة: محمد بن جمال الدين مكي العاملي (الشهيد الأول)، المتوفى٧٨٦هـ.

٨٢ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، توفي٦٥٦هـ.

٨٣ـ شواهد التنزيل: عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الخداء الحنفي النيسابوري، توفي في القرن الخامس الهجري.

٨٤ـ شيخ المضيرة أبو هريرة الدوسي: محمود أبو رية، توفي ١٩٧٠هـ.

٨٥ـ صحيح ابن حبان: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، توفي٧٣٩هـ.

٨٦ـ صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي، توفي ٢٥٦هـ.

٨٧ـ صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري، توفي ٢٦١هـ.

٨٨ـ الصدّيقة الزهراء بين المحنة والمقاومة: عبد الزهراء عثمان محمد، توفي١٤٢٥هـ.ق.

٨٩ـ الصراط المستقيم: زين الدين أبو محمد على بن يونس العاملي النباطي البياضي، توفي٨٧٧هـ.

٩٠ـ الصوارم المهرقة: الشهيد نور الله التستري، استشهد عام ١٠١٩هـ ق.

٩١ـ الطبقات الكبرى: ابن سعد، توفي ٢٢٠هـ.

٩٢ـ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى ابن طاووس الحلي، توفي٦٦٤هـ.

٩٣ـ الطفل بين الوراثة والتربية: الشيخ محمد تقي فلسفي.

٩٤ـ عبد الله بن سبأ: العلاّمة السيد مرتضى العسكري.

٩٥ـ العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، توفي٣٢٧هـ.

٩٦ـ العقدة القرشية: عبد الزهراء عثمان محمد، توفي٢٠٠٤م.

٩٧ـ العقل السياسي العربي: د. محمد عابد الجابري.

٩٨ـ علل الشرائع: الصدوق أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، توفي٣٨١هـ.

٩٩ـ علي والخلفاء: نجم الدين العسكري توفي١٣٩٠هـ.

١٠٠ـ العمدة: يحيى بن الحسن الأسدي الحلي المعروف بابن البطريق، توفي٦٠٠هـ.

١٠١ـ عمر بن الخطاب: عبد الرحمن أحمد البكري.

١٠٢ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام: أبو جعفر الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمي، توفي٣٨١.

١٠٣ـ عيون المعجزات: حسين عبد الوهاب، من علماء القرن الخامس.

١٠٤ـ الغارات: أبو إسحاق إبراهيم محمد الثقفي الكوفي، توفي٢٨٣هـ.

١٠٥ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب: المرحوم الشيخ عبد الحسن أحمد الأميني النجفي، توفي١٣٩٢هـ.

١٠٦ـ غريب الحديث : أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي ، توفي٢٨٥هـ .

١٠٧ـ فتح الباري : شهاب الدين ابن حجر العسقلاني ، توفي ٨٥٢هـ .

١٠٨ـ فتح القدير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، توفي ١٢٥٠هـ .

١٠٩ـ فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي : أحمد بن محمد المغربي ، توفي ١٣٨٠هـ .

١١٠ـ الفتنة ووقعة الجمل : سيف بن عمر الضبي الأسدي ، توفي ٢٠٠هـ .

١١١ـ فتوح البلدان : أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، توفي٢٧٩هـ .

١١٢ـ الفتوحات الإسلاميّة : أحمد زيني دحلان ، توفي١٣٠٤هـ .

١١٣ـ فدك في التاريخ : السيد محمد باقر الصدر ، توفي١٠٤١هـ .

١١٤ـ الفصول المهمة في أحوال الأئمة : ابن الصباغ المالكي ، توفي٨٥٥هـ .

١١٥ـ في السياسة الإسلامية ، الفكر والممارسة : هادي العلوي .

١١٦ـ في ظلال القرآن : سيد قطب ، توفي١٣٨٦هـ .

١١٧ـ فتح القدير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، توفي ١٢٥٠هـ .

١١٨ـ القرآن وروايات المدرستين : العلاّمة السيد مرتضى العسكري .

١١٩ـ قرب الإسناد : عبد الله الحميري البغدادي ، توفي ٣٠٠هـ .

١٢٠ـ الكافي : أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، توفي٣٢٩ .

١٢١ـ الكامل في التاريخ : أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري ، توفي ٦٣٠هـ .

١٢٢ـ كتاب الأربعين : محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي النجفي القمي ، توفي١٠٨٩هـ .

١٢٣ـ كتاب الخوارج : الدكتور عامر النجار .

١٢٤ـ كتاب سليم بن قيس: سليم بن قيس الهلالي، توفي في القرن الأول.

١٢٥ـ كشف الرموز: زين الدين أبو علي الحسن بن أبي طالب ابن أبي المجد اليوسفي، فرغ من تأليفه عام ٦٧٢هـ ق.

١٢٦ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، توفي٦٩٣هـ.

١٢٧ـ كشف المحجة لثمرة المهجة: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، توفي٦٦٤هـ.

١٢٨ـ كشف اليقين: الحسن بن يوسف بن المظهر الحلي، توفي٧٢٦هـ.

١٢٩ـ كفاية الطالب: محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي، توفي٦٥٨هـ.

١٣٠ـ كلمة الرسول: السيد حسن الشيرازي.

١٣١ـ كمال الدين وتمام النعمة: أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، توفي٣٨١هـ.

١٣٢ـ كنز العمال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، توفي٩٧٥هـ.

١٣٣ـ لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، توفي٧١١هـ.

١٣٤ـ المبسوط: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، توفي٤٦٠هـ.

١٣٥ـ مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي، توفي١٠٨٥هـ.

١٣٦ـ مجمع الزوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، توفي٨٠٧هـ.

١٣٧ـ مجمع الفائدة: أحمد بن محمد الأردبيلي، المتوفى٩٩٣هـ.

١٣٨ـ المجموع : أبو زكريا محيي الدين بشرف النووي، توفي٦٧٦هـ.

١٣٩ـ المحاسن : أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، توفي٢٧٤هـ.

١٤٠ـ مدينة المعاجز : السيد هاشم البحراني، توفي١١٠٧هـ.

١٤١ـ المراجعات : عبد الحسين شرف الدين الموسوي، توفي١٣٧٧هـ.

١٤٢ـ مروج الذهب : المسعودي الهذلي، توفي ٣٤٥هـ.

١٤٣ـ مستدرك سفينة البحار : الشيخ علي النمازي، توفي١٤٠٥هـ ق.

١٤٤ـ المستدرك على الصحيحين : أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، توفي ٥٠٤هـ.

١٤٥ـ المسترشد : محمد بن جرير الطبري الإمامي، توفي أوائل القرن الرابع.

١٤٦ـ مسند أبي داود الطيالسي : سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري الشهير بأبي داود الطيالسي، توفي٢٠٤هـ.

١٤٧ـ مسند أبي يعلى : أحمد بن علي بن المثنى التميمي، ٢١٠- ٣٠٧هـ.

١٤٨ـ مسند أحمد : أحمد بن حنبل، توفي ٢٤١هـ.

١٤٩ـ مسند الإمام الرضا عليه السلام : الشيخ عزيز الله عطاردي.

١٥٠ـ مشكل الآثار : أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، توفي٣٢١هـ.

١٥١ـ المعارف : ابن قتيبة الدينوري، توفي٢٧٦هـ.

١٥٢ـ معاني الأخبار : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق توفي٣٨١هـ.

١٥٣ـ معجم البلدان : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، توفي٦٢٦هـ.

١٥٤ـ معجم الصحابة: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، توفي٣١٧هـ.

١٥٥ـ المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، توفي٣٦٠هـ.

١٥٦ـ معرفة علوم الحديث: محمد بن عبد الله النيسابوري، توفي٤٠٥هـ.

١٥٧ـ المعيار والموازنة: أبو جعفر الاسكافي محمد بن عبد الله المعتزلي، توفي٢٢٠هـ.

١٥٨ـ مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني، توفي٣٥٦.

١٥٩ـ مكاتيب الرسول: علي الأحمدي الميانجي.

١٦٠ـ من لا يحضره الفقيه: أبو جعفر الصدوق بن بابويه القمي، توفي٣٨١هـ.

١٦١ـ مناقب آل أبي طالب: مشير الدين أبو عبد الله محمد بن على بن شهرآشوب بن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني، توفي٥٨٨هـ.

١٦٢ـ مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: محمد بن سليمان الكوفي القاضي، من أعلام القرن الثالث.

١٦٣ـ مناقب أهل البيت عليهم السلام: حيدر علي بن محمد الشيرواني، توفي١٢٠٠هـ.

١٦٤ـ مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: أبو الحسن علي بن محمد الواسطي الشافعي المشهور بابن المغازلي، توفي٤٨٣هـ.

١٦٥ـ منتقى الجمان: حسن بن زين الدين، توفي١٠١١هـ.

١٦٦ـ المهذب: عبد العزيز بن البراج الطرابلسي، المتوفي٤٨١هـ.

١٦٧ـ مواقف الشيعة: علي بن حسين علي الميانجي.

١٦٨ـ الموضوعات: سبط ابن الجوزي، توفي٦٥٤هـ.

١٦٩ـ ميزان الحكمة : محمد الري شهري .

١٧٠ـ نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام : د . محمد جلال شرف .

١٧١ـ النص والاجتهاد : الإمام السيد عبد الحسن شرف الدين الموسوي، توفي١٣٧٧هـ .

١٧٢ـ النصائح الكافية : محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي، توفي ١٣٥٠هـ .

١٧٣ـ نظرات في الكتب الخالدة لحامد حفني داود : ١٥٠ .

١٧٤ـ النهاية في غريب الحديث : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، توفي٦٠٦هـ .

١٧٥ـ نهج البلاغة : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

١٧٦ـ نهج السعادة : محمد باقر المحمودي .

١٧٧ـ نيل الأوطار : محمد بن علي ابن محمد الشوكاني، توفي١٢٥٥هـ .

١٧٨ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة : محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحرّ العاملي، توفي١١٠٤هـ .

١٧٩ـ وضوء النبي صلى الله عليه وآله : علي الشهرستاني .

١٨٠ـ وعاظ السلاطين : د . علي الوردي .

١٨١ـ وقعة صفين : نصر بن مزاحم المنقري، توفي٢١٢هـ .

١٨٢ـ ينابيع المودة : سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، توفي١٢٩٤هـ .

# المحتويات


**الإهداء** ..... ٥

**المقدمة** ..... ٧

**نقطة البداية** ..... ١٣

موقع الإمام كما تحدده النصوص ..... ١٥

مكانة الإنسان في الشريعة الإسلامية ..... ١٩

مصلحة الإنسان مقدمة على الأحكام الإلهيّة ..... ٢٢

الإنسان وضرورة الشعور بالعزة ..... ٢٥

**أرضية المعارضة** ..... ٢٩

أولاً: العامل الثقافي ..... ٢٩

ثانياً: العامل السياسي ..... ٣٧

ثالثاً: الرأسمالية العربية، ومصالحها الكبرى ..... ٤٩

**تجربة عثمان** ..... ٦٣

**الثورة الشعبية ونهاية عثمان** ..... ٨١

**كنت كارهاً للحكومة!!** ..... ٨٥

**البرنامج التغييري، وآفاق الإصلاح!** ..... ٩١

١ـ إحياء القيم الإسلامية، وتعريف الأمة بها ..... ٩٢
الخطوط العريضة لمسيرته في الحكم ..... ٩٥
٢ـ الحاكم أمين الأمة، ووكيلها ..... ٩٧
٣ـ العدالة في التوزيع وضوابط تنفيذها ..... ١٠١
٤ـ صيانة حق الناس في الحياة ..... ١٠٥
٥ـ مبدأ التفتيش المالي: «من أين لك هذا؟» ..... ١٠٨
٦ـ كرامة الإنسان، ورعاية المظلومين ..... ١٠٨
٧ـ التعددية، ورعاية الرأي الآخر ..... ١١١
وخلاصة القول ..... ١١٥
رد الفعل اليميني والتداعيات السياسية ..... ١١٦
١ـ الاعتراض السلمي الصريح على سياسة الإمام عليه السلام ..... ١١٦
٢ـ الاعتراض المسلح والرد المضاد ..... ١١٩
**حركة المعارضة في الصدر الأوّل ..... ١٢٣**
عوامل نشوئها ـ أهدافها ـ الموقف الرسمي منها ..... ١٢٣
**المعارضة في عهد الخليفة أبي بكر ..... ١٢٥**
**المعارضة السياسية ..... ١٣٩**
**المعارضة في عهد الخليفة الثالث ..... ١٤٧**
**المعارضة السياسية في عهد أمير المؤمنين ..... ١٥٥**
مفرداتها ـ توجهاتها ـ وموقف الإمام منها ..... ١٥٥
الحزب التيمي بقيادة أُم المؤمنين ..... ١٦١

**المحتويات** ..... ٢٨٧
نتائج المعركة ..... ١٧٦
**لائحة حقوق المعارضة عند أمير المؤمنين** ..... **٢٠١**
الديباجة: قوام حقوق الناس ..... ٢٠٢
مفاهيم الديباجة ..... ٢٠٣
حقوق المعارضة في نهج الإمام ..... ٢٠٥
١ـ الباب الأول: المعارضة في ظروف السلم، والأوضاع الطبيعية ..... ٢٠٦
٢ـ الحرية الدينية ..... ٢١٠
٣ـ الحرية السياسية ..... ٢١٣
من حواره السياسي مع طلحة والزبير ..... ٢١٩
من حواره السياسي مع الخوارج ..... ٢٢٣
٤ـ حق الملكية ..... ٢٢٥
١ـ تنمية المصادر المالية مقدم على استيفاء الضرائب ..... ٢٢٩
٢ـ الاهتمام بتربية الوازع النفسي لدى الناس لدفع الفائض من أموالهم ... ٢٣٠
٣ـ الباب الثاني: المعارضة السياسية في ظروف البغي والعدوان ..... ٢٣٣
ضوابط أمير المؤمنين عليه السلام في مواجهة العدوان ..... ٢٣٣
**أهل البيت.. نموذج المعارضة المبدئية** ..... **٢٤١**
**مصالح المسلمين** ..... **٢٤٥**
**الملاحق** ..... **٢٥٧**
ملحق رقم ١ ..... ٢٥٧
ملحق رقم ٢ ..... ٢٥٩

٢٨٨ ..... المعارضة السياسية في تجربة أمير المؤمنين عليه السلام
مجيؤهم بمالك في نفر من قومه وقتلهم صبراً ..... ٢٥٩
ملحق رقم ٣ ..... ٢٦٣
الملحق رقم ٤ ..... ٢٦٧
**فهرس الآيات ..... ٢٦٩**
**مصادر البحث ..... ٢٧٣**
**المحتويات ..... ٢٨٥**

إنّ هذه المحاولة لا تشاء أن تقوم بمحاكمة أخلاقية غيابية للمجموعات السياسية التي عارضت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بشتى الأساليب والوسائل ، حتى عوّقت مشروعه الإصلاحي الكبير للدولة والمجتمع، وختمت معارضتها باغتياله أثناء صلاته في مسجد الكوفة في شهر رمضان عام ٤٠ من الهجرة.

إنّ هذه المحاولة لا تشاء أن تحاكم تلك الأطراف، كما لا تشاء أن تكون هذه الأبحاث ذات طبيعة عقائدية، كالذي ألِفْناه في دراسة مثل هذه المسائل من تاريخنا، لتوضح بطلان هذه العقائد والأفكار دينياً، وتؤكد صحة تلك المبادئ والمواقف، ومطابقتها لروح الشريعة الإسلامية المطهرة، وما نزل به الوحي المقدس على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنما تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تصوّر سياسي عن موقع المعارضة في المجتمع الإسلامي، وما هي حقوقها، وحدود حركتها في الواقع، وما هي الخطوط التي لا يصح تجاوزها.

فهذه الدراسة بناء على ذلك دراسة سياسية تستلهم أحداثاً تاريخية معينة تمخضت عن مشاهد واقعية عاشها المسلمون تحت ظل حكومة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، رغم عمرها القصير.